

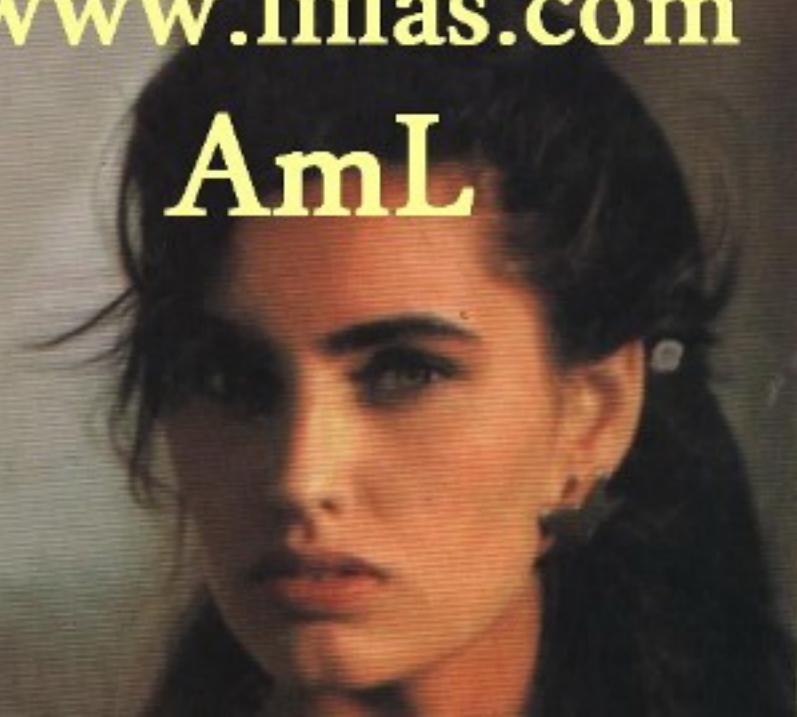
روايات أحلام



سَفَلَّا سَهْرَلَّا

www.liilas.com

AmL



روايات أحلام

سقط سهواً

شيء ما في عينيه قال لها: حبيبك القديم قد مات... من
ترى أمامك ليس فيه من الحبيب إلا الصورة دون الروح...
فبعدما ظلت إدنا أنها اقتربت من حلمها وجدت قلبها تحت
قدمي هايدن جاكوبس يدوسه بدون رحمة...
ولكن هل ضاعت سنوات الألم والحنين والشوق هباء؟ هل
يمكن أن يخطيء قلب المرأة العاشقة إلى هذا الحد؟ ولماذا
تلاحق إدنا الفتاة الموهوبة الجميلة ملك الكمبيوتر هايدن
بهذه اللهفة التي تجعلها تضحي بكبرياتها وطموحاتها بل
حتى... بعمرها؟!

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. الإمارات ٦٥٠. مصر ١٤٧. ليبيا
سوريا ٥٠٠ ل.س. قطر ٦٠٠ ر. المغرب ١١٥ د. اليمن
الأردن ١ د. البحرين ٦٠٠ ف. تونس ١١٥ د. السودان
الكويت ٥٠٠ ف. السعودية ١٩. عمان ٦٠٠ ب. العراق

١ - ضحكة شبح

كان هايدن جاكوبس نافذ الصبر.. إنه ليس بالرجل الصبور عادة.. لكنه كان يعتقد أن هذا أكثر بكثير من قدرة أكثر الرجال رصانة على تحمله.. كان قد أمضى اليومين المنصرمين سجينًا في منزله اللندني، كحکم بين عدة مرشحين تواقين للحصول على وظيفة كان يعتبرها إزعاجًا لا ضرورة له.. جميعهم جاؤوه بتوصيات رفيعة من شخصيات رفيعة القدر.. لكن فكرة البقاء متصدقًا بأي واحد منهم لأسابيع أو أشهر من التعاون الوثيق، جعلته يتلوى سخاطاً.

تم ملتفتاً إلى وكيله المسن الذي كان يجري عنه المقابلات:

- يا لها من مضيعة لعينة للوقت.. ما عدد الذين ما زال على أن أقابلهم؟

رد دوبل فرانسيس باختصار: الأمر عائد لك يا هايدن. كان هو كذلك قد أضاع يومين كاملين هدراً، وكان يكاد أن يصل إلى نهاية قدرته على التحمل.. وأكمل:

- أي من كتاب النصوص هولاء يمكن أن يكون مناسباً.. ما الذي تفتش عنه بحق السماء؟ عن كومبيوتر بشري؟

رد زبونه ساخطاً:

- كلما كان أقل إنسانية كان ذلك أفضل.. لماذا لا تنسى الأمر يا دوبل؟

تأوه الوكيل المسن:

- فلتوقف قليلاً هايدن.. لقد مررتنا بهذا مرات ومرات.. قد تكون نابعة كومبيوتر ومؤلف تقصص عنزة، لكن لا يمكنك الشروع في كتابة سيناريو فيلم سينمائي دون تدريب أو خبرة سابقة.. ويجب أن تتعاون مع أحد.. إلا إذا تركت أمر تحويل الفكرة إلى كاتب سيناريو عزف.. وهذا ما يفعله أي كاتب متعلق.

- أنا لست كاتباً.. وانه وحده يعرف ما الذي دفعني إلى تأليف ذلك الكتاب أصلاً.. على أي حال لا أريد أن أرى مؤلفي الثير للشقة كما هو، أسلب محتواه.. إما أن أعمل على هذا السيناريو بتفسي أو أن تلقيه الفيلم - أوه.. حسن جداً.. لكن ما تريده يا هايدن.. لست أدرى لماذا أزعج نفسي حقاً.

كلاهما كان يعرف جيداً السب، فلقد كان مؤلف «الجزيرة الصائمة» أثمن ممتلكات «وكالة دوليل فرانسيس الأدبية» في السنوات الأخيرة.. ولقد تهاافت على اختطافها دون الاطلاع عليها عدد من الناشرين على طرق المحيط، ومنذ ذلك الوقت يحاول متجمو الفيلم الحصول على حقوق التصوير، برفع أسعار عروضهم، وبتقديم السب المثيرية المذهلة، التي لم يسبق تقديمها مؤلف.. يوجه عام، منذ سنوات لم يسبق أن مزا دوليل فرانسيس، كوكيل أبي في مثل هذا السابق خلف مؤلف مبتدئ غير مغرب.. مع أن الوكيل وزبونه الساخر، كانا يدركان جيداً أن سب إثارة هذه العاصفة من الاهتمام، لم تكن جدارة الكتاب الأدبية التي لا مجال للتساؤل عنها، بل كان اسم المؤلف.

لقد كان هايدن جاكوبس نوعاً من الأسطورة في عالم الكومبيوتر منذ بروز كعييري لا يقدر بثمن وهو في السابعة عشرة، ليصبح فيما بعد على رأس أمبراطورية كومبيوتر عالمية، وهو في الثلاثين.. مع كل هذا، وبالنسبة للرأي العام، يبقى عجوزاً لا وجه له، مثله مثل بناء الأمبراطوريات، إلى أن تحطمته نفاته الخاصة في المحيط الهندي، وقيل إنه مات.

حالة الرومانسية والغموض التي اكتفت الموت المبكر للمليونير المغامر الشاب، راقت للصحافة، وسرعان ما تعلق الناس بذلك.. وأصبح المرحوم المزعوم هايدن جاكوبس مشهوراً عالياً، وموضوع عدد لا حصر له من المقالات، وكتاب عن حياته الشخصية.

ثم وبعد ستة أشهر من تحطم الطائرة، عاد هايدن جاكوبس إلى الظهور من أرض الأموات دون أي تفسير لغير بجهة الجمهور وفضوله، يرافقه العودة إلى ترقوس أمبراطورية جاكوبس، مديرأ ظهره لمنع حياة القديم، والأنكفاء للعيش في فردوس سري استثنائي.. وبالطبع، خيبة الجمهور الرومانسية انطلقت في تصوراتها أكثر مما سبق، أيام التحول الغرب من الرجل العايش إلى الناسك الغامض.. ولا عجب إذن، أنه حين خرج بأول كتاب له، وهو خيال علمي، تهافت الناشرون ومنتجو الأفلام متلهفين على الحصول عليه.

أعلن الكاتب بصرامة لوكيله:
- سأرى مرشحاً واحداً بعد.. وهذا كل شيء.

- وإذا لم يرق المرشح هذا لوقعاتك العامة.. فماذا بعد؟

- إذن ستخبر رجلك.. ما اسمه؟

- تيل هاردينغ.. ومعظم الكتاب يتلهفون على أشهر عرض سينمائي في البلاد.

لكن هايدن لم يتأثر.

- ياما كانك القول له إما أن يقبل بالسيناريو «الفج» الذي كتبه أو ينسى أمر الفيلم.

هز دوليل فرانسيس جسده الضخم، وارتدى معطفه الكشميري الأسود:

- أسلم.. إذ لا جدوى من النقاش معك.. ويجب أن أذهب الآن.. عليك إجراء المقابلة التالية بنفسك.

- بما في إن فعلت.. أتوقع مني طرح كل تلك الأسئلة السخيفة
يسفي؟

بابسامة خبطة أبرزت فننته الطبيعية:

- وهل أستخف من هذا تصدىً في قلب الصخري؟

لم يبادله دوبلر فراتيس ابسامته.. بل رد بهدوء:

- أجد تصرفك مقلقاً جداً في بعض الأحيان يا هايدن.. فليس كل

فتاة تلقاها لديها خطط سرية لإيقاعك في فخ الزواج، أو في علاقة
غرامية.. وترى هذا.

ابسامة هايدن ألانت آساريير وجه الرجل المسن:

- ليس كل فتاة..

- على أي حال، فإن الوقت متاخر جداً للإلغاء هذا اللقاء.. فقد
تصل في أيام لحظة الآن.. وأنت مضطر لرؤيتها.

- حسن جداً يا دوبلر.. سأراها.. لكن كما قلت، ستكون المقابلة
الأخيرة، وهي أكون متاكداً أنك لن تجربني على مقابلات أخرى، سأسفر
الأسبوع المقبل وأمضي الأشهر القليلة القادمة على متن يختي.. وحدى
ودون أي اتصال!

نهى الوكيل باستسلام:

- أظني أضيع وقتي في الطلب منك أن تعطي الفتاة فرصة | حسن
جداً.. إننا جايمسون ثانية مرتبة جداً.

ارتفاع صوت الكاتب مهدداً:

- إننا جايمسون؟ أليست هي من تحاول دسها لي منذ جئت إليك مع
كتابي؟

توقف دوبلر فراتيس عند الباب، وأدار وجهه ببرءاً متسائلاً:

- أكنت أفعل هذا حقاً؟ ربما.. لست أذكراً.

لم يتطرق رد فعل الرجل التفجير، وغادر الفرقة بسرعة صافقاً الباب
وراءه.

تأخرت إننا جايمسون عن الوصول، كعادتها.. حتى في اليوم الذي
ستواجه فيه أهم مقابلة لها في حياتها.. فهي لسب ما، لا تستطيع
الوصول في الوقت المحدد.. كان دوبلر فراتيس يستند إلى سيارته

- آسف.. لكنني مضطر.. إنني أساعدك منذ يومين، ولا أستطيع
الغياب عن مكانني أكثر من هذا.. خلست الكاتب الوحيد التعاقد مع
وكالتي، وتعرف هذا.. اتصل بي فيما بعد لتشوّل في كيف كانت
مقابلتك معها؟

- أوه.. إذن هي امرأة؟

أجل.. دوبلر فراتيس وهو يلحظ لهجة الكاتب المزدرية.
- وماذا في هذا؟ إنها جوهرة مكتملة.. والأكثر من هذا، ليس لديها
طموح لأن تكون كاتبة سيناريو.. في الواقع هي سكرتيرة إنتاج
متخصصة في العمل مع كتاب السيناريوهات.. لذا، فهي تعرف كل
المداخل والخارج التقنية، ولن تزعجك بضمومها البدع.. أليس هذا ما
تريد؟

بقن الوجه القاسي الوسيم دون تأثر: شابة!

فتحرّك الوكيل ببطء:

- أجل.. في الواحدة والعشرين، أو ما يقارب..

- متزوجة؟

- لا.. لكنني أظن أن لديها شابة يتضرّرها في مكان ما.. و.. هي
محترفة تماماً.. وأستطيع أن أعطيها ثقتي يا هايدن.. لن تزعجك أبداً..

فاطمة هايدن:

- أليس الأمر دوبلر.. بإمكانك إلغاء المقابلة.. ظلت أنت كنت
أوضحت لك تماماً بعد تلك الحادثة مع آخر «طاعة» أرسلتها لي أنتي لن
أتيل فتاة جبنة هستيرية أخرى، تستخدم أوراق الطباعة لتسلل إلى
حياتها..

بدأ الوكيل غاضباً حقاً الآن:

- إنها ليست من ذلك الصنف يا هايدن! لقد عملت مع العديد من
كتاب، والشكوى الوحيدة كانت أنها غير متوازنة أبداً خارج ساعات
العمل.. ولا أسمح لك أن تتكلّم عنها هكذا!

نهرس هايدن جاكوس بوجه وكيله الغاضب، والتلوى فمه الجميل

الحاكموا السوداء، وقد بدأ مباحثات نافذة الصير، يتذكرها:

- يا الهي يا إدنا.. أنت أكثر إثارة للسخط من هايدن جاكوبس نفسه. أتدرى أنني أنتظرك هنا منذ أكثر من نصف ساعة؟

- آسفه يا دوبل. لم استطع فعل شيء.. حاولت جاهدة صدقاً.

كبح الوكيل ايسامة.. هناك شيء في إدنا يدو طبيعياً، ساحراً، ومرحاً، مما يجعلها جذابة لا تقاوم حتى لمن مثله.. وقال بخشونة:

- لا يأس الآن.. دعني أنظر إليك.

أي شخص يعرفها حين جاءت أول مرة إلى لندن منذ ثلاث سنوات، كان سبجد صعوبة في إيجاد علاقة بين تلك المجهولة المسكونة على شواطئ «جزر سيشل» وبين هذه الصورة المعقولة التي لا عيب فيها اليوم.

وقال دوبل بخفاء:

- ستتعين.. قد يخطئ.. وبظنك سكرتيرة إدارية.. لكن تذكرى أن تصرفي مثلها.. إنه يتوقع خبرة تقنية ذات كفاءة.. ومهمما فعلت لا تدعيه يعلم بأنك كاتبة سياريرو.

- أجل.. أهرب.. لقد راجعنا هذا معًا عشرات المرات يا دوبل.. يمكنك الثقة بي.

هز الوكيل رأسه.. إذا كان لأحد أن يتفقد خداعاً دقبياً فهو إدنا جايرون.. فمخابئها الغنية دائمًا على استعداد لأن تخرج بتفاصيل ملهمة، تحمل القصص التي لا تصدق، قربة من التصديق.. وقال لها:

- يجب أن تستخدمي كل شيء لديك للحصول على الوظيفة.

- سأحصل عليها يا دوبل.

- لن أكون واثقاً تماماً لو كنت مكانك يا حسيتي.. إنه رجل صعب.

لكن، لمعرفته بعدم اكتراث الفتاة بالرجال كان متأكداً من أنها ستكون قضية سهلة.

- لست أدرى لماذا تريدين القيام بهذا العمل يا إدنا.. إنها خطوة جباراة لكن إلى الخلف بالنسبة لك.. وهي قد تعنى إلغاء عقدك مع التلفزيون وقد تخسرين على الأرجح عدة سياريوهات أخرى.. أتنى لو أتوك تقولين لي لماذا أنت مصممة على العمل مع هايدن جاكوبس.. فتحولت عنه:

- سأغفل يا دوبل في يوم ما.

وسارت إلى البوابة لتزن جرس الهاتف الداخلي قبل أن يتمكن من متابعة النقاش، ونادته، والبوابة تنفتح:

- سأتصل بك يا دوبل.. وشكراً لتربيتك هذه المقابلة لي.

كانت إدنا دائمًا تسعد بالحديث عن نفسها، وعن طموحها في العمل.. مع ذلك فهي لا تذكر أبداً حياماً قبل استقرارها في إنكلترا.. كل ما تذكر دوبل فرنسيين من معرفتها عنها أنها أمثل من جزيرة صغيرة نائية من «جزر سيشل» حيث استقرت عائلتها منذ أجيال عديدة.. وتتحدث بحب وفرح عن تربيتها الصارمة، وعن عائلتها المستحمرة، والتي مثل اعتداداً بعيداً لأيام الأمبراطورية الواسعة.. لكنها ترفض بحزم أن تشرح سبب تركها لما تشير إليه دائمًا بعنوان «جزيرتها».

السبب الوحيد الذي أعطته لدوبل حين سألاها:

- أردت كتابة السياريوهات، إضافة إلى هذا فإن ليون يحتاج إلى من يدير له منزله.

ليون هو آخرها الأكبر، طبيب نفسي ناجح، قرر مثلها أن يكون مستقبلاً العمل في إنكلترا.. وتشارك منزله القديم الفراز.. الواسع، في دولويتش.. وما عدهما كانت تبدو وحيدة في إنكلترا، ولم يكن دوبل يستطيع إلا أن يشعر أنها كالمسكينة خارج المياه وهي بعيدة عن شواطئ «جزيرتها» الرملية المستحمة بأشعة الشمس.. كانت تبدو أشبه بعصفور في قفص.. فرط حبها للحياة يكبحه بخاتم ما، يدت معه وكأنها تعيش على هامش الحياة.. تنتظر، أو تفتقر، أو تفتقر عن شيء ما، أو شخص ما.. تهد دوبل بصوت متخفض وهو يدخل سيارته: يبدو أن ما تفتقر عنه وجدته

في هايدن جاكوبس.

كانت إدنا تسرع الخطى عبر الممر وهي غافلة عما كان يفكر وكيلها به، وقلبه يخفق بألم في صدرها وهي تقرب من المنزل. كان المنزل غير عادي مثل صاحبها: فila يضاء أنيقة متناسقة، حديثة الطراز. رغم حالة الذعر التي كانت تملكتها لم تستطع إدنا إلا أن تعجب لانسجامه الرائع مع المناظر الطبيعية الخضراء حوله.

الباب الأمامي الواسع، كان يؤدي إلى ردهة واسعة قليلة الأناث، حيث استقبلتها فتاة شابة، شعرها الألغر المتألق يحيط بوجهها.

ابتسمت حمزة الشعر لإدنا: آنسة جايسون.. أليس كذلك؟ دون انتظار الرد، تابعت إفراق إدنا بسيل من المعلومات الودية، غير المتوقعة أبداً.

- إنني أقوم بدور الاستقبال بالنيابة عن هايدن، فليس لديه من ينوم بهذا.. ما عدا باميلا العجوز، وهي الآن في الخارج تسوق، إنها مدبرة المنزل، وهي في خدمة العائلة منذ أجيال.

كانت عيناه الزرقاوأن تحييان النظر في أنحاء جسم إدنا بفضول وفدي:

- يعجبني توبيك.. إنه من تصميم أرماني أليس كذلك؟ أيمكنك تحمل ثمنه بمتر سكريبتير؟ آسفه.. أتريني ضيقتك؟

ضحكـت إدنا، وأكـدت لها ذلك، فضـحـكت الفتـاة رـاضـية:

- أـعـرف.. أنا لا يمكنـ تشـجـيعـي.. اـسـمي جـوـسـ، وأـنـا من أـقـارـبـ هـاـيدـن.. حـاـنـاـ لـتـ فـرـبةـ حـقـيقـيـةـ، كـلـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ هوـ أـنـ أـمـيـ مـتزـوجـةـ مـنـ أـبـنـ عـمـهـ مـالـكـوـلـمـ.. وـأـنـ أـدـعـهـ خـالـيـ لـأـزـعـجهـ عـلـىـ سـيـلـ المـزـاجـ.. تـعـالـيـ.. إـنـهـ يـتـظـرـكـ، أـنـ الرـقـمـ أـرـبـعـةـ الـيـوـمـ.. أـكـبـيـنـ أـنـ تـكـوـنـ سـكـرـبـتـيرـ؟

فـأـجـابـتـ إـدـناـ كـاذـبـ بـبـرـودـةـ:

- أـعـقـدـ هـذـاـ.. إـلـاـ لـمـ قـمـتـ بـهـاـ الـعـملـ

شـعـرـتـ بـالـأـرـتـاحـ وـهـيـ تـرـىـ الـفـرـقـةـ التـيـ دـخـلـتـهـ إـلـيـهاـ قـارـغـةـ،ـ كـانـ

هـذـرـ جـوـسـ مـهـدـنـاـ لـإـدـناـ عـاـماـ جـعـلـهـاـ نـسـجـعـ شـجـاعـهـاـ وـهـدـيـ..ـ مـنـ

أـعـصـابـهاـ..ـ وـكـانـتـ الـفـتـاةـ مـاـ زـالـتـ تـنـابـعـ ذاتـ الـمـوـضـعـ

- لـاـ يـمـكـنـيـ أـنـ أـكـوـنـ سـكـرـبـتـيرـ..ـ أـظـنـيـ كـنـتـ سـأـكـرـهـ هـذـاـ الـعـمـلـ

أـعـنـيـ الـبـيـانـ عـجـوـرـةـ فـيـ مـكـتبـ طـوـالـ الـيـوـمـ،ـ أـنـلـقـ الـأـوـامـ..ـ كـنـتـ

سـأـسـجـعـ سـيـةـ جـادـأـيـ مـثـلـ هـذـاـ الـعـمـلـ،ـ أـلـبـسـ كـذـلـكـ يـاـ هـاـيدـنـ؟

إـسـتـادـرـتـ إـدـناـ،ـ يـذـعـرـ مـقـاجـيـ..ـ حـسـبـاـ رـأـتـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ غـيـرـهـاـ

فـيـ الـفـرـقـةـ الـوـاسـعـ..ـ وـرـفـتـ جـوـسـ صـوـبـهاـ:

- خـالـيـ هـاـيدـنـ!ـ لـاـ تـجـلسـ غـاضـبـاـ هـنـاكـ..ـ تـعـالـ لـلـقـائـهـ..ـ إـنـاـ نـدوـ

مـثـقـلـةـ جـادـأـيـ،ـ وـأـظـنـهـ حـلـوةـ كـذـلـكـ..ـ سـتـعـجـبـ،ـ

حـيـسـتـ إـدـناـ أـنـفـاسـهـاـ مـعـ نـصـاعـدـ صـوـتـ هـاـيدـنـ الجـذـابـ بـمـلاـ الـفـرـقـةـ

مـنـ مـكـانـ غـيـرـ مـرـئـيـ:

- هـذـاـ يـكـفـيـ يـاـ جـوـسـ..ـ أـخـرـجـيـ الـآنـ مـنـ هـنـاـ،ـ وـلـاـ تـعـودـيـ إـلـاـ

لـإـحـضـارـ الـفـهـرـةـ.

بعـدـ خـطـقـاتـ اـرـثـاـكـ وـقـعـتـ نـظـرـاتـ إـدـناـ عـلـىـ مـكـانـ الصـوتـ الـكـسـولـ،ـ

الـقـادـمـ مـنـ باـحـةـ مـرـصـوـقـةـ خـلـفـ الجـذـابـ الـرـاجـيـ.

كانـ يـرـنـدـيـ جـيـرـاـ باـهـتـ اللـونـ،ـ وـكـثـرـةـ وـاسـعـةـ،ـ لـوـنـهـاـ الـأـمـسـودـ

الـدـاـكـنـ يـتـعـارـضـ مـعـ الـخـطـوـتـ الـقـوـيـةـ الـقـاسـيـةـ لـوـجـيـهـ،ـ وـمـعـ ذـلـكـ يـرـنـدـهـاـ

فـتـنـةـ،ـ وـكـذـلـكـ الشـعـرـ الـكـثـيـرـ الـمـحـمـرـ الـذـيـ لـوـحـتـ الشـمـسـ،ـ وـالـبـشـرـةـ الـيـ

تـلـاعـبـ تـقـلـيـاتـ الـجـوـبـاـ،ـ لـشـخـصـ يـفـضـلـ الـحرـيـةـ وـالـتـحدـيـ.

سـمـعـتـ يـقـولـ:

- سـتـنـاـولـيـنـ فـنـحـانـ قـهـوـةـ مـعـ أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ

الـنـجـةـ الـأـعـيـادـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ أـعـدـهـاـ جـدـتـ فـيـ حـلـقـهـاـ..ـ وـكـلـ مـاـ

إـسـطـاعـتـ أـنـ تـقـابـلـهـ بـهـ،ـ كـانـ اـسـتـامـةـ مـوـتـرـةـ ضـعـيفـةـ

قـالـ بـعـدـ صـمـتـ فـصـيرـ،ـ كـانـ خـلـالـهـ يـدـخـلـ الـفـرـقـةـ بـخـطـوـاتـ رـشـيقـةـ

- هـلـ أـفـرـ صـمـتـ كـدـلـيلـ كـرـاهـيـةـ لـلـفـهـرـةـ؟ـ أـمـ أـلـكـ رـبـماـ تـفـضـلـنـ

الـشـايـ؟ـ

تـدـخلـتـ جـوـسـ لـتـسـاعـدـهـاـ:

- عيا الآن يا هايدن.. لا ترى أنك ترعب الفتاة؟

واستدارت إلى إدنا مبتسمة :

- لا تدعه يرهبك.. إنه يحاول إخافتك لتهرب.. الواقع أنه يفضل أن لا يعمل معه أحد.. إنك تحبين القهوة يا آنسة جايمسون أليس كذلك؟

ردت بهدوء: أحبيها.. شكرًا لك

استدارت إدنا مرة أخرى إلى الرجل متنتظره ليقوم بالمبايرة. لكن هايدن جاكوبس على ما يبدو، كان مثلها يفضل الانتظار.. فوقف هناك مسترخياً، هباء الرزقawan الفاتحان تجو لأن، دون اكتزاث، فوق جسمها.

قالت بشيء من الفضافة، بعد أن لم تستطع تحمل نظراته الباردة للقيمة :

- هل لي أن أجلس؟

- أوه.. أجل.. بكل تأكيد.. لقد توفر لي الوقت الكافي للإعجاب بشريك الرابع.. أنت لم تظلي حقاً آنسة قد أتعرف عليك في هذا الزري الجديد.. أليس كذلك؟

حسن الخط كانت قد جلست، وإلا لانهارت.. والتفت عيناها المخلتان يعنيه وهي تفتم:

- تـ.. تعرف على؟

قال ساخراً:

- إن شئت.. أذكرك أنها كما تقابليها من قبل، متذمِّنة أسيوين تقريباً.. في مطعم «ماي في».. ما عدا أنك في تلك المناسبة، لم تكوني وأكأنك الإعلان المكتمل الآناقة بل كنت كفتنة شارع مشعث.. ألهذا رفضت دعوة دويل فرانسيس للاتضمام إليها على القدام؟

ترفع جسدها المتور تلبلأ بارتباك وخيبة أمل.. كانت في الواقع، قد رأته عدة مرات في الأشهر الأخيرة، لأنها كانت مقصومة على الظهور أيامما توقع أن يكون.. وكانت دائمًا، كما هي الآن، تواجه نفس النظرة

الجوفاء.. إنها بالنسبة له لا شيء سوي وجه جميل آخر.

قالت بخففة:

- أنا آسفه سيد جاكوبس.. ما كنت أظن أنك متذكري، ولمعلوماتك فقط، أنا لم أحاوره المعجب.. إلى هنا متذكرة.. كنت فقط أحاوره لأنعطي الانطباع الجيد..

أصغى إليها بوجه جامد وعيتين فارغتين من أي تعبر.. ورأت، يائسة، أن عليها أن تكمل:

- ما أعنيه، هو أنني فكرت في أن من الأفضل أن أرتدي ما يناسب هذا الدور.. فمن المفترض أنني أنقدم إلى وظيفه.. سكرتيرة.. حفنا؟

- بالطبع.. ألم يشرح لك دويل فرانسيس الأمر؟

- أوه.. بل.. بكل تأكيد فعل هذا.. وحسب قول المعجوز، إنه يهدى إلى يائسه ما لديه: سكرتيره إنتاج خبيرة بكل أسرار كتابة السيناريو، ذكية جداً، وخبيرة، أليست هكذا؟

- أجل..

- حسناً جداً.. أنت بكل تأكيد لا تنقصك الثقة بالنفس؟

- هذا لأنني أعرف ما أنا بارحة فيه.

ما إن خرجت الكلمات منها، حتى أدرك أنها قد يقرأ فيها عنى مزدوجاً.. لساها التهور دائمًا يو COMMها بأكثر الفخاخ إثراجاً.. لكن، للعشتها لم يرد على محديها، بل سأله بغرفته:

- اسمك؛ كما فهمت، إدنا؟

أخذت نفسها عميقاً: إدنا جايمسون.

- اسم غير مألوف، إدنا.. لكنني سأرضي به.. حسناً جداً، صباح الخير يا إدنا

وابتسم، دون توقع.

خفق قلبها بعض، وقد غيرت البسمة الوجه المتجمجم الجامد، لتثير العينين المرأفيتين، وتلطف الشفتيين الوسمية، الخشنة. قال:

سألهَا ساحرًا، وكأنه يصفها بأنها تتأثر بمثل هذا الرمز للتراث: وهل
 يعجبك هذا؟
 أبقيت صوتها حلوًّا، بريئًا.
 - أوه... كثيرًا... فاثنا احب البحر، وأنا أبحر بيختنا منذ وعث
 ذاكرى هذا، لكن لم تتع لي الفرصة لهدا منذ ثلاث سنوات... لذا من
 الطبيعي أن تروق الفكرة لي.
 ابسم معترفًا لها بجريتها الحيرية في القول له إنها مثله، معتادة جدًا
 على مثل هذه الفخامة:
 - هكذا إذن... إذا كان الأمر هكذا، لا تظنين أن الأجدر بك ترك
 هذه الوظيفة إلى من يحتاج إلى المال أكثر منه؟
 ردت متصلاً: لا... لا أرى هنا
 كان هذا نفس المنطق القديم مع الفتاة الصغيرة الثرية الذي كانت
 تقابله طوان حياتها...
 - أنا لن أتركها إلا من يستطيع القيام بها أفضل مني... من تربدي
 أن أبداً؟
 لم يكمل الموضوع:
 - كم يلزمك من الوقت لتحرير نفسك من التزاماتك الأخرى؟
 دون تفكير، أجابت:
 - لقد فعلت هذا... وانا حرة للبيه مساعة شفاء.
 صمت لحظة، ينظر إليها مقيمًا ببرودة:
 - أكنت واثقة إلى هذا الحد من أنك ستحصلين على الوظيفة؟
 - حسناً... كنت متحففة، أليس كذلك؟
 شيء ما في صوته سمح الابتسامة عن شفتيها: أكنت حقًا محظوظة؟
 وبخت نفسها بعنف: أيتها الحمقاء... الرجل يتلاعب بها خطوا
 الوقت، يغازلها، ينماذر بأنه مأحود بسحرها.
 - أتفعل أشك لا تربدي؟
 - أعتقد أن هذا ما أعنيه تمامًا.

- أنا لا أندى بأوقات عمل عديدة... سأتوافق منك أن تعمل في
 أغرب الأوقات، وقد يعني هذا التقليل معي، وحتى الابتعاد عن لندن.
 ويمكن أن تكتفي بعيدًا عن الناس ثلاثة أشهر على الأقل... أيمكنك
 التعامل؟
 لم تكدر تصدق ما تسمع، وأجابت:
 - أستطيع التعامل، إذا استطعته أنت. أخبرني فقط أين، متى،
 وماذا...
 - وماذا عن «لماذا»؟
 - أوه أعر لاذ، فلا سباب خاصة، تزيد أن حمور قصتك بنقشك...
 - وهل هذا أمر غير عادي؟
 - حسناً... أجل، معظم المؤلفين يفضلون الانطلاق بكتابية قصة
 جديدة، بدلاً من التلهي بالقديمة. إلا إذا كانوا بحاجة إلى المال... ومن
 الواضح أن هذا ما لا تحتاجه أنت. لذا فات شاذ نادر... وأعجب لاذ؟
 - إذن هناك «لماذا» على كل حال.
 - حسناً جدًا... هناك نذا... لكنني لن أفترض للحظة أنك ستنشق بي
 لتفوّل في «لماذا».
 - كم أنت دققة الملاحظة... إذن أنت لا تمانعين في الالتزام في لمدة
 أشهر؟ ولكن أخذرك... سبقني بعض الآلين فقط إلى أن نتهي... أنا
 أعمل وأعيش في عزلة تامة.
 ردت ببرودة:
 - طبعاً... أين تجد مثل هذه العزلة عادة؟
 هنا... بين أماكن أخرى... حين لا تغزوبي عائلتي... وسيكون
 من ضمن حملتك إبعادهم عني...
 - أوه... لكن... أهني، بالطبع...
 - ماذا كنت ستقولين يا إدنا؟
 - فكترت... أن دوبل فرنسير قال إنك قد ترغب في العمل على
 متن يختك.

كريم بشكل مفترز، ويستحق أن يستغل. لا تقلقي، سيعملك تحديدين في اكتساب كل قرش من المربى. صدقيني.

كانت الفتاة إما غير حساسة بشكل لا يصدق، أو أنها مناورة ذكية، لكنها عكست، على أي حال، من اختراق غضب إدنا وحركت إحساسها بالمرح. وأكملت جويس هذرها:

- ولسوف تدعيني أجريب هذا الثوب الذي ترتديه، أليس كذلك؟.. أظنت من نفس القباب. أمن تستمر في شراء أسفف الملابس المزعجة لي، لكتني وائفة من أني سأكون مذهلة في هذا الثوب.

فاطعها هايدن جاكوبس صالحًا: توافقني عن هذا جويس!

- ألم تنتهي بعد؟ أنت تزعج الفتاة للسكنية منذ ربع ساعة.

رد بعفاه:

- هذا ليس من شأنك.. لا تخاوي أن تذاكي الآن يا جويس!

- أوه.. دعك من هذا يا خالي هايدن..

- أخرجني من هنا.

يا عجبًا عميق، راقت إدنا العينين الضاحكتين تبللهما الدمع.. والوجه الجميل ينكحش كوجه المهرج، ووقفت حراء الشعر متوجة ببطء نحو الباب.. كان للفتاة موهبة كوميدية بارعة.. ولم تستطع إدنا إخفاء مرحها، مع أنها حاولت جاهدة أن تحافظ على وجه وقوفه. وانفجرت ضحكتها القصبية الزئين في الغرفة الساكنة، تجذب أربع عيون تحوها.

استدارت جويس ملتفة إليها.. ووقفت لحظات تحدق مشدوهة إلى المرأة الباردة الأنثقة، التي تحولت بهذه الصحكة الرائعة المنهورة إلى شخصية شابة مذهلة.. ثم شاركتها ضحكتها. واستغرقت الفتاتان حوالي الدقيقة قبل أن تدركا أن لهما ذات الصحكة الساحرة جداً.

توقفتا عن الضحك، ونظرتا إلى بعضهما بتعود.. ثم، وقد تملكتهما الذهول لتشابه ضحكتيهما، أنسحتا الطريق إلى موجة أخرى من الضحك المنخفض.

نسينا هايدن.. ولم تلاحظ أي منها التعبير المتجمم الذي أظلم

حاولت السيطرة على رجلة تحلكتها للخيبة العميقه التي انتابها:

- أنت لم تزعج نفسك حتى في المسؤال عن مؤهلاتي أو خبرتي..

- أوه.. لا أشك فيها أبداً.. فائت جيدة.. لكن المشكلة هي أنني لا أثق بك.

- هل في... أن أعرف السبب؟

- بكل تأكيد.. لأنك مناصرة، ولست بارعة جداً في هذا. إنك مستعدة لأن تقصدني لي لأية وظيفة كانت، حتى ولو خادمة خاصة، ولست أدرى ولا أهتم بما تأملين تحقيقه من وراء هذا.. لكني أعرف شيئاً واحداً وهو.. أنك لا تسعين وراء الوظيفة.. بل ورائي أنا.

تردد صدى هذه الكلمات الخافتة بالازدحام في أرجاء الغرفة خرجت إدنا من جهودها الموقت، لتجد نفسها وقد هبت واقفة.. الإذلال والغضب أخذها فيها كل مشاعر أخرى.. مهما كان قد عني لها في الماضي، هي الآن لا تشعر سوى بالكرهية لهذا الغريب المغدور.

قالت بصوت مضموم بالكرهية:

- حتى ولو كنت حفناً، يا سيد جاكوبس.. وهذه المقابلة غيرت رأيي.. أسفت لأنخذني الكثير من وقتك.. وداعاً.

انفتح الباب فجأة، ودخلت جويس تحمل صبيحة الظهرة لتعلن بجهور، وهي لا تدرك طبيعة الجلو المتوتر في الغرفة.

- أرجو أن لا يكون هناك ذلك باس في دخولي.. لقد استخدمت سخونة الظهرة الجديدة لذا جئت بهما ساخن لتخفيتها إذا كانت قوية.

دفعت إدنا بطفق تعیدها إلى الأريكة، ودست فنجان قهوة في يدها، تصر على أن تذوقها. ثم ارتشفت من فنجان الحالها، لتأكد من النتيجة بنفسها، وجلست بسعادة على الأريكة قرب إدنا، وكان واضحاً أنها تنوی الانضمام إلى المقابلة.

هاجرت حالها: حسناً.. هل هي مقبولة؟

استدارت إلى إدنا متجاهلة صمتها:

- هل نقشتـا أمر المرتب؟ لا يجب أن تكوني متواضعة.. إن هايدن

قالت برقه: أنا.. الأفضل أن أذهب الآن.
 ارتفع صوته بشيء من الغلطة:
 - انتظري.. تدي سؤال آخر أطرحه عليك.
 توقفت إدنا.. وقال أمراً: استديرى.
 ثم وبصوت منخفض، خفف من حدة لهجه بقوله «أرجوك»
 وأطاعته، لكنها أبقي نظرها منخفضاً.
 بقى ساكناً عدة لحظات ثم قال:
 - كنا نعرف بعضنا من قبل.
 ولم يكن هذا سؤالاً.. بل كان يقرر أمراً واقعاً، وأكمل:
 - ولست أعني تلك المناسبات الماحظة التي كنت تتعالج بها، فلا
 تخاولني أن تزححي معي.. أنا واثق من أنني سمعت ضعفك هذه من
 قبل.
 اختارت كلماتها بحذر، كي لا تكون كافية بشكل منف愁:
 - بالطبع سمعتها. إنها تشبه ضحكة جويس.. وكلانا أذهله
 الشابه
 - أجل.. هذا صحيح.. لكنه ليس ما أقصد.. فقد تلذخت نفس
 الإحسان حين سمعت ضحكة جويس، لهذا الذي نقطة ضعف
 نحوها.. كما أعتقد.
 هز رأسه، وكأنما فقد الصبر مع نفسه لهذا الاعتراف غير المذر:
 - قولي لي فقط.. هل تقابلنا من قبل؟
 أخذت ترتفع، لكن صوتها خرج مضطرباً غير محدد المعالم:
 - أنا.. لا أظن هذا.. لا بد أنك تخلط بيني وبين شخص آخر.
 تحملت نظراته الطويلة الثانية دون وجّل.. ثم تفتقض الصعداء
 محدداً مع ميل فمه الثاني إلى ابتسامة.
 - إنها غلطتي إذن.. والوظيفة لك.. إذا كنت ما زلت تريدينها.
 لم يتعلّك نفسها أي بحة لنصر، ولا ارتياخ.. أدركت بأن مناعتها
 قد بدأت لتوها.

الوجه الثاني التحيل فجأة، وكانتا يتحمل عذاباً فوق طاقته، أمام
 الأصوات الفوضية.. توقف وسار عبر الأبواب الزجاجية إلى الباحة
 الكبيرة في الخارج.
 تلاشى الضحك، وحل على وجه جويس نظرة اضطراب عميق
 وألم.. أطلقت نظرة مخذلة إلى إدنا، وتسللت من الغرفة.
 انظرت إدنا بضع دقائق ثم صبت فنجان قهوة جديد، وذهبت إليه
 في الخارج، ووضعت على منضدة صغيرة..
 - قهونك.. سترة..
 بدا وكأنه لم يسمعها.. كانت الربيع الباردة تتلاعب بشعرها القصير
 وهي تنظر حولها تتعرج على بوادر الربيع المبكرة في المروج، لكنه تتجه
 النظر إلى القلق الذي يعم وجه الوسيم..
 لكن صوته كان هادئاً ومنخفضاً حين تكلم: أتعيشين في لندن؟
 - أعيش الآن.. جئت إليها منذ ثلاث سنوات.
 - من أين؟
 - من جزر سينيل.. سانت ياتريك..
 - أعرف سينيل جيداً، لكنني لا أظن أنني زرت جزيرتك بالذات..
 - إنها جزيرة صغيرة جداً، غير مسكونة تقريباً.
 لكن عينيه الزرقاء في المركزين على وجهها الشاحب سلبتها القدرة
 على الكلام..
 نظر إلى بعضهما، كانا متبعدين، ومع ذلك، كانت عيونهما
 مشتبكة وكأنما ياتصال جسدي.. ولأول مرة، لم تجد في عينيه البرودة
 المهدبة، ولا الدفاع الساخر والكراء.. أخيراً شتم، وكانتا يكلّم
 نفسه:
 - إدنا.. إدنا جايسون.. أليس كذلك؟
 هزت رأسها، تحبس أنفاسها.. وللحظات لا نهاية لها بدا لها
 وكأنه يتصارع مع ذاكرته.. يحاول إيجاد صلة ما.. لكنه هز رأسه
 أخيراً.. وعرفت أنه يغلي بإحساس غاضب.

- إدنا .

توفقت متسمرة في مكانها: نعم؟

أكمل ينفس الصوت الدافئ المتخفظ:

- هناك شيء واحد من الأفضل أن أذكره قبل أن تبدأ.. بما أننا سمعيش متلاصفين، أعتقد أنتي بحسب أن أطلعك على سر.. ولا شك أنك سمعتني به من جوبي أو أي عضو آخر من عائلتي المعيبة.. لذا، من الأفضل أن تسمعه مني.. ولو أهينك بالطلب منك إيقاوه لنفسك، كان قلبه يخفق عاليا حتى أنها ظنه سمعته.

- لقد سمعت عن اختفائي منذ ثلاث سنوات؟

هزت رأسها: أنا.. قرأت عنه.

- أجل.. فكرت بهذا.. حسنا، ألا تودين أن تعرفي ما حدث لي خلال السنة أشهر التي لا أحب لها حساباً، في حياتي؟

- ببل..

- الأمر بسيط جداً.. الحقيقة، أنا لا أعرف.. أقربي.. لقد فقدت ذاكرتي.

بدا صوته عفويًا وكأنه يتحدث عن صداع خفيف مع ذلك كانت إدنا تعي عذاباً داخلياً في أعماقه وكذلك الجهد الذي يتذلل ليقول هذه الكلمات بصوت مرتفع.

لم يحاول اختراق القسم الطويل.. وأخيراً رفعت عينيها لتلتقي بعينيه مباشرة.. فابتسم:

- لا تبدو عليك الدعنة، أو الصدمة.. ربما لم تفهميني جيداً.. هناك ثمرة سوداء في حياتي.. ستة أشهر سوداء.. ستة أشهر عشت فيه كشخص آخر، وليس الذي فكرة، ولو خطابية، أين، كيف أو من كنت، والأكثر من هذا، لا أعرف ما كنت أنهى خلال تلك الأشهر.. وكان يمكن أن أقتل، أسلب، أغتصب، أو...
قطعته تهري له كلامه:

- أو تخون ثانها، ضائعاً، مشوشًا.. لكن على الأرجح وأنت عاقل

قالت، حين وقفت من أن صوتها ان يخوها: أربدها.. شكرألك.

تم بخشونة:

- لا تشكربني.. أنا فقط مستعد لأن أحجز.. لكن لا تفهميني بشكل خاطئ.. فانا مازلت لا أثق بك.. أحسست أن مشاعرها قد جرحت وأنت ضعيفة، كادت أن تصيب بدورك نعنة القسوة المميتة لقوله هذا، ثم ردت بحدة:

- أفهم هذا.. متى.. تربدي أن أبداً؟

رد بالختام:

- صباح الفデ.. نظرتني في نعنة قبل أن نقرر مهاتيأ.. في هذه الأيام، أقترح أن تنقل للسكن هنا.. فكما قلت، أنا لا أتزور أوقات عمل عادية، وأفضل أن لا تعودي إلى منزلك في ساعة متأخرة من الليل.. استدار فجأة ونظر إليها ببرودة:

- باميلا، مدبرة متزلي، تعيش هنا بشكل دائم، في حال تساملت.. أينماك هذا؟

مرة أخرى هزت رأسها موافقة:

- أقمني لو جئت معي بطايعتي الاليكترونية؟ أنا أكتب.. أعني أطبع عليها بسرعة أكثر..
ابسم آيا:

- لا تزعجي نفسك.. استخدمي طابعي.. إيهما في مكتبي.. أطلبي من جوبي أو باميلا أن ترباك المنزل.. هل هناك شيء آخر ترغبين في معرفته؟

هزت رأسها نافية.. وهي ترى تفاصيل صبره الواضح لإيهما المقابلة.. كان يقف قرب الباب السطحي الموصى إلى الردهة، يسد عليها طريق المخرج.. غبت، تسأله، كيف ستتمكن من حشر نفسها لنمر من أيامه:

- أنا.. سأمر بك غداً..
انحنت تلتقط حقيبة كتفها.

كما أنت الآن.

ولكن مقاطعتها المفروضة عليه أحفلته.. فابسمت معتبرة:

- أخي عالم نفسى. لذا سمعت بمثل هذه الحالة من قبل، وأذكره يقول: «إن الرجل الذي يعاني فقدان ذاكرة مؤقت هو كالشوم مفناطيسياً، نادرًا ما يصرف عنك طبيعته الأساسية».

فقال ساخرًا منها بلهف:

- نادرًا فقط؟ إذن هناك استثناءات للقاعدة.. على كل حال.

- أظن هذا، لكنني لا أظنك واحدًا منها.. ولا تصدق هذا يا سيد جاكوبس

تالق الوجه الوسيم بابتسامة واسعة، ولأول مرة سمعته يضحك عاليًا:

- حسأ جدًا إذن.. وأسمى هابدين على فكرة..
مد يده لها، في إشارة رسمية ساخرة، فترددت لكنها أخيراً تركته يأخذ يدها بقضبة القوية الدافئة. قال مبتسمًا لها:

- ستتنحن بأنتي لست قاتلًا أو مخنصباً، لكنك ستجديني متقلب المزاج لا يمكن التكهن بهصر فاني.. من الأفضل أن لا تسألي شيئاً في مثل تلك الأوقات أو تحاولني إبداء الشفقة.. فقد أفقدت أعضائي لو أن شيئاً لامس وترأ حساماً.. كما حدث.

- كما حدث حين سمعتني أضحك.

خرجت منها الكلمات دون أن تعنى ما تقول.
الصمت الذي تلا أربعها.. استرقت نظرة من تحت أهدابها متوقفة
أن تسع تائياً ماختطاً لمقاطعتها التي لا داعي لها، لكنه نظر إليها
بابتسامة دائمة غريبة لكنها كانت تعرف أنه لا يراها. بل يرى شخصاً آخر.. شخصاً لا وجه له أو جسد.. إنه يرى شبحاً.

قال بصوت خفيض، وكأنما يتحدث إلى نفسه:

- أجل، كما حدث حين سمعت ضحكتك.. فانا والآن من أنتي
سمعتها من قبل.. ولكن في مكان آخر.. مكان دافئٌ رطب.. حيث

لم يكن ليون متخصصاً جداً إلى تورطه في هذه القضية بالذات، فالزوجان لم يجدا في جيوب الرجل أي جواز سفر، لا بطاقات، لا شيء في الواقع يمكن أن يعرف عن الرجل فاقد الوعي. وكانت أول فكرة للبيون أن يكون مطارداً، محظياً. طالما كانت جزيرة سانت باتريك تستخدم كملاذاً آمناً لآمثال هؤلاء. فقد كان سكانها قليلاً، معظمهم من أهل البلاد الأصليين، وأسرة جايمسون كانت العائلة الأوروبية الوحيدة.. ولأن الجزيرة لا أهمية سياسية لها، لم يكن فيها شرطة، ولا مثل حكومي، ولا تسهيلات سياحية. لهذا كانت توفر خيراً موقتاً للمطلوبين والمتاردين.

على كل حال، ولكونه طيباً، لم يستطع ليون رفض فحص الرجل المريض، كما أن إدنا، التي لم تستطع يوماً مقاومة فضولها الذي لا يتبع، أصرت على المجيء معه. وهكذا غزا مايلز حيابها.

كانت يومها في التاسعة عشرة من عمرها، وقد عادت لتوها من ست سنوات طوبيلة في مدرسة داخلية في إنكلترا. أبوها كان يشعران بأنها يجب أن تعود إلى إنكلترا لتحصل على درجة جامعية، لكنها بقيت توخر الموضوع. كانت تحب جزيرتها بشغف، وقد اشتاقت إليها كثيراً وهي في المدرسة. العالم الخارجي كان يمثل لها سباقاً مسحوراً من التحدى والمنافسة لم تكن مستعجلة للانضمام إليهما. أما حيابها الاجتماعي فالدكتور ليون، فقد كانت تحب كل للرج والصحبة التي تحتاجها بين العديد من الأصدقاء في الجزء الأكبر حجاً. أما بالنسبة للعمل، فقد كانت قررت منذ زمن أن تكون كاتبة. وكانت قصصها قد بدأ تنشر بانتظام في إنكلترا، لذا لا حاجة لها لأن تتابع عملها خارج سانت باتريك. أما الحب، فهذا أمر آخر، فهي أرادته، وحملت به، وكسبت عنه دونها نهاية في قصصها. لكنه لم يعرض لها أبداً إلى أن التقى مايلز. كان مستلقياً على فراش خشن، في كوخ الزوجين، وجهه الشاحب كالآموات لا يكاد يبدو خلف حية نامية منذ العديد من الأيام، والتي

٢ - جزيرة الأحلام الضائعة

أريد مساعدك تضحكين مرة أخرى.. ذات الصوت.. ذات الإبتسامة الدافتة.. ذات الأوامر الحميمة.. وكانتما التوقيعة الرخامية الياردة لل الكتاب انشقت منفتحة، لخرج عن الرجل الذي فقدته منذ ثلاث سنوات.

- أوه مايلز!

رأت الغرفة بصدق الاسم، ونظرت حولها بذراع خشية أن يكون ثمة من سمع آهنتها غير الخنزير. لكن، لم يكن هناك أحد. وغاصت في عمق مقعد بذراعين، كان يجلس عليه قبل قليل.

مايلز..

هي التي أعطته ذلك الاسم، حين قال لها صوته مثلث بالرعب، إن لا اسم له.. لم تكن متأكدة لماذا شعرت بهذا الاسم بالذات لكن قسوة الاسم وقلة ليونته، كانت يمكن شيئاً من الرجل الذي انمحى منه كل ماضيه، بخسارته لذاكرته، وارتعى في جزيرتها، وفي حياتها.

صائد أسماك، من أهل البلاد الأصليين، وجده على الشاطئ، وحمله إلى كوهن الترب. بقى في غيوبة ليونين قبل أن تلاحظ امرأة الصياد، وهي مربية أطفال قديمة لأن جايمسون، الكبدمة في مؤخرة رأسه. وقررت أن تخبر زوجيتها، فالرجل كان يحتاج إلى عناية طيبة، ولحسن الحظ، كان الدكتور ليون شقيق إدنا الأكبر في وطنه، عائداً من بريطانيا في عطلة الميلاد.

كانت، مثلها مثل شعر الأشقر القاتم، مليئة، ملتصقة من جراء مياه

البحر. وكانت عيناه مغمضتين، كما أن جسده النحيف كان جامداً
شكل يندر بالخطر.

استدارت إدنا إلى أخيها:

- إنه بيت يا ليون... أليس كذلك؟
ليون، بخبرته لأربع سنوات في المستشفى، أمرها ببرود أن تخرج إذا
كانت ستر عوجه.

- إنه لم يمت... ليس بعد... لكن إصابته شديدة، دون كسور، ولا
أثر لتربيط. لا شك في أنه قوي جداً ليتجو من مثل هذه الضربة الخطيرة
على رأسه.

ربما كان السبب هو الأصوات باللغة الانكليزية، أو مجرد صدفة.
لكن الجفدين الثقيلين تحركاً، وفجأة افتتح عيناه، يخلق مباشرة يعني
إدنا. كان يرحب بها ليس كفرية، بل كصديق أهل للثقة... وابتسمت
له وتحقق قلبها حين استجابة.

سألَ ليون بحذر: أنتكلم الإنكليزية؟
لم يستطع الرجل سوى هز رأسه إيجاباً بضعف شديد... ووضع ليون
يدَه على كتفه.

- إيق هادنا ولا تحاوِل الكلام... لقد كنت فاقد الوعي لعدة أيام...
وبما أنني لا أملك آية وسائل هنا، لا أستطيع الحكم على حالي... وقد
اضطر إلى نقلتك إلى المستشفى الرئيسي في «ماهي».

سارعت إدنا تشرح له:
- ليون طيب، إنه أخي، وأسمى إدنا.

- أصستي يا إدنا... ليس هناك ما أستطيع فعله لك الآن، منتظرة
إلى الغد ونرى... على أقل أن يفيضك النوم... سأعود في الصباح.
قاطعته إدنا بتهمورها المعتاد:

- هاـي... انظر حلقة يا ليون... أتفكر في أن تتركه هنا؟ ستنقله إلى
منزلنا.

قاطعها ليون:

- لا... لن نفعل هذا، فعدا عن الواقع أن ليس بالإمكان تخريكه في
حالته هذه، لا أظُن أن أي سير باستقبالِ رجل مطلوب.
- إنه ليس مطلوباً يا ليون... فاللآخر لم يظهر عليه أبداً حين كلمته
عن نقله إلى الجزيرة الكبيرة... ولو كان هارباً لاضطراب
السماع انزع في العينين الزرقاويين القاتيين كان مكافأتها الوحيدة.
مررت ثلاثة أيام قبل أن يستيقظ تماماً ويتكلم... أولى كلماته لم تكن
مفهومة، وكانتا الآتین... ثم ذهلت إدنا فيما بعد وهي التي كانت
تلازمه يومياً، لتعليقاته التي كان يطلقها فجأة... كانت تجلس واضعة
رجلاً عن رجل قرب سريره الموزق... تنشر قطعة مانجو ضخمة، وتقطّع
 وجهها بالعصير المتاثر، حين جعلها صوته تقفر رعباً.
- إذن فهم يأكلون... نظالاً ظنت أن الأرواح هي أرفع من أن
تناول الطعام.

ردت بعد استعادتها وعيها من الصدمة المؤذنة
- بالطبع يأكلون... وأنا لست روحًا.

- إذن هي غير مسحورة؟

عرفت على الفور ما يعني، وكان عقلهما متجاوِبان:
- جزيرتنا؟ ليس هنا... لكن أشي تحب أن تظن أنها جزيرة
الفردوس...
- أوثقة أنت من أثك لست روحًا؟

الفجرات إدنا ضاحكة، ورأت عينيه تشعل سعادة دافئة
- لا... لست روحًا بالتأكيد... بل أنا بشر مثل تلخبط جداً، لو
سألت عن ليون أو أي...
لم يعد بحاجة لأن يسأل شيئاً عن الجزيرة أو عنها، فقد خصصت

أوقاتاً له... في تلك الأثناء، حظر لها أئمَّ حسني الآن لا يعرّفون
اسمها... ولاؤن مرأة، رأت النظرة المبكي المذعورة، التي ذهبت بليمان
عينيه الزرقاويين... وقال بعد حسمت طويلاً، وكأنه يجدث نفسه

- لا أعرف.. ليساعدني الله.. أنا لا أعرف.

لم يعد في إمكانها تبيان تلك الساعات المخفة التي مرت به بربع بعد أن استوعب بالتدريج وضعه.. كان لا يذكر شيئاً آبداً.. لا منزله، أو أهله، أو عمله.. ولا أي دليل واحد عن ماضيه.. كل ما عرفوه عنه أنه إنكليزي في أوائل الثلثين، متعلم، عليه دلائل التخرج من جامعة أوكسفورد على الأرجح، حكمًا على لكتبه وتصوفاته.. وهذا كل شيء.. - رجل بلا ماضي!

حين تخبرت ليون بحالة الرجل، قال لها إنه على الأرجح مصاب بفقدان ذاكرة مؤقت، وهذا يحدث عادة بسبب الإصابات السيئة في الرأس والتي تتسبب بدورها بارتجاج في المخ، وزنهما لن تساعد، بشيء ينورها وخرقها ومن الأفضل أن تعطيه اسماء.

من لا شيء، ولا مكان، تنفست قائلة: مايلز.. سادعوه مايلز.
سألها ليون: لماذا؟

- لا أعرف.. يبدوا لي مناسباً، أتفاني؟

واستدارت إلى الرجل.. شيء ما في روحها المعنوية المرتفعة احترق صدمة الرعب فيه، وأجب بابتسامة كسل:

- ولم لا؟ وماذا في الاسم على أي حال؟ أعتقد أنت يجب أن تكون شاكراً لك ذلك لم تسميني اسمًا سخيفاً.

كان ليون يراقبه مفكراً.

- قد يكون هذا اسماً من ماضيك.. كل صلة مثل هذه لها قيمتها، وكلما تكلمت أكثر ستتعيد ذاكرتك بشكل أسرع.. أما الآن فلا شيء تستطيع القيام به.. عليك فقط أن تعيش كما أنت.. وابتسم، ليتوقف عن كونه الطيب، ويعود أخاه المرح الذي تعرفه.. وأكمل:

- بإمكانك أن تشكر حظك الطيب.. ليس بالإمكان أن تخد نفسك في مكان أفضل من سانت باتريك.. فهي المكان الأمثل لحياة هادئة مسالمة.

بعد أسبوع من هذا أصبح مايلز أكثر صحة، ما عدا نوبات صداع متكررة، انتقل للسكن في منزل مزرعتهم الكبير، وكانت هذه فكرة ليون، حيث قدماء إلى والديهما كصديقين للبيون، قادم من إنكلترا إلى البشل لاستعادة عاقبته بعد مرض طويل، وأدخلت إدنا، وعياتها تعمل أو قاتاً إضافية، عملاًًاً لراغبات محتملة، بمعلومات مبتكرة عن ماضيه.. كان مايلز، وحسيناً افترضته خيلة إدنا، كاتب سيناريو، أحد أصحاب اختياره لسان باتريك، هو سيناريو فيلم يعمل فيه، وتحري أحدهاته في جزيرة معزولة في المحيط الهندي.

الفت إليها مايلز يسألها وها وحدها:

- ولماذا كاتب سيناريو؟ لماذا ليس كاتب قصة؟

- لأن والدي مدين قراءة، وقد يرغب في قراءة أحد كتبك.. من ناحية أخرى إنه يكره السينما والتلفزيون.. وليس في الجزيرة تلفزيون.. هكذا ستكون أمّاً جداً من هذه الناحية.

قبل مايلز شرحتها:

- حسناً جداً.. لكن لماذا مجال الكتابة أصلاً؟

- لا أعرف.. أحسست أنه مناسب لك..
ضحك:

- إنني في الواقع أجد الفكرة مثيرة.

لم يكن هناك شك بأن مايلز كان يحب حياة رغد في ماضيه.. فعدا عن علمه الواسع جداً، وذوقه الرفيع المحنك، بما عتاده على جميع أنواع الرياضة المائية.. فرغم حالة الصحية الصعبة، ثبت أنه متزوج مائة عظيم، غطاس، وسباع مسافات طويلة، أفضل بكثير من ليون وإدنا.. وأخذ يقود يخت العائلة بخبرة ممتازة، أثارت غيرة ليون المرحة.

بعد أسبوعين أصبح من الصعب تذكر الظروف التي جاءت به إلى حياتهم.. فقد أصبح ليون صديقين حميمين، يعاملانها بمحب مشتر للسخط، كآخرين أكبر منها.. كانوا وأكاليم يتضورون عطلة رائعة معاً.. ولكن تلك النوبات من الصداع الحاد وحدها بقيت تذكرهم بحالة مايلز

القديمة التي قاربت الموت.

لكن ومع تصاعد الإحباط عند إدنا، كان مايلز كلما تحسنت صحته، كلما يبتعد عنها.. يدا وكتابه متفرق بعزلة الجزيرة الصامدة وغاباها وبالتالي.. وبتلك الصحراء الزرقاء الممتدة للمحيط الهندي.. حين كانت نلاحة، كان يوافق على الانضمام إليها في نصبة أوقافها، ولكن، كان من الواضح لها أنه يفضل الوحدة مع نفسه على مصاحبها. صاح بها ليون مرة، قبل مغادرته إلى إنكلترا:

ـ دعه وشأنه يا إدنا.. لا ترين أنه يمر بالجحيم؟ حاولي تصور نفسك تستيقظين يوماً، ليجدهي أثنك غريبة عن نفسك، وإن لا ماضي لك.

كما حدث، كانت مهنة مايلز المزعومة مجالاً للهرب نحو الخيال.. كاتبه للفيلم كان المهر ليقائه بعد عودة ليون إلى واجهاته في المستشفى في لندن.. وكتاباته أعطت العدل الجيد لإرنا، لقضاء معظم وقتها معه.

دخلت غرفه كالعادة تعلق في الصباح التالي لرحيل ليون:

ـ الفطور جاهز.. لقد انتهت الإجازة.. انقض من السرير يا مايلز.

كانت قد اكتشفت أن مايلز لا يكون في أفضل حالاته صباحاً.. كان ما زال يحتاج إلى ساعات نوم طويلة.. ثسم والتسعاء يغلبه:

ـ أبعدني عن يا إدنا

ووضع رأسه تحت الوسادة ليتجو من نور الصباح.

ـ أوه.. لا.. لن تفعل هذا.. إنك ستبهض وتأتي معي إلى سفينتي على الشاطئ.. لقد وصلت طايحتك لتوها من «ماهي».

ـ تأوه مايلز:

ـ عم تتكلمين بحق الله؟

ـ عن الكتابة.. هذا ما أتكلم عنه.. أنت كاتب، إلا إذا ذكر؟ لذا من الأفضل أن تقوم ببعض الكتابة.. كي تسكت والدي.

ـ أبعدي هذا البيكيني عن غرفتي.. قد أكون فقدت ذاكرتي..
لختني مازلت أذكر ما يمكن أن أفعل لأمراها
آخر وجه إدنا.. وأحسست بارتباك سخيف، كأنها المراهقة الصغيرة.. قالت تداعي عن نفسها:
ـ أنا دائمًا أبدأ صباحي بالسباحة.. فلا توقع مني أن أغير ملابسي لأنك تعيش معنا..
جالت عيناه على جسدها الذهبي النافر الذي ما زال يلمع ب قطرات الماء المالحة..

ـ لن أحلم بهذا.. طلاماً تبتعدين عني وأنا أنام في مثل ثيابك تقريباً..
حاولت إعادة دوريهما الجديدين إلى الدورين المريحين المألوفين، هو الضيف المريض الذي يستعيد عافيته، وهي السيطرة:
ـ أوه لا تكن متكلناً الاختشام هكذا يا مايلز..
انقلب ضاحكاً من وجهها الساخن ليخرج من السرير برشاشة الحيوان الكسو، وليتقدم إلى الباب حيث تقف.
ـ من هو المختصم الآن يا إدنا جايمسون؟

لاحظتها ضاحكة وهي تهرب من الغرفة بذعر..
غطت نفسها بأحد قمصان ليون، مع بنطلون جينز مقصوص عند الركبتين.. وكانت غاضبة من نفسها أن جعلت يرهها.

متزوج أسرة جايمسون، الصلب البناء، كان يقع على بعد بضع مناس من الأمتاز صعوداً في التل، خفي تقريباً عن الأنوار يستار من أشجار الحور القديمة؛ وأداءه استوائية.. درج صخري ضيق متلوّ كالآفعى، كان المر الوحيد نزواً من المتذر العاد إلى الشاطئ الرملي الأبيض، حيث «مكتبتها» المترجلة، التي كانت في الواقع سقيفة مكتشوفة مقاطة براوح عملاقة من أشجار التخل، توفر لها منظراً لا يعترضه شيء، للمحيط الأزرق الكسو، وللخليج الصغير حيث يرسو يخت الأسرة وسيطهم الوحيدة للوصول إلى الجزء الرئيسية، والدعا المحب للكتب، كان معجبًا باختيارها لستقبالها المهن، وقد وصل الساقية البدائية بمولد

كهرباء المترال كي ينتهي لها العمل بعد حلول الظلام، وقبل أي شيء آخر، للتمتع بفخامة العمل على طاعة الكمبيوترية.. أما ما تبقى، فكان بسيطاً، بضعة كراسٍ هزازة ومضداناً قابلتان للطهي.

إلى أن انسى إليها مايلز في «مكتبتها»، كانت قد عادت إلى سيطرتها على نفسها مجدداً.. وجعلته يجلس في مواجهة الآلة الكاتبة البدوية الصغيرة التي طلبتها من «فيكتوريا» منذ بضعة أيام، وأمرته أن يبدأ العمل.. ثم تركته لتقوم بالراحة التهائية لآخر قصة لها، وهي مستقرة على صخرها المقفلة، قديماًها متدينان فوق مياه المحيط المترقرق بلطف.

أمام ذهولها، تناهى إلى سمعها صوت طقطقة الآلة الكاتبة.. بطيئة متعددة في البداية، ثم سرعان ما بدأت تزيد من سرعتها، ليصبح في النهاية طقطقة عمل طبيعي.

تركه يعمل وحده ساعة، ثم تقدمت بهدوء لتقف خلفه.. لكن وجودها لم يوقف تدفق عمله.

لم تستطع أن تخون نفسها من التعليق:

- هذا ليس سيناريو فيلم إيه ييدولي وكأنه بداية لقصة..
وافق قائلًا بهدوء.

- أعتقد هذا.. لا أعرف كيف أكتب سيناريو.. ولا أظن أني رأيت واحداً من قبل.. آسف يا سيدتي.

تحتت له بذبب: هل لي أن أقرأ الصفحات الأولى؟

رد ساحراً، وهو مايلز يطبع: بكل تأكيد معلمتي..

أول ما صدمها، كان الشنة الواضحة بالذكاء الصناعي وعلوم الكمبيوتر.. وتحتمت:

- ييدو أنت تعرف الكثير مما يتعلق بالكمبيوتر..

- أكمل طباعته متعمقاً: ألا ييدو هذا؟!

- أليس غريباً أن لا تذكر شيئاً من حياتك الخاصة، مع أنك تذكر كل هذه المعلومات التفصيلية، التي من الواضح أنك عرفتها غير

دراساتك وقراءاتك؟

لم يرد.. بدا أن الفكرة حضرت له كذلك

كان يصل إلى كتابة قصة خيال علمي تلقائياً.. كانت فترة النصمة هي الحاضر، لكن حكتها تشمل النساء عوالم ثلاث، الماضي والحاضر والمستقبل فوق جزيرة صغيرة غير مسكونة في المحيط الهندي.. التدفق التكريكي العلمي، كان مناسباً جداً مع حبكة غنية مذهلة، بدأ لها واضحة منذ الفترة الأولى..

قالت بمحض:

- حسأ.. حسأ.. كل ما عليك لتعيد ذاكرتك يا مايلز، أن تبني إلى جانبك.. يبدو أنني أصبت الهدف حين جعلت منك كائناً.. وأنت كائن فعلًا.. أعني كنت كائناً في حياتك الأخرى..

عادة كان رد فعله الشامخ مع تخيّلها المجنونة حول ماضيه.. لكن هذه المرة استدار إليها متوجهماً، مفكراً:

- لا أظن هذا يا إدنا.. منذ بدأت أكتب، أحسست أن شيئاً في داخلي أطلق سراحه، متحرراً من سجن نفسي.. أحسست أن طفل صغير شرير يتفسّس سراً في لعبة عمرة، بدلاً من القيام بوظائفه المدرسية.. وأظن أن هذا يعني أنني طلباً أردت أن أكتب، ولكنني لم أكن أشعر بأنني حر في ذلك

فقد إندا الاهتمام بعملها، وتقدمت فوق الرمال البيضاء لتجلس عند قدميه الحافيين، تتلتف الصفحات المتشبهة واحدة واحدة، وبسرعة مذهلة.. لم يكن يندو عليه أنه يماني في تطفلها على عالمه الخاص.. بل في الواقع بدا غافلاً عن وجودها.. فأحسست بالخسدة للسلطة التي يحد فيها الكلمات المناسبة دون جهد والبداية الصحيحة لكل جملة.. أول نسخة كانت لا تكاد تحتاج إلى تصحيح.. حتى مجئه للكلمات كانت دون خطأ..

كانت الشمس قد بدأت ببطء رائعة حراء فوق الأفق الضبابي حين رفعت نظرها إليه عيناها واستعنان حاليان تتألقان بإدراك استوعبت

لوعا

- مايلز!

صوتها المرزبـن جعله يتوقف وبخفـض نظره، إن وجهـها الذي ظهر

عليـك الارتبـاك.

- مـاذا تعرف عن «العاـصـفة»؟

- إنـها آخر روايـة لـشاـكـسـير، الجـرـيراـة المـسـحـورـة.

صـمـتـتـ فـيـهـمـ مـفـاجـيـهـ مـاـ يـقـولـهـ وـ قـالـتـ لـهـ:

- أـنتـ تـبـيـ قـصـتكـ عـلـىـ نـسـطـ «العاـصـفةـ».

نـظـرـ إـلـىـ بـعـضـهـمـ يـصـمـتـ فـجـأـةـ انـفـجـرـتـ إـدـنـ ضـاحـكـةـ. وـ وجـهـها

لـشـرقـ يـنـأـيـ بـالـثـنـةـ أـمـامـ عـيـنـهـ الزـرـقاـوـينـ.

فـالـبـصـوتـ خـفـيـضـ، لـاـ يـكـادـ يـسـمعـ

- أـحـبـ ضـحـكـتـكـ.. إـنـهـ الشـيءـ الـوحـيدـ الـذـيـ يـجـعـلـنـيـ أـصـيرـ عـلـىـ هـذـاـ

الـجـعـيمـ الـذـيـ أـنـاـ فـيـ.. لـاـ.. لـاـ تـوـقـنـيـ

مـدـ يـدـهـ يـحـتـويـ رـأـسـهـ بـيـنـهـمـ فـقـدـتـ أـصـابـعـهـ الـطـوـيـلـةـ تـحـيطـ بـجـانـبـيـ

وـجـهـهاـ الطـفـوليـ الصـغـيرـ:

- لـاـ تـوـقـنـيـ عـنـ الضـحـكـ.

كـانـ أـصـبـاعـهـ يـمـرـانـ عـلـىـ جـيـهـنـاـ الـعـرـبـيـةـ، وـكـانـمـ يـخـاـولـ عـوـنـ شـطـبـيـةـ

عـمـيقـةـ فـيـهـ. وـكـانـ تـأـثـرـهـ يـدـفـعـ يـدـيـهـ بـقـدـرـ صـمـدـهـ مـنـ اـرـبـاكـ، لـذـلـكـ

اعـذـرـتـ بـصـوتـ أـجـشـ:

- لـاـ أـسـطـعـ يـاـ ماـيـلـزـ.. لـمـ أـكـنـ أـدـرـكـ أـنـكـ حـزـينـ هـكـذاـ.

نزـلـ عـنـ كـرـسيـهـ لـيـرـكـعـ عـلـ الرـمـالـ النـاعـمـ، وـهـوـ يـعـنـيـ رـأـسـهـ يـتأـمـلـ

وـجـهـهاـ عـنـ قـرـبـ:

- لـسـ حـزـينـاـ فـيـ هـذـهـ النـحـظـاتـ.. لـقـدـ مـلـأـتـ أـنـتـ الـهـوـةـ الـفـارـغـةـ فـيـ

حـيـاتـيـ.. فـلاـ تـظـهـرـيـ بـمـظـهـرـ الـكـرـبـ هـذـاـ.. هـيـاـ.. يـاتـسـعـيـ لـيـ.

هـسـتـ، وـهـيـ تـخـيلـ الـحـيـاةـ الـآـمـةـ الـتـيـ عـاشـتـهـاـ، وـلـيـدـاـ باـرـعـ

لـفـكـرـةـ العـيـشـ دـوـنـ ذـاـكـرـةـ.

- أـوـهـ.. مـاـيـلـزـ.. أـنـتـ لـوـ أـسـطـعـ فـعـلـ شـيـءـ.

ابـتـسـمـ لـهـ:

- كـوـنـ هـنـاـ فـقـطـ.. هـذـاـ يـكـفـيـ.. أـوـهـ.. بـحـقـ السـاءـ.. لـاـ تـبـدـأـيـ
بـالـيـكـاءـ يـاـ حـبـيـتـيـ، هـذـاـ لـاـ يـسـاعـدـنـيـ أـيـداـ.. وـتـعـرـفـنـ هـذـاـ.
- أـنـاـ آـسـفـةـ.. لـمـ أـسـطـعـ مـنـ نـفـسـيـ.

هـبـطـتـ بـدـاهـ عـلـ كـتـفـيـاـ التـهـاـرـيـنـ وـهـوـ يـتـأـوـهـ وـضـمـهـاـ بـيـنـ ذـرـاعـيـهـ،
يـضـغـطـ رـأـسـهـ يـقـوـةـ عـلـ صـدـرـ الدـافـقـ، يـوـاسـيـهـ وـكـانـهـ مـنـ الـتـيـ قـرـ
بـالـجـعـيمـ.. وـلـيـسـ هـوـ.

أـخـيـرـ أـضـحـكـتـ وـهـيـ تـرـجـفـ:

- هـاـ إـنـتـ لـمـ أـعـدـ يـكـيـ.

وـرـفـعـتـ رـأـسـهـ، لـكـنـ اـبـسـامـهـ جـدـتـ قـبـلـ أـنـ تـكـوـنـ. كـانـ وـجـهـهـ
عـلـ بـعـدـ إـنـشـاتـ مـنـ وـجـهـهـ، وـفـتـحـتـ هـيـنـيـاـ الـوـاسـعـيـنـ وـهـيـ تـرـىـ الـشـاعـرـ
فـيـ عـيـنـيـهـ.

لـمـ تـكـنـ لـدـيـهاـ الـقـدـرـ وـالـإـرـادـةـ عـلـ إـيقـافـ الـعـنـاقـ. وـنـسـبـتـ كـمـ هـاـ
مـكـشـوـفـانـ فـيـ السـيـقـيـةـ الـمـفـتوـحةـ.

الـشـفـقـ فـرـاعـهـ حـولـ خـصـرـهـ التـحـيلـ، وـجـلـدـهـ إـلـيـهـ، يـعـنـيـهـ بـلـطفـ أـنـ
تـسـتـجـبـ.. يـدـاهـ تـهـمـسـ بـدـفـهـ خـتـانـهـ عـلـ الـاـسـتـيقـاظـ، أـنـ تـثـورـ عـلـ
سـبـطـرـةـ الـعـقـلـ.

جلـسـ ماـيـلـزـ عـلـ رـكـبـيـهـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ مـبـسـماـ بـكـسلـ:

- أـنـتـ فـيـ النـاسـعـةـ عـشـرـةـ، وـلـمـ يـمـسـكـ أـحـدـ مـنـ قـبـلـ.. هـذـهـ فـعـلـاـ
جـزـيـرـةـ مـسـحـوـرـةـ.

أـنـجـيـرـ سـخـطـ عـمـيقـ فـيـ دـاخـلـهـ يـعـطـيـ حـرجـهـ الـعـيـقـ.

- لـاـ تـكـنـ مـخـبـيـاـ مـاـيـلـزـ.. بـالـطـبعـ عـانـقـتـ رـجـلـاـ قـبـلـكـ.

ضـحـكـ بـلـطفـ سـاخـرـ: وـهـلـ هـذـاـ صـحـيـحـ؟

- أـوـهـ.. حـسـأـ جـادـاـ.. لـيـسـ هـكـذاـ.

نـاعـمـ مـبـسـماـ وـلـكـنـ بـدـاـ فـيـ عـيـنـهـ الـوـقـارـ:

- لـسـ وـالـقـاـكـيفـ بـمـكـنـ أنـ تـعـاـمـلـ مـعـ هـذـاـ.. جـيـلـيـ.

الـكـلـمـاتـ الـعـابـتـةـ الـكـسـولـ، كـانـ مـتـافـضـةـ ثـمـاـ مـعـ الـاـهـنـامـ

- أنت تعرف ما أعني .. أحبك، أتالم أشعر هكذا نحو أي رجل من قبل .. أوه .. ما القاعدة؟ لمن تفهمي إطلاقاً
ونأوه ساخطة.

- أوه .. لكني أفهمك .. يحب أن تكوني غريبة الأطوار إذا لم تغوص بهذا الغرب الذي بخط على جزيرتك الصغيرة، وكأنه هدية من البحر .. إنه نوعية جذابة، لا تظنين هذا؟
بدأت تضحك حدة، غضبها كالعادة يزيده المرح الواضح

- أوه .. جذابة جداً ..
- إذن، أنت ترين يا حبي، أنا نعيش في وهم القصة .. أنت متوجدة إلى جزيرة الأحلام المسحورة .. بينما أنا لست كذلك ألا ترين هذا؟

ارتكبت غلطة بريئة في إسراعها للدخول إلى غرفته في وقت متأخر من ليلة ما، وقد خطرت بها فكرة جديدة لقصتها
أقتلت الباب وراءها، وتقصدت إلى صريره، كان تائماً، وامتدت ذراعاها إليه .. لكنه هب وأفغى على قدميه في الحال، يشرف عليها بوجه غاضب دون كلمة، شلها إلى الباب، ورمها إلى الخارج ..
- انتظريني في السقيفة .. سأكون هناك ما إن أرتدي ملابسي
اذهي الآن!

في السقيفة قال لها يغضب هادئ:

- سأقول هذا مرة واحدة يا إدنا .. لا تجافي مثل هذا أبداً مرة أخرى .. سأوضح هذا للمرة الأولى والأخيرة، أيتها الحمقاء الآتية أنا فاقد الذاكرة .. ولا أعرف شيئاً عن نفسي، ولا عن الماضي .. قد أكون مجرماً، قاتلاً، قواداً .. وإذا كان دماغك ما زال عاجزاً عن فهم ما أعني .. دعني أوضح لك الأمر هكذا: إذا استعدت يوماً ذاكراً، فقد تكتشفين أنك مرتبطة بسجين هارب، أو مرتزق لا راحة في قلبها، أو قاتل

مهوس ..
حسبت:

والصوت الخافق القلق، وأرجح هذا إحساسها الأول بأنها منبوقة .. رفعت رأسها إلى مستوى عينيه، وكان وجهها يضيء باشارة مشترقة .. ولم تجد حاجة لإخفاء حبها له.

وقف على قدميه بشدها معه، ولم تكن تظن أنها يمكن أن تكون أكثر سعادة منها الان. مع ذلك، وبسرعة لا تصدق، كانت الأيام تمر لتصبح أسبوع .. وأصبح مايلز عضواً مستديعاً في عائلة جايمسون، يحبه والداها، ويرعاه أخدهم، وابتسamas السيدة جايمسون الحقيقة، مع تلميحات جريئة عن ترقبها التلهف حول إعلان محمد.

مايلز، أصبح في هذا الوقت مستغرقاً يصمت في قصته .. كانت تنمو بيضاء وثبات، تدخل إدنا وتدفعه هو أيضاً .. شخصيات رواية شاكيبر الحالية كانت تحول بين يديه إلى شخصيات حديثة، يزداد تشابها مع الشخصيات الأصلية فموضاً ومكرأً كما جعل الكتاب ملعلاً في الإبداع، ممزوجاً بتكهنة مالوفة .. وقالت له إن لا مجال للإخفاق، وستكون قصتها من أفضل المبيعات.

هكذا، أخذنا بعملان مما يشكل متفاوت .. كانا تقريباً يعيشان في مكتبة الشاطئ» المرتحلة .. يتقافزان بين حين وآخر، يريحان عضلاتهما المتوردة، يسباحة طويلة، أو بالغضس، أو التزلج المائي .. وعند طروب الشمس، دائمًا ينبعان للركض على الشاطئ» الرملي، أو ي giovan بكسل قلب الجزيرة الخضراء .. كانوا لا يظهران في المنزل إلا في وقت العشاء، وهي مناسبة رسمية، يحافظ الأسرة عليها.

لكن لم يخف عنها سراً تردد في أن يتورط أكثر من هذا معها .. وشرح لها بصير، صرات لا عداد لها:

- لن يجدي هذا يا إدنا .. الرد مازان لا .. لا أستطيع التحمل ..
- أوه يا مايلز، أنت غير منطقى أبداً ..
صحيحة:

- وعل هكذا تصنفن الأم؟
واضطررت إلى مشاركته الضحك، ثم قالت:

نهد وهو يستدير عنها، ليتمشى نحو المترجل المعتم:
ـ إذا كنت قادرة على الوثوق بمساعدي رجل لا ماضي له ولا مستقبل، بل مجرد حاضر مؤلف من مشروع قصة من الهراء الخيالي، على جزيرة ساحورة، إذن... نعم، أحبك. والآن، اذهب إلى النوم.
قبلة أخيها كانت أكثر عاطفة من هذه التي أعطاها لها قبل أن يدفعها إلى غرفة نومها.

لفرزة تالية كانت تحاول الابتعاد عنه والتعالي عليه لذلك بالغت في الاعتدال... تعلمت أن تدقن شوتها إليه في الاستغراف المتزايد في العمل، وفي هذه أعصاب داتم، أصبحت معتادة على إرشاده، لذا لم تكن ملامة للأحداث التي شنت في الهياكل أسعد فترة في حياتها... وكما اعترف مايلز، إنها الأقدار هي التي أثارت عاطفتها الخاصة.

لكن، كانتا من كان مسؤولته فإنها خسرته... جبهة الخيالي مايلز، الرجل المتمدم الماضي، وحل... وعاد هايدن جاكوبس ملك الكومبيوتر، المفترض أنه ميت، إلى البروز مجدداً إلى أرض الأحياء، ليعاود حياته من حيث تركها منذ سنة أشهر سبقت... وانصحت من ذاكرته شاماً سانت باتريك وأي شخص قابله هناك... الذكرى الملموسة الوحيدة التي حلها معه، كان خيال ضحكة فضية؛ وبوضع مثاث من الصنحات المكتوبة لقصة خيالية لم تنته بعد ولا تحمل أي عنوان.

وذكرت إننا ن نفسها بخشونة: حسناً جداً، لقد انتهت الفضة الآن، وأصبح لها عنوان: «الجزيرة الضائعة».

ـ أنت لست هكذا... أعرف أنك لست هكذا... وأنت تعرف كذلك!
ـ حسناً جداً... لفترض أنك محفة... ما رأيك في أن تكون «ضر» في زواج سابق؟

نظرت إليه دون أن تفهم، فصالح:
ـ ما زلت لا تفهميني... اللعنة... قد أكون متزوجاً ولا أعرف عن هذا شيئاً!
بالرغم من سخطة هذه الفكرة فانها لم تخطر لها من قبل... ولأن وجهه:

ـ هكذا ترين، من آية جهة نظرت إلى المسألة، إنها عالقان... والخلل الوحيد هو الانتظار مع الأمل في أن أستعيد ذاكرتي... ومن ثم بدأ من الصفر. في هذا الوقت أرجوسي، وتوافقني عن دفعني إلى الجنون باستقرار ذاتك... وفي يوم ما... يوم ما... «استتفجر» سباق على نفسي؛ لكن لا تعيشي على الأمل بالزواج... لأنني... وليساعدني الله، فإن أفلت زمام الأمر من يدي ويتغير قادر على السيطرة على نفسي فسأرحل من هنا.

نظرت إليه بعينين واسعتين، تستوعب مهديله، وتقول هامسة:
ـ لن تستطيع! ليس لك مكان تذهب إليه!
ـ هذه مشكلتي... وأنا أعني ما أقول... لو حدث هذا يوماً، أنت وهذه الجزيرة لن ترباني مرة أخرى!
ـ أبداً؟

لم يستطع مقاومة النظرة الواسعة الكثبية:
ـ حسناً... ليس قبل أن أستعيد ذاكرتي، وأحكم على نفسي أنني استحق حبك الخيالي الأخالد...
مع ذلك لم تستسلم.
ـ أنت تحبني... مع ذلك... أصبحت هذا يا مايلز؟ أعرف أنك تحبني، فلا انكر

- لكنه خررك.. إنما إنه نسيك، أو يحاول أن ينسى كل شيء حدث له منذ رحاه الموج على جزيرتنا.. قالت الصحف إنه يرفض إعطاء أية معلومات عن السنة أشهر التي غابها، لكنني أظن أنه أصبح بتوة فقدان ذاكرة أخرى، لم تبق شيئاً سوى ثقب أسود لأيامه في سانت باتريك.

لكن نظرة إدنا المليئة الجامادة أربعه.. وسألت: من هو.. يانيون؟

فقال لها ليون كل ما يعرف، ولم يخف عنها شيئاً، ثم أكمل:

- هكذا فربن يا حبيبي.. إنها قضية خاسرة.. إنه لا يحتاج إليك الآن.. لقد عاد مرة أخرى ذلك الرجل الشهير الذي الصبح الجسم، وقد يرثا بأي شخص قد يدعى معرفته به خلال فقدانه الذاكرة.. حتى ولو أفتعه أنك كنت مهمته له وقتاً ما، فلنأ وافق من أن لا مكان لك في حياته الآن.. لذا تقلي الواقع وحاولي نسيان أنك قابلته يوماً

لكن إدنا لم تفعل هذا.. وحين استعد ليون للعودة إلى الكليرا، تركت سانت باتريك معه، مصممة على شق طريقها بالقوة إلى ذاكرة مايلز، مهما كان الثمن الذي ستدفعه، ولم تجد صعوبة في جمع المعلومات عنه.. وكما حذرها ليون، كان شهرآ جداً قبل اختفاءه، وأصبح أسطورة منذ ذلك الوقت، وعرفت أنه متحدر من عائلة قديمة أرستقراطية.. والدها ماتا وهو طفل درباء اثنان من أعمامه، تمكنا من تبديل ما تبقى من ممتلكات العائلة.. لكن مع عبقريته في الكمبيوتر وزعزعة التجاربة اللاعقلية، أعاد هايدن اسم عائلة جاكوبس وتروتها إلى أكثر مما كانت عليه من مجرد ساقط، وقد بلغ الثلاثين.. اكتشفت أنه لم يتزوج أبداً.. كان هناك بعض شائعات حول خطوبة مبكرة لأخدي قرياته البعيدات وتدعى باولا جاكوبس، لكن الخطوبة كما يبدو فشلت قبل رحلته الخامسة، كماعيل الصحافة إلى أن تصف اختفاءه.

فهمت من المقالات العديدة، أن هايدن جاكوبس كان يوماً عابتاً عجوناً.. هكذا، ابتلعت كرامتها، واستخدمت نفوذ عائلتها، وعلاقاتها الاجتماعية، ووكل أعمالها دويل فرانسيس من بينهم: مصممة على أن

٣ - البحث عن وهم

الآن.. ماذا؟

لم يكن لأناقة غرفة الجلوس الفسيحة في منزل هايدن جاكوبس أي تأثير عليها وذلك للهوة التي يستحيل ظهرها بين الرجل الذي عرفته وأحبته في العالم المسحور بجزيرةها الاستوائية، وبين هذا الكاتب المجهول، المليونير الشهير.

حسناً جداً.. لقد حفقت ما صحت أن تفعله، لكنها الآن لا تعرف ما يجب أن تفعل بعد ذلك.. فهي، لم تفكرا إلى أبعد من نقطة اختراع عزلة هايدن جاكوبس الخاصة.. إذ كان هذا هو الهدف الوحيد الذي أبقاها حية منذ أن اكتشفت أنه مايلز.

إنها لم تخجل أبداً، بعد أن غادر مايلز الجزريرة، عن أملها في عودته.. وكان ليون، بعد عودته في إجازة البلاد إلى الجزريرة، وقد اتفقا حالة أخيه العاطفية، هو الذي أخبرها أخيراً عن هايدن جاكوبس.. لقد كان في لندن حين تفجرت الصحافة الإنكليزية بالعنوان الأولي والمصور عن المليونير المفقود، وعودته المعجزة إلى عالم الأحياء.. ولم يمر وقت طويلاً حتى عرف فيه الرجل الذي كانوا يعرفوه باسم مايلز.

قال لها يقسوة:

- مايلز مات.. لكن فقط بالنسبة لك.. كما أنت ميتة بالنسبة له.. لقد وجد ماضيه يا إدنا..

كان مصمماً على انتراع أخيه من حلمها اليائس.. وأكمل بصوت

الغرفاه لفته ظلها هايدن مجرد فتاة مولعة بالنجوم، تحاول أحد فرصتها معه.

مع ذلك رفضت الاسلام. حين سمعت بتعديل نص قصة الجزيرة الضائعة ليصبح مبناريرو لفيلم سينمائي، فقررت تتمسك بأخر قصة أهل.

- آنسة جايسون!

صوت جويس المرتفع الحاد، جاء من ورائها، ليخترق الضباب الذي غطى أفكارها المؤلمة.

- هل أنت بخير؟

رفعت إدنا نظرها، وجنتها خضبتان ياخرار قائم.. آخر ما تحتاج إليه أن تقابلا وهي تحلم أحلام البقة وهي في غرفة جلوس الكاتب. حسن الخطأ كانت جويس هي التي فاجأتها وليس هايدن جاكسون.

نظرت جويس بالهفة إلى الفتاة الأكبر سنًا:

- أكان هايدن فقط معك؟ أنا آسفة.. إنه مستبد في بعض الأوقات!

- أوه.. لا.. لا.. لا علاقه لها.. للسيد جاكسون بشيء.

وقفت على قدميها مكملة:

- لم أكن متأكدة ما إذا كان على أن أنتظره.. لقد تركني فجأة.. أثرين؟

تبعد عبوس جويس على الفور:

- أوه.. لا بأس في هذا إذن.. بدوت لي حرية جداً وأنت حالسة هنا.. ظننتك لم تفهمي أنك حصلت على العمل.. لقد قابلته قبل رحلته، وقال إنك مقبولة.. وبالطبع تعرفين لماذا.. أليس كذلك؟

وابتسمت بطريقتها الطفولية تذكر إدنا ب نفسها:

- إنها ضحكتك.. وهذا واضح!

رمقت إدنا الفتاة مفكرة، متتعجة من دقة حدسها. وضحكت:

- لا أرجو هذا.. لا شئ أن لديه أسباباً أفضل.. فلو كانت

ضحكتي فقط، لكان استخدمتك أنت.

تعرف إليه اجتماعياً، لكنها هنا أيضاً، انفع لها أنها في الاتجاه المعاكس. فواضح أن هايدن جاكسون، تحلى عن ذاته الاجتماعية.. وحسب قول الصحافة، كان يقضي أكثر أوقاته على متن يخته، ونادرًا ما يزور بريطانيا.

باختصار، كان، بالرغم من كل شهرته، لا يمكن الوصول إليه. بعد ستين من هذا، قدمت الفرصة نفسها لها.. فقد عاد هايدن جاكسون إلى لندن ككاتب. وبمساعدة الخط الحسن، اختار دوليل

فرانسيس ليكون الوكيل الذي يمثله.

كانت واقفة جداً، ومتقللة إلى حد السذاجة حين هاجرت ذاكرة هايدن جاكسون المغلقة أول مرة.. وما هي الآن تجفف، متذكرة الأم الحاد والإذلال اللذين أحسست بهما في أول لقاء لها مع عيني الكاتب الزرقاوين الخاليتين من أية متعار.. ثم، مثله مثل اليوم، صرف النظر عنها دون أي أثر للذكر.

وحدث هذا قبل بضعة أسابيع، كان دوليل فرانسيس وهابين جاكسون بتناولان الغداء مع مخرج سينمائي واقتصر دوليل عليها أن تظهر في المطعم وكأنهما بالصدفة، ليتمكن من تقديمهم.

على عكس اليوم، فعلت ما يوسعها لظهور كما كانت أيام سانت باتريك.. وتذكرت كم أحسست بالسخافة في ثيابها الواسعة الشعثاء وسط رواد المطعم الرافي. لكنها جلست تنتظر دوليل فرانسيس ليقدمها له.

عند رؤيتها عينيه الزرقاوين تزدادان سواداً كأنما تدركه ذكرى مرتبكة.. ظلت أن اسمها اخترق ذاكرته الميتة.. وسذاجة حفاظه، ابسمت له كما كانت تفعل في الماضي.. لكن لم يتحاوب معها بيسمة مثلها.. وفي وجهه بارداً سلباً إلى أن تلاشت ابتسامتها في هزيمة عرجقة.

وكان هذا فعلاً ملاؤ.. ولم تتمكن إلا من إثارة ارتياح هايدن واذردانه.. ومثله مثل المخرج السينمائي اللذين كانا يراقبان محاولاً لها

- أوه . أنت تعرفين ما أعني ، فائنا وانفة من أنيك سكريترية مثوفقة . لكنني أراهن على أن ضحكتك هي السب ، وأسمك بالطبع إن رواية «العاشرة» هي أفضل روایة عنده .
فجأة نظرت إلى إدنا نظرة غريبة وأكملت :
- إنه اسم غريب ، أليس كذلك ؟
بدأت إدنا تتجه إلى مدخل الردهة ، وهي تزداد قليلاً لدقة ملاحظة الفتاة .

- يجب أن أذهب الآن . سيكون لدينا وقت كافٍ للحديث قدرًا .
تجددت عينا جويس :
- أوه لا . لن يتوفر لنا وقت لهذا . فما إن تبدأي العمل لن يعود في عذر للمجيء إلى هنا . إنه لا يحب العائلة كثيراً و .. وأنا من العائلة تقريباً .
ـ لكن بكل تأكيد يحبك .

- لأنني فقط أذكره بشخص ما .. إنه . . .
صمتت جويس ثم استدارت لتنظر إلى إدنا . للحظات بدت وكأنها متقول سر فقدان هايدن لذاكرته ، لكن صوت وقوف سيارة في الخارج أندفعها . وقالت لصديقتها الجديدة :

- لا شك أن هذه باميلا .. لا يجب أن تبالي كثيراً لو أتيتها غير ودودة في البداية . لقد مر هايدن ببعض المتاعب مع سكريترته الأخيرة ، وغيل باميلا لأن تكون شاككة بكل امرأة تأتي إلى هنا . لكنها محبوبة فعلاً ، وأنا وانفة من أنها ستحبك حالتاً تعناه عليك .
ثم نطبت تصفيقى إلى الصوت المرتفع الريتيب لوقع خطوات بحداده على الكعبين ، سرعان فوق الباحة المرصوقة خارج الباب الأمامي .

- لا يبدو أن هذه باميلا . عجباً . أوه .. إنها باولا !
دخلت امرأة بنية الشعر ، تخلع عن كتفيها معطف قرو ذهبي اللون ، برشاقة عارضة أزياء ، كانت إحدى أجمل النساء اللواتي رأهن إدنا في حياعها ، لكن الوجه الرائع الجمالي الذي أدارته نحوها ، بدا متعالياً كثيراً .

قالت جويس بصوت ممعظ جاد
ـ أوه .. اللعنة .. إنها باولا . مَاذا تفعلين هنا ؟
الختت علينا المرأة الجميلتان الحضر أوان المزستان إلى الفتاة الشابة :
ـ أرجوك .. لا تستخدمي هذه اللهجة معى .. يا فتاة .. أين
خالك ؟
ردت جويس بالختصار : خرج .. وهذه إدنا جاييسون .
واستدارت إلى إدنا بتردد ظاهر .
ـ هذه باميلا جاكوسن .
تشدق المرأة في كلامها قائلة :
ـ باميلا بارتود . أتفطن أن أدعى باسم عائلة زوجي السابق .
ـ وهناك أمر كبيرة من عائلة جاكوسن تستحق لأصولنا .
وسرعاء ، تذكرت إدنا أن هذه هي «ابنة العم البعيدة» التي قيل إن
هايدن كان مخطوبًا لها في شبابه .
وابعدت ابنا العم حديثهما ، متجلعين وجودها . وكانت باميلا
تقول :
ـ يا للازعاج . قال لي إنه سيكون هنا بعد الظهر .. جئت أنكلم
معه حول حفلة نهاية الأسبوع . هل تبحثت من إقفاها بها ؟
هزت جويس رأسها نفياً باستحياء ، فأكملت المرأة تسأل :
ـ وماذا بحق الجميع ؟ على أي حان ، إنها حفلة عيد ميلادك ، وليس
عيد ميلادي .
ـ لا أريدها ، ولا يريدها هايدن كذلك . إضافة إلى هذا ، يمكنك
مناقشة الأمر مع إدنا . إنها سكريترية الجديدة .
ردت باميلا باتسامـ آليـهـ
ـ أوه .. حقاً؟ التيـ ؟ـ تكونـ أفضـلـ منـ الآخـرـةـ ،ـ فقدـ كانـ العملـ
آخر اهتمامـ لهاـ .ـ أينـ تعيشـينـ ؟ـ
ردت إدنا بالختصار في لدنـ
لمـ تكنـ فيـ حـيـاتـهاـ قدـ خـوـطـتـ بـعـشـ هذهـ الطـرـيقـةـ الفـظـةـ المـعـالـيـةـ .ـ وـيدـاـ

الارتفاع على المرأة

- حسناً جداً... أنت إذن لن تقضي هنا.

تدخلت جويس متهدية:

- سنتيم هنا... ستنقل في الغد، وستعمل مع هايدن في تحويل قصته إلى سيناريو.

نظرت المرأة إليها بتسوّة:

- أوه... حقيقة حساً... لن يمنعك هذا من الاهتمام بعلاقات ابن عمي الاجتماعية... واتوقع منك أن تساعدنا في ترتيبات عبد ميلاد جويس التاسع عشر... فانا أفضل أن لا أزعجه في أمور كهذه.

بدت فجأة متوترة بالرغم من ثقوقها المتحفظ. وأدركت إدنا أن المرأة تخاف من ابن عمها المهيـب. فرددت بخشونة وهي تحس بالأسى على الجميلة

- سأكون مسؤولة... ربما مستحدثت بهذا في الغد.

لكن باسيلا لم تنته بعد، وكانت إدنا بابتسامة حلوة:

- أتفى أن تستمعي بعملي... هايدن رجل ساحر... لا تظنين هذا؟
وكان هذا تحذيراً، لا سؤالاً... ردت عليه إدنا بابتسامة مهذبة وهي تتجه إلى الباب الأمامي.

- لقد تعرفت إليه لطوي... لكني أعرف أنني سأشتغل بالعمل في كتابه... والآن... أرجو العذر

لاحتقتها نظرات باسيلا القاسية المشككة حتى سيارتها... وتساءلت
عما إذا كان هايدن، وقد عاد من «رحلته» يفكر محمدًا بخطوبته
المفسوخة... فالقلائل من الرجال يمكنهم مقاومة حال باسيلا الواقع من
نفسه.

كان شقيقها ليون في المنزل حين وصلت، وبخاد يحومت جوياً
قال لها وهي تدخل:

- لقد تأخرت... كنت على وشك الذهاب بتناول العشاء لوحدي
ماذا حدث لك؟

رمت إدنا حقية الكتف الكبيرة، وعدة ملفقات على منضدة الردهة:
- اضطررت لمقابلة شخص ما بخصوص عمل... ولست جائعة.
تناولت أنت طعامك... سأتناول شيئاً بسرعة فيما بعد.
- أوه... لا... لن تفعل هذا... دجاجتي المسلوقة تستحق بعض
الاحترام... للدعاية مشقة كبيرة في إعدادها.
- حسن جداً أنها المسند، وأحضرت نفسى في دقيقة.
ناداهما وهي تخرّج نفسها مترانحة:
- هاـي... هل هناك ما يسوء؟ تدين غريبة
استدارت تنظر إلى وجهه القلق:
- ليس شيئاً بالضبط... لكن... سأخبرك ونحن نتناول العشاء.
كانت تحمل خطوطه كتاب سميك في يدها حين انضمّت إليه في
غرفة الطعام الصغيرة حيث يتناولان وجباتهما عادة... وسألها: ما هذه؟
وسكب لها كمية طعام كبيرة في طبقها.
قصة لم تنشر بعد: «الجزيره الصانعة».
ضحك بعنودة: تبول في وكأنها موطننا.
سألته بالهجة حذرة: هل سمعت بها من قبل؟
لا أظن هذا... من مؤلفها؟
منذ تركت منزل هايدن جاكوبس، كانت تسأله عما إذا كانت
متطلع لبون على سرها... وما هي فرصتها... لكن ليـنا كان يصدّها.
حتى الآن، كانت تشاركه كل الخطوط المتعلقة ببايلز، وتشـرك في أمـالـها
التصـاعـدة، وتبكي على كتفه بعد كل فشـل يـحـطـم قـبـتها... لكنـها لم تـعد
تشـعرـ الآنـ أنهاـ مـهـزوـمةـ وـذـلـكـ منـ لـفـانـهـاـ هـاـيدـنـ،ـ وـلـاـ نـظـنـ أـنـهاـ قـادـرـةـ عـلـىـ
تحملـ توـبيـخـ لـبـونـ...ـ أـخـيرـاـ قـالـتـ:
- أوـهـ...ـ أـتـ لـنـ تـعـرـفـ...ـ هـذـهـ أـلوـنـ قـصـةـ لـهـ.
- وـعـلـ كـلـفـتـ يـكتـابـةـ السـيـارـيـوـ؟
فـاسـتـرـختـ تـعـابـيرـ وـجـهـ إـدـنـاـ حـذـرـةـ:
- ليسـ حـقـآـ،ـ آـنـ عـبـرـدـ شـيـعـ...ـ حـنـىـ وـلـاـ هـذـاـ،ـ سـمـنـيـ موـظـفـةـ لـهـ اـسـمـ

سكتيرة.. فقد ألهجتني الكتاب

تابعت تعطيه المعلومات عن الكتاب والعمل قبل أن يسألها، ثم أكملت:

- ثم أنا بحاجة إلى الخبرة.. والوظيفة لم تصبح لي بعد.. سأمر باختبار أولًا.

وافتني تجمع الأطاق المنسخة مجيبة العينين الضيقين المفكرين.
كان إحساس ليون القلق يزداد عميقاً وهو يراقبها، بعد قليل جلس على الأريكة قرب المدقنة المشتعلة، متجمسة بيراتتها للمخطوطة، تقلب صفحاتها واحدة واحدة بسرعة مذهلة، تتوقف بين فترة وأخرى، تسجل ملاحظاتها على دفتر صغير.

أخيراً سألتها وقد لاحظ الكومة الكبيرة من الصفحات على الأرض:
- أنت تقرأينها بسرعة؟ لا استطيع أن أصدق أنك أهلاً كل هذا في ساعة واحدة.

رفعت رأسها إليه مفكرة لحظة:

- أوه.. أنا لا أحتاج سوى لقراءة آخر الفصول.. وإنما الآن أراجع أول قسم لأرى إذا كان هناك أي تغير في النص الأصلي.

ثم عادت إلى القصة وهي تبتسم له، فسألها مجدداً:

- أنت تعرفين الكتاب منذ فترة.. أليس كذلك؟
ارتفع رأسها بحدة وذهول:

- ماذا؟.. ما الذي جعلك تقول هذا؟

كانت عيناً ليون تراقباً بشيء من الريبة:

- كيف تفسرين إذن واقع معرفتك بالنص الأصلي للقصة؟
للحظات أحست برغبة في قول الحقيقة.. لكنها سرعان ما قررت أن تلتزم قرارها الأول.. يجب أن تر بهذا وحدها هذه المرة.. وسمعت بسؤال باطل:

- أتودين أن تخبريني بالأمر؟
هزت رأسها:

- ليس بعد يا ليون.. ليس قبل أن أعرف أين أقف.

أفصل بها دويل فراتيس، فيما بعد، ذلك المساء. يبدو أنه تكلم مع هايدن جاكوبس، واستطاع أن يعطيها كل التفاصيل العملية التي تبيّن الكتاب أو رفضه، نقاشها معها. ولم تكن بحاجة إلى تأكيد منه بأن فرصتها للاحتفاظ بالعمل ضئيلة جداً.

- أنا لن ألغى أي عقد لك الآن يا إدنا.. جاكوبس ينوي مقاضاة لندن بعد عشرة أيام، سمعت خلانها إذا كنت مستيقن أم لا.. يجب أن تجعل من نفسك سكتيرة لا غنى لها عنها إذا كنت تريدين الاستمرار.

- أعرف.. ولا أفهمه مسروراً كثيراً بتصور قضاياه عدة أسباب وحدها يعي على متنه يخت.

ساد صمت قصير من الناحية الأخرى للحط، ثم:

- هل سب لك وقتاً عصياً؟ لا يجب أن تزعجي منه يا عزيزي، إنه رجل عظيم وتعزونه هنا.. إنه الطف يكثير مما يظهر.

- أعرف عن فقدانه للذاكرة يا دويل.. فقد أخبرني بيضنه بدأته الدهشة في صوت الوكيل:

- أخطأ فعل هذا؟ حسن جداً.. إنه، على الأقل يشق بك.

ضحكـت بسراقة:

- أوه.. لا.. لا يشق بي.. يظنني أسعى وراءه، أو وراء ماله..
ويعلم الله ماذا غير ذلك.

فحاوارت الصوت الجاف بهذه غضبها:

- لدبـه أسبابه يا حبيبـي.. إنه مخـاصر من الناس؛ والنـساء خاصة،
وإنـكل يدعـي أنه كان يـعرفـه خـلال أـشهر الضـيـاعـ، ويـحاولـ اـبـزارـه.. ولو
كان سـيـصدـقـهمـ، لـكانـ لهـ درـيـنةـ زـوـجـاتـ عـلـىـ الأـقـلـ.. هـذـاـ إـلـىـ عـدـدـ

أـجـمـلـتـ إـدـنـاـ:

- يا للـسـمـاءـ لمـ أـذـكرـ بـهـاـ أـبـداـ.. ظـنـتـ آـنـ لاـ أـحـدـ مـنـ الـفـرـضـ آـنـ
يـعـرـفـ.

- أنا.. لم أكن أعرف هذا يا دوبل.. ما أقطع ذلك
وتنهدت، ثم تابعت:
- أنتي لوم أقنعت بأن تدير أمر لقائي به.
- حسناً، الأمر من آخر جداً الآن يا إدنا. ويجب أن تثابري على
عملك.. ولا جلي أنا، لا تعملي بتدم على قراره.. قد ينتهي بك الأمر
إلى إكمال السيناريو معه، وهذه هي النقطة الرئيسية بالنسبة لي. هل
قرأت الكتاب؟
- لا تقلق.. سأتبه ولو أمضيت الليل كله.
- فتاة طيبة، لكن حاوي أن تسامي.. ستحتججن إلى قوتك في الغدا
عزيزتي. إذا ظننته قاسياً اليوم، فالناظري لغزى ما هو خيراً لك، ما إن
تبدأ العمل له.

كانت باميلا، الصغيرة الجسم، والمتوسطة العمر، هي التي فتحت لها الباب في الصباح التالي.. ولا شك أنها كانت تعلم بأمر الموظفة الجديدة. وقيل أن تعرف ب نفسها، أوضحت مدبرة المنزل بالخلصة، أن إدنا، مرحباً بها بين «الموظفين» إلا أن المتوقع منها أن تتبع عن طريق السيد هابدين.

قالت بلكلمة إيرلندية، وهي تقود إدنا إلى الغرفة الإضافية الكبيرة:
- أنا والفتة من ألك متخددين هنا كل ماحتاجيه يا عزيزتي.
كان في الغرفة تلفزيون صغير، كتب، جهاز موسيقى.. في الواقع،
كانت المرأة قد عملت جاهدة على الا يكون لديها عذر للتقتبس عن
السلبية في مكان آخر من المنزل.
وتابعت مدبرة المنزل متعددة، محاولة التخفيف من وطأة تعليمات
رب عملها الوقحة:
- يحب السيد هابدين أن يتناول طعامه في القسم المخصص له من

- لم يشر هذا في الصحف لحسن الحظ.. لكن هابدين ارتكب غلطة بإرسال شرطة ثغرى ومحققين خصوصيين لكل جزيرة من جزر المحيط الهندي، عاولاً أن يجد ما حصل له خلال الأشهر التي تلت تحطم طائرته، وهذا آخر شيء يذكره قبل أن يفقد ذاكرته.. لا يستطيع الكثير من الناس مقاومة فرصة الحصول على بعض المال.. لكنه طرد الجميع طبعاً.. إنما لا يمكن لوجهه لارتباه وحذره.. خاصة مع امرأة مثلك.

- ماذا تعني.. امرأة مثل؟
- حسن جداً.. أنت شابة جذابة، ولو عذرتك عجوزاً على قوله، لم تكوني معاكرة جداً في الطريقة التي حاولت فيها جذب اهتمامه.. فوق كل هذا يا عزيزتي، يعرف أنك قادمة من السبيل.. فماذا تتوقعين إذن؟
تأوهت بتعاسة:
- ليس أكثر مما حصلت عليه.. أعتقد. بدأت أفهم الآن لماذا نظرت إلى عائلته بارتياح أيضاً.

- ليس جويس الصغيرة.. بالتأكيد؟
- أو لا.. ليس هي.. لكن إحدى بنات حمه.. لقد حذرته تقريباً
لكي أرفع يدي عنه.

وامتنعت عن تسمية باولا خوفاً مما سمع.
- لا تقلقي من عائلته.. كلما كان إعجابهم بك أقل، كان هذا أفضل.. إنه لا يخفى كراهيه لهم.. ولا عجب في هذا.. لقد تصرفوا بشكل مخجل خلال فترة فقدانه وحين عودته كذلك.

- هنا الآن يا دوبل.. لا شك أن السعادة غمرتهم لعودته؟
- لا يمكن أن تكوني مخطئة أكثر من هذا.. لقد كانوا مستائين جداً حين أدركتوا أنهم سيضطرون إلى التخلص عن المال الذي ظنوه أصبح لهم.. حتى بالحكومة، الذي عامله دائماً كأفعى له، كان متعلقاً بحسب مركزه الجديد كرئيس لأميراطورية جاكوبس وتذكر جداً لتلقىه خبر عودة هابدين من بين الأموات. إنما ليست عائلة حقيقة له يا إدنا.. مجرد أبناء عم من بعيد يعيشون عالة عليه منذ سنوات، ويستنزفونه.

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة بكثير حين دخل رب عملها الجديد الغرفة، عبيباً على ثوبها الصباحية المهدبة بمنتهى خشونة. لم يكن مزاج هايدن جاكوبس حسناً هذا الصباح.. هذه الصفة كانت ما تزال القاسم المشترك بينه وبين مايلز، لكنه أجمل لرقته ذلك النوجه الجميل المفعم بالحيوية، اللسم بأجمل ظاهر.

قال يخشنونه:

- أنتي الأمر.. لم أخطط للبلد بالعمل اليوم.. أتابعني قراءة النسخة.. لا أعتقد أنت حصلت على فرصة للنظر إليها حتى..

قطعته بحبر:

- أوه.. لكنني فعلت يا سيد جاكوبس.. أتيتها ليلة.. نظرته الساخطة أو قلت حدثها.. توقيفي عن منادات السيد جاكوبس.. اسمى هايدن.. ظلت أنا تجاوزنا هذه النقطة بالأمس..

بدأ أن لا وقت لديه، ولا النية للعبث.

- بكل تأكيد.. أنا آسفة.. أهبت قراءتها ليلة أمس يا هايدن.. ليس بإمعان، ولكن بما يكفي للفكرة عامة..
أجمل: هذا إنما يجاز هام، إذا أخذنا بعين الاعتبار كونها مؤلفة من خمسابية صفحة.

في الواقع لم تكن مضطرة لقراءة سوى الماتي صفحه، التي كتبها أخيراً في السنوات الثلاث الماضية.. ومررت بسرعه على الجزء الأول الذي نعرفه عن ظهر قلب تقريباً.. أو هكذا ظلت.. لكنها سرعان ما ندمت على تفاخرها الطالش.. فقد قام بتغيرات أساسية في نسخة القديمة التي كتبها في سانت باتريك، وكانت تكشف نفسها لو أشارت إلى أحداث وشخصيات لم تعد موجودة..

قال هايدن، بقليل من الحماسة: من الأفضل أن نبدأ الآن.. ابتسمت إدنا له ابتسامة باردة مهلهلة، ولم تقل شيئاً. آخرأ اخترق الصمت الذي طال بابتسامة خشنة:

المزر.. لهذا، أرجو أن لا تتعارض في تناول طعامك وحدك.. ويمكنك دائمآ أن تنسخي إلى في المطبع إذا شعرت أنت بحاجة لصحبة.. سيكون لطيفاً جداً أن تتحدث مع شخص لا يهتم سوى بالشائعات.. مثل جوبي الصغيرة أعني..

وافت إدنا تظمتها:

- إنها كثيرة الكلام.. أليس كذلك؟ وهذه غرفة جميلة.. أنتي مسرورة جداً.. وأنا واثقة من أنتي سأكون مررتاحه تماماً هنا.. على أي حال، إنها لبضعة أيام فقط، أليس كذلك؟

بدا الارتفاع على العجوز مع انقضائه اخر، الكريه من مهمتها وانطلقت تظهر لأنها تملكها الصغراء متهبة بمكتبة إدنا الخاصة.

- قال السيد هايدن، إن بإمكانك استخدام هذه الغرفة متى شئت.. غرفة الخاصة هي من الجهة الأخرى من الشبلاء لهذا لا تقلقي حول إزعاجه.

كانت غرفة جميلة حسنة التهوية، أصفر وأكثر دفئاً، من غرفة الخلوس الضخمة.

الامتياز الوحيد لبادي، العمل فيها كان منضدة المكتب الجلدية السمراء، الأنثقة، وخرائط المللقات المعاشرة. وانجذبها إدنا مباشرة إلى جهاز الكمبيوتر الخاير إنتاج شركة جاكوبس، الموضوع على منصة خاصة.. كان بالنسبة لجهازها كسيارة رولز رويس.

قالت ياميلا، في آخر تضرير للتعليمات الدقيقة:
- سيكون السيد هايدن هنا بعد قليل.. طلب مني أن أقول لك أن تحاول الابتداء بالتعرف على جهازه الكمبيوتر، وأن تعلميني إذا كنت تحتاجين شيء آخر..

- لا شيء أبداً.. الجهاز مكتمل تماماً..
تقدمت إلى المنضدة، وجلست على المقعد المرتفع الظهر،
للحركة، واستدارت إلى الجهاز.. ثم ظهرت بالاتساع في الجهاز غير المألوف لها.

- أنا أتكلم عن «البيكسي».. الروبوت البشري.. الآلة المحولة
إلى بشر.. اللغة آخر آنجلت نقطية إدنا المحتارة.. البيكسي في الصيغة الأصلية
كانت روحًا تزعز إلى الأذى.. ولم يكن هناك إشارة إلى روبوت بشري من
صنع الإنسان.. في عجلتها، لقراءة الكتاب، غجاورت التغير الذي قام
به.

قالت ببرودة:
- أنا آسفة.. قلت لك إنني راجعت الكتاب بسرعة.. ولم يخطر
بالي أن تكون محولة إلى بشرية.
- عجباً.. كيف يمكن لهاذا الواقع أن يفوتك.. ظنته واضحـاً
 جداً.

الطريقة الوحيدة أمامها للخلاص كانت الهجوم:
- حسن جداً، لا يمكن أن تكون مقنعاً جداً حول كونها محولة إلى
بشرية.. فقد بدأ بشرية جداً بالنسبة لي.
صمت طويلاً ثم سأل مثاكـاً: أصحـحـ؟
- أجل.. ومع أنـي قد أخـاطـرـ في التـدخـلـ فيما لا يعنـيـ، أقوـلـ إنـ
من الخطأ اعتبارـاـ اللهـ من صـنـعـ البشرـ.
لقد ثـادـتـ كثيرـاـ.. دـوـيلـ فـرـانـسـيسـ نـيـهـاـ إلىـ أنـ ثـقـيـ رـأـيـاـ لنـفـسـهاـ،
وـأـنـ تـكـبـعـ خـيـلـهاـ الـبـدـعـةـ.. فـعـلـلـهاـ هـنـاـ تـقـنـيـ بـحـثـ، وـالـعـقـرـيـ هوـ
هـايـدـنـ جـاـكـوـسـ وـحـدـهـ.
لكـنـ رـدـةـ فعلـهـ كـانـ بـعـيـدةـ عنـ التـصـورـ.. إذـ قـالـ باـعـتـدـالـ:
- حـسـنـ جـداـ.. مـسـتـجـبـيـ هـذـاـ الـآنـ، وـسـأـرـاجـعـ الـقصـةـ بـحـذرـ أـكـبرـ
فيـماـ بـعـدـ.

تعـتـمـدـ باـعـتـدـادـ نـفـسـ كـبـتـهـ.. هـذـاـ أـولـ صـرـاعـ بـيـنـهـماـ، وـعـلـ الـأـقلـ،
خرـجـتـ مـهـ متـصـرـةـ.
رمـيـ هـايـدـنـ الصـفـحـاتـ الـمـطـبـوعـةـ، واستـقـرـ بـأـرـتـاحـ عـلـ أـرـيـكـةـ جـلـدـيةـ
رـائـعةـ، سـاقـهـ الطـبـيـلـاتـ عـدـودـنـاـنـ عـلـ كـرـمـيـ للـقـدـمـينـ.. إـذـ هـذـاـ

- منـ الأـفـضلـ أنـ تـقـومـيـ أـنـتـ بـالـخـطـوةـ الـأـوـلـ بـإـدـنـاـ.. أـنـاـمـ اـشـتـركـ
فيـ كـاتـبـةـ سـيـارـيوـ منـ قـبـلـ.
تـقـبـلـ اـعـتـاقـهـ السـهـلـ بـالـهـزـيمـةـ:
- حـسـنـ جـداـ.. إـذـ أـنـتـ تـكـرـمـ بـالـقـاءـ نـظـرـةـ عـلـ مـلـاحـظـاتـيـ.
أـعـطـهـ الـأـورـاقـ الـمـطـبـوعـةـ بـالـكـوـمـبـوـتـرـ وـهـيـ تـسـرحـ لـهـ قـائـلـةـ:
- لـقـدـ انـجـزـتـ هـذـهـ، هـذـاـ الصـبـاحـ.
لوـ أـنـهـ تـأـثـرـ بـأـنـجـاجـهـ غـيرـ الطـبـيعـيـ، فـهـذـاـمـ يـدـ عـلـهـ.. وـكـلـ ماـ كـانـ عـلـ
استـعـدـادـ لـأـنـ يـقـولـهـ هوـ:
- أـرـىـ أـنـكـ لمـ تـجـدـ صـعـوبـةـ فيـ الـعـلـمـ عـلـ الـكـوـمـبـوـتـرـ.. أـيـ نوعـ
تـسـخـدـمـ؟

ذـكـرـتـ لـهـ الصـفـ، وـثـمـ موـافـقـتـهـ:
- بـطـيـ.. لـكـنـ يـعـتـمـدـ عـلـهـ.. أـهـذـرـيـ الـآنـ.
دونـ أـنـ يـجـلسـ بـدـاـ بـرـاجـعـ الصـفـحـاتـ الـمـطـبـوعـةـ.. حينـ رـفـعـ عـيـنهـ أـخـبـراـ
عـنـ الصـفـحـاتـ، لـمـ يـدـ عـلـهـمـ أـيـ تـأـثـرـ بـالـأـسـلـوبـ.. وـقـالـ بـهـدوـءـ:
- أـجـلـ.. يـعـجـبـنـيـ هـذـاـ.. إـيـهـ اـفـتـاحـةـ مـشـرـةـ لـلـفـضـولـ.. سـبـقـيـ
عـلـ هـذـهـ.. لـكـنـ تـحـفـظـيـ الـوـحـيدـ هوـ معـاـملـاتـكـ لـلـفـتـنـةـ «ـالـبـيـكـسـ»ـ.. أـفـتـرـ
أـنـ تـلـزـمـ نـصـيـ.

احـجـجـتـ عـيـنةـ: لـكـنـيـ التـزـمـتـ بـهـ.
ـ يـكـلـ تـأـكـيدـ لـاـ يـظـهـرـ هـذـاـ.. «ـالـبـيـكـسـ»ـ الـتـيـ كـتـبـتـ عـنـهاـ سـاحـرـةـ
جـداـ، أـعـتـرـفـ بـذـلـكـ، لـكـنـيـ أـجـدـهـاـ إـنـسـانـ أـكـثـرـ مـنـ الـلـازـمـ، وـمـشـوـشـةـ
الـذـهـنـ لـأـنـثـيـ محـولـةـ إـلـىـ بـشـرـ.
قطـبـتـ بـحـرـةـ: إـنـسـانـ محـولـةـ إـلـىـ بـشـرـ؟
نظرـ إـلـيـهـ طـوـيـلـاـ بـعـيـنـ ضـيقـتـينـ:
- هلـ أـنـتـ وـاـنـقـةـ مـنـ أـنـكـ قـرـأـتـ الـقـصـةـ؟ أـعـنـ قـصـيـ أـنـاـ؟ أـمـ أـنـكـ
تـكـثـيـنـ قـصـةـ خـاصـةـ بـكـ؟
يـذـمـرـ، رـاجـعـتـ أـوـلـ الـفـصـولـ فـيـ ذـهـنـهـ، ثـمـ قـالـ:
- آسـفـ هـايـدـنـ.. لـكـنـيـ حقـاـ لـأـعـرـفـ عـمـاـ تـحـدـثـ.

دقائق، لقطع المسافة بينهما إلى حيث كان متمدداً، لتقارن أوراق نسخه بأوراقها.. حتى أن عضلات ظهرها وكتفها بدأت تتألم.. لكنه سرعان ما ضجر، كما دل عليه صوته الساخط.

أخيراً وفي تنقلها العاشر عبر الغرفة.. توافت مسمرة ثم انفجرت صاحكة.. فكل ما يجري سخيف مناف للعقل.. وانقسم هايدن إلى ضحكتها المقطوع الأنفاس، دون توقع منها، بضحكة متخففة مألهفة جداً لها.

- أوقفك تماماً.. فهذا لن يوصلنا إلى أي شيء.. إذن أيها الذكرة.. كيف تفترج عن أن تقوم بهذا؟

وقت يرمي نسخته من يده على الأرض..

أخيراً توصلنا إلى نوع من الاتفاق.. فهو ما يزال يحفظ بروح مايلز المرحة والقدرة على السخرية من الذات، وكل هذا عاد إليه عن طريق سلاح قعال من إدنا.. ضحكتها التي لا تستطيع صدتها.. رسمت خطة بسيطة معقولة.. وإذ حصلت على موافقته، أرتدت بنطلونها الجينز الواسع وكنزها الضخمة القطنية التي تصل إلى تحت خصرها التحليل.

الآن انطلقا في عمل متناغم.. عادا معه إلى نظام تعاونهما كما كان على أرض الحربة.. الخرو العدائى في الغرفة، تغير.. وسادت الضحكات، والمزاح السريع المتداول، الذي طالما كانا يجيدانه.. كان واضحاً أنها ما زالت باستعداد لانتقامه الفريد من نوعه الذي كان يعلم كل منها يقرأ أفكار الآخر حتى قبل أن يشكلاها في كلمات.

حين دخلت باميلا تحمل صينية من الستديوشات وإبريق ثهوة طازجة، وجدت المكتبة في خراب مكملاً.. كل الأثاث مدفون إلى الحدار، ليترك الوسط فارغاً.. رب عملها مستلق على معدته، بينما مساعدته الجديدة، في بنطلون رث، وكترة عملاقة، تزحف من حوله تقطم، وتعيد تنظيم الأوراق المبعثرة والصفحات التي كانت تقطر كل السجاد العاجية السميكة.. رأيتها للحظات ينحول.. فهي لم تز

سيكون مركزي عملهما.. هو متمدد بكل قرب الحدار الزجاجي؛ يتمنع بالنظر الأخضر للنمروج بينما هي مجلس مستقيمة الظهر خلف المتضدة، تواجه الجهاز..

تابع بلقطة نص كتابه:

- حسناً.. دعينا نكمل.. أيمكن؟ أظنني أعرف من أين نتابع من هنا.

استوت إدنا في جلستها، يداها على مفاتيح الطباعة مستعدة للعمل.

سألته بمكر:

- خارجي أم داخلي؟

- أرجو عفوكم؟

- من المفترض أن نصف كل مشهد بالتفاصيل الأساسية.. هار أو ليل.. خارجي أو داخلي.. الخ.. فـ أي مشهد سكتبه الآن؟

نظرته الباردة، أخبرها أنه فهم نيتها في كشف جهله بهذا المخصوص.. وقال بهدوء:

- سأترك لك كل التفاصيل الثقة.. ولسوف أفهم كل شيء بعد بضعة أيام.. أما حالياً، دعينا نركز على الحبكة العامة، والعناوين الواسعة للسيناريو كله.. ورغم جهلي، أفترض أن هنا، سيكون أول اهتماماتنا.

توجهت وجنتا إدنا وهي تحس بالخرج.. إنه عرق، طبعاً.. فهذه أول مرحلة، وكان يمكن أن تقول هنا لو لم تكون مشوقة بعياء بأن تدعنهما بذلكاتها.

تابع، وكأنه يسخر منها.. العين بالعين!

- لكنك أنت الخيرة.. لذا أنا سعيد جداً بأن ترشدني..

هزت رأسها يذهب متلبساً، شاعرة بعياء كامل.. هايدن جاكوبس ستكون له دائمًا اليد العليا، كما كان مايلز تماماً، وأكمل:

- هل لنا أن نبدأ إذن؟

كانت بداية بطيئة متعددة.. كانت مضطرة لترك منتصدعاً كل بضع

لا يمكن لهذا أن يحدث... يقين تقنع نفسها مرات ومرات... لا
شك أنها خلمن في يقظتها... بكلمات قليلة غفوية، مجازة، فخر فوق كل
الحواجز، فوق كل السنوات التي تفصلهما... أخذ منها بيري بجنون في
عروقها، وأجرت نفسها على البقاء حيث هي، وجهها يخلو من كل
تغير، بعيدين عنستعين، غير مرتخفين، انتظرت حركته الثالثة.
ولكن لم يحدث شيء... كان الرجل ينظر إليها بابتسامة لطيفة،
لغرير ودود، لا يدرى أنها تأثير الكلمات غير العادية التي نطق بها
لشهو

-حسناً... أكمل طعامك يا امرأة.

صوته كان ما يزال دائماً وكسولاً كصوت مايلز، لكن التعبير
الحادي المثير للسخط، كان لهابيدن جاكوبس:
-وصفي لي فنجان قهوة... أريد إكمال هذه
كأنها مطعونه يسكن حادة، خرج نفسها الأسير في آلة منخفضة،
معمودة. وصممتها خيبة الأمل.

جلست... فأجلف لامرأة من شحوب خديها:

-هاري... هل أنت بخير؟ أنا أسف... من الأفضل أن تتوقف الآن
لترياحي قليلاً... ستتابع فيما بعد.
أخيراً عادت من ابتلاء لقيمات، لكنها وضعت النصفباقي من
الستديوش في الصبيحة.

-لا... دعنا شابع... أنا بخير، حقاً.

فلم يصر عليها.

-حسن جداً... إذن... هاتي ستديوشانك إلى هنا... بإمكانك أن
تأكلني وتعطلي في ذات الوقت، لا تستطيعين؟
مرت اللحظة، كانت قصيرة جداً، حتى أنها بدأت نظن تقضي
تحليل كل شيء... عادت على رؤوس أصحابها إلى مكانها، فرب جسد
الطويل، المسترخي... وبجهد إنسان متفوق، عادت من أن تنفس عنها
صممتها المؤقة، والعمل بالنسبة لها علاج قديم... كان مايلز ينظمه

هابيدن أكثر استرخاء منه الآآن وذلك منذ عودته من رحلته الجهنمية
حييا هابيدن المرأة المسنة بابتسامة واسعة:

-آه... باميلا، كنت على وشك الصرخ لمزيد من القهوة.
وبشيء من الصدمة، استعادت إدنا وعها، تدرك أنها ما زالت
بالنسبة له غريبة.

قالت مدبرة المنزل المسنة بحزن، ناظرة جولها بيسأس تبحث عن مجر
نظيف إلى منضدة القهوة:
- تقاد الساعة تصل الثانية يا سيد هابيدن... وأنا أصر على أن توقف
وتتناول شيئاً تأكله.

-دعينا وشأننا يا باميلا... وخذلي الستديوشات معك... لا
أريد لها.

نظرت إليه إدنا بانتقاد... لقد تناولت الفطور في الثامنة وهي الآن
تضمور جوها... قالت المدبرة:

- قد لا تكون جائعاً يا سيد هابيدن، ولكن الفتاة لم تتناول طعاماً منذ
وصلت إلى هنا... سأترك الصبيحة قرب الأريكة وعليكما أن تجدما
طريقكم للوصول إليها.

وبينظرة ياسن الأخيرة، تركت الغرفة.
شقت إدنا طريقها عبر، وفوق، الأوراق لتهاجم الستديوشات
اللذيلة المنظر، رملة أن ترهبها قلة اعتبار رئيسها لشاعر الآخرين.
ضحكه خافتة كسلة، وصلتها عبر الغرفة، لترسل رجمة في
جسدها... وبعذر استدارت نحوه، كان جالساً على الأرض، مستذا
بطهره إلى المنضدة، يراقبها بتلك السلية الكسولة والمحطممة للقلب.
وأنت تذكرها جيداً.

قال بعفوية: وأنا من ظنت أن الأرواح لا تأكل...
علق الطعام في حلقتها... وأكمل:

- لكث لك لست روحًا، أليس كذلك؟ أنت بشر بشكل يبعث
على السخط.

تدفن شوتها له بالعمل المبدع المجنون، الذي يحولها من عاشقة، إلى زميل عمل.

كانت الساعة قد جاوزت التاسعة حين استوى هايدن أخيراً في جلسته، وسط ذراعيه، وقوس ظهره العريض بالطريقة المألوفة القديمة التي مرت إدنا من الداخل، وأعلن أنه بحاجة إلى القليل من النشفي.. فقالت ببرود:

- شكرآله.. بدأت أظنك لا تتعرض لمثل هذا التعب الإنساني. كانا يجلسان متلاصقين جداً، ينظران معاً إلى النص النهائي للخطبة العامة، شاعرين بالسعادة وإنجازهما.. استدار إليها، يلامس ذراعها، بحركة طبيعية ودودة:

- كم أنا فخز لا أراغي شيئاً يا حبيبي.

أجلفت إدنا، دون إرادتها، وجذبت ذراعها منه، وأكمل: - في المررة القادمة، من الأفضل أن توقيفي حين تشعرن أنتي أدفعك بقصوة. لقد حذرتك بالأمس أنتي أبل إلى تحاول الآخرين.

ردد بصوت منخفض وكأنما لنفسها:

- لا أعتقد هذا.. ولا أغلن أليك دون إحساس وبارد المشاعر، كما تحاول أن تظهر.

- هذا جيل جداً منك يا حبيبي.. تكتفي هكذا، ومن الأفضل أن تصدقني.. ما رأيك الآن بأن نركض معاً قليلاً؟

لاحظت أنه اعتبر أنها ترکض باستمرار كامر مسلم به، مرة أخرى، دون أن يدرك، كانت ذاكرته المدفونة يعمق تلاعيبه، وبطريقة مستقلة عن عقله الوعي.

لحقت به إلى أبواب الباحة المصوفة، ثم إلى الأبواب الخشبية في نهاية حديقة الشيلا، التي قادتها إلى غرفة عام يتجه إلى المرج. لا شيء يمكن أن يكون مختلفاً عن الشاطئ الرملي في سانت باتريك، أكثر من ليل لندن والشعب للليل تحت جذانيهما.. مع ذلك انطلقا معاً بركض بطيء، جنباً إلى جنب، كما كانوا يفعلان تماماً منذ سنوات، في الجزيرة.

كان ركضاً قصير المدى مقارنة بالأميال التي اعتاداً أن يركضاهما، لكنها كانت مقطوعة الأنفاس حين وصلا الشيلا المظلمة.

قالت تعترض وهي تلهث، عازولة الشفاط أنفاسها:

- أحتاج إلى التعرير.. فنان لم أحرك عضلة واحدة منذ أتيت لندن..

- متى

- متى كان هذا؟

- أوه.. متذلاً ثلات سنوات، تقريباً.

- جئت من السيشل، أليس كذلك؟ ما اسم الجزيرة؟

- سانت باتريك.

- أوه.. أجل.

وضع ذراعه حول خصرها يدعيمها، وأسرع بها الدرجات القليلة إلى الشزل الهادئ» الساكن، ولكن حين أصبحا في أمان في الداخل، أبعد ذراعه، ما بدا معه لإرها وكتنه اشمئزاز مفاجئ.. لكنها لاحظت الآخر والأرتباك اللذين عثرا وجهه، والطريقة التي نظر فيها إلى ذراعه، وكانتا كان يلامس سلاكاً كهربائيًا.

كانت تسير نحو المطبخ حيث ما زالت ياميلاً المسكينة متضررة لطعمهما، حين لاحظت أنه يسير في الاتجاه الآخر.. وقال من فوق كتفه:

- قولي لباميلا، إنني سأتناول طعاماً بسيطاً في غرفتي.. إذا سمحت. لا أشعر برغبة فيوجة كاملة.

توقفت مسمراً.. مصدومة بغضاظته المفاجئة، في وقت لم تتوقع منه هذا.. وقالت ببرودة:

- لقد كانت تحافظ على الطعام ساخناً لك طوال المساء.. وتعرف هذا.. إلا أظن أليك تدين لها ببعض الأعيبار؟

- إذا كنت أدين لها.. فهذا يعني وبها، ولا أرى كيف أن ذلك شأنٌ بعادي، إلا إذا كنت غير قادرٍ على قضاء ما تبقى من الأمسية وحدك..

ردد بتوتر:

- لا تدع هذا يزعجك، لقد أمضيت معظم حياتي على جزيرة ليس

فيها سوى أخي وأبواي أمضي أمسياي معهم. لذا صدقني، أنا معناده
 تماماً على أن أكون لوحدي... عمت مساء!

مضت عدة دقائق قبل أن تهدى من جرح كرامتها... وذكرت
 نفسها أنه قد يعامل «أميرة» بنفس الطريقة المزبحة. مايلز، وهابدن، لا
 يهتمان بالكياسة؛ فكلاهما يفعل بالضبط ما يشعر به... لكن الفارق، أن
 مايلز كان سيرغب في قضاء الليل كله معها... بينما هابدن الآن يتمكّن
 إلى قوته بارداً، وحيداً.

كانت العاصفة في الخارج قد انفجرت بشدة حين أثبت إدنا طعامها،
 وانسجت إلى خلوة غرفة نومها المريحة، متبعة جنباً، مرتفقة، لا تستطيع
 ارتداء قميص نومها، ولا أن تُرْجَف إلى خت النقطاء. أذنها كانت تطنان
 بأصوات الربيع المعولمة، والمنظر الالاسع خارج النوافذ التي لا ستائر لها.
 جلست على السرير الكبير تفكّر هابدن... المقلق بابه عليه، والمتعلّق على
 نفسه. وتساءل عما إذا كانت أحاسيسه أو دوافعه، لا يحكمها عقده
 الوعي، وإنما تحرّكها ذكرى ليلة ممائلة وعاصفة أخرى... أكثر ضراوة
 وشراسة من هذه النسخة الصغيرة... .

كان الصمت المخيف الشديد هو الذي أبقي إدنا تلك الليلة... . يقين
 مستلقية جامدة في فراشها، تصرّ سبب توترها بالصمت الخانق الذي
 يسبق عادة هبوب العاصفة. لكن العواصف العاتية الخطيرة لا تثور في
 مثل هذا الوقت من السنة... هكذا، مثلها في ذلك مثل أيّها، وكل
 الحلين الذين يسكنون سانت ياتريك، صرفت النظر عن جرس التحلير
 الذي أطلقته أحاسيسها. وقررت أن الأمر لا يبعد أن يكون عاصفة
 عادية... وكانت على وشك العودة إلى النوم، حين وصلت إليها أصوات
 آهات أنها المبرأة للشقيقة غير الجدار الذي يتصل عرضهما.

حين وصلت إدنا إلى جانب أنها، كان ياتريك جايمسون يتصل عبر
 الهاتف ليستدعي طائرة هيليكوبتر لنقله وزوجته إلى «عامي» لإجراء
 جراحة طارئة... كانت غريلس جايمسون تعاني من أمnesia، ولا حاجة
 لطبيب ليشخص لها غيبوبة الشديد، وأنورخات المولدة الحادة في جانبيها
 الأيمن على أنها نوبة التهاب إنزائدة الدودية... فالعيش في جزيرة منعزلة
 كان يوجب على أمّة جايمسون أن تكون على معرفة وحدّر تامين يأتي
 بإشارة مرضٍ.

في أقل من عشرين دقيقة، حطت طوافة المستشفى الصغيرة على
 المحيط البدائي المرصوف في حدبة المنزل وحمل مايلز غريلس بين ذراعيه،
 ونزل بها السلم، ليُسددعا برفق على المحفنة... وقال ياتريك جايمسون
 لابنته:

- سأتصل بك حالما يكون لدى ما أخبرك به... في هذه الأثناء، من
 الأفضل إيقاف كل مصاريع النوافذ الخشبية المقاومة للعواصف... يبدو أن
 عاصفة قوية على وشك الهبوب.

انتظرت إدنا، إلى أن أفلعت الطروافة، ثم أخذت في الاستعداد للعاصفة.

استفنت عن مساعدة الخدم، الذين لكل منهم منزله ليهتم به، ثم أعددت هي ومايلز المنزل لأي شيء يغتله الجو الذي لا يمكن التكهن به. اتصل والدها بعد ساعة، ليقول لها إنها وصلت المستشفى بأمان وإن أنها الآن تخضع للجراحة... ولقد وصلت في الوقت المناسب، قبل أن تتفجر الزلادة.

كانت الساعة قد بلقت الثانية قبل أن تسحب هي ومايلز كل إلى غرفة نومه... وكانت إدنا مرهقة جداً بما قامت به من جهد في منتصف الليل، ومشغولة الفكر بحالة أنها.

استيقظت بعد ساعتين من النوم المتقطع، كل أحاسيسها متورطة لوقع المطر الشديد على المصاريح الخشبية الواقية من العاصفة، وعلى صوت الريح الشديد المخيف... على الفور، تذكرت خطوطه فضة مايلز، وخطوطه السيناريو الذي تعامل على وضعه، والموضوعين، دون اكتزات، في خزانة خشبية، في الساقية.

وأسرعت إلى الخارج، لتلقي لحظة عند باب غرفة مايلز، تفكير في أن توافقه، كي لا تذهب إلى الشاطئ... وحدها... لكنها عرفت أنه سيمعنها من الخروج، وهكذا فررت أن تتبع ما بدأته وحدها.

كانت مضطربة لتصارع مع باب المطبخ الخلفي الضيق في وجه الريح الشرسة العاتية، وعلى الفور أصبت بالليل من جراء النظر البارد، الذي أخذ يلسع وجهها، وكأنه أطراف خناجر مدببة، كانت الريح تهب في شعاعها، تموي كحيوان جريح، تقاؤمها في كل إنش تقدمه وهي تنزل السلم إلى الشاطئ... كان يجب أن ترتدي أحد المعاطف الواقية من المطر، الموجودة في خزانة في الردهة الرئيسية... لكنها كانت مبللة حتى العظام، ترتجف ببردًا بشكل مثير للشقة.

في منتصف الطريق توقفت، وقد غمرها الرعب من الجو المجنون الذي رمت نفسها فيه... هذه ليست عاصفة عادية... ولم يعد لديها أي

شك في أن هذه عاصفة هرجاء، ربما تكون مقدمة للأعصار.

فجأة بربز جسم ضخم ضبابي من قلب ذلك الجحيم، جعلها تكاد يغمى عليها من الرعب... وفقدت قدماتها ثيابها على الدرجات الحجرية المتزلقة، وبدأت تترنح دون شيء يحول دون انقلابها رأساً على عقب، إلى الأسفل حيث الرياح العاصفة... وما لبثت أن شعرت بالأمان وهي تغزو في ذلك الجسم مايلز في معطفه الواقي من المطر.

- أيتها الحمقاء... ماذا تفعلين هنا؟

صاحت ليسمعها: الخطوط! إنها في الساقية!

فرد صاحباً: إنها معنى ا

دنس ربطه كبيرة ملقففة بمعطف واق من المطر بين ذراعيها، وفجأة كانت قدماتها متذليلين في الهواء... وهو يمسك بخصرها ويرفعها تحت ذراعه وكانتها دمية متراخية.

كان وصول إدنا قد استغرق أكثر من عشرين دقيقة وهي تنزل مواجهة لل العاصفة... إنما الآن، ومايلز يتسلق السلالم مع اتجاه الريح، فقد أصبح خارج باب المطبخ في أقل من خمس دقائق، إذ كانت الريح تكاد تدفع قدميه عن الأرض دفعاً.

ما إن أصبحا أمام المنزل، حتى أعادها إلى الأرض بعد أن تأكد من أنها أمسكت بجاجز الشرفة الحديدية، ثم جرها معه إلى الداخل مغلقاً الباب في وجه العاصفة المجنونة.

أخيراً أصبحت صفحات الكتابين آمنة فوق منضدة المطبخ، رغم بلال طفيف لحق بها.

قال وهو يخلع المعطف:

- في اللرة القادمة التي تقدر بين فيها دفع ضجة مسكنة لعمل إيداعي عقري، تأكدي من أن يصفع سخة ثانية من عمله... أنت مبنطة جداً أيتها الحمقاء... وأنا كذلك... أين مفتاح النور؟

تركه وشققت طريقها في القلام إلى مفتاح النور... لكن لم يحدث

شيء، فقلت باستسلام:

- اتس الأمر، من الصعب أن يعمل المولود في عاصفة كهله.. سجد
مصابح «الكار» خلفك، على الرف الأعلى.. لا بد أنه متله.. وعلبة
الكريات إلى جواره.

بعد دقائق من الشتائم المتقدمة، أضاء المطبخ نور باهت كليل.

- أين المدفأة؟.. لا أذكر أني رأيت مدفأة في المنزل.

- نحن لسنا في إنكلترا.. إننا لا نحتاج أبداً إلى تدفئة هنا.

كانت مشغلة بالموقد القديم الطزار، الذي يحتفظ به لخليل هذه
المناسبات، التي يفشل فيها مولد الكهرباء بإعطاء الطاقة للفرن
الحديث.. حرارة الموقد اللطيفة جعلتها تحس بعدم ارتياح في ملابسها
البللة. وقالت له:

- هناك بعض البطانيات في الخزانة التي في الردهة الرئيسية.. من
الأفضل أن تخلع ملابسك، بينما أحضرها إليك.

احست أنها أفضلي حالاً الآن وهي سيدة الموقد، فهي معنادة على
العواصف، بعكسه هو.

كان قد خلع قميصه فقط ووقف قرب الموقد، يدخل جسد التارد
بشدة بمشقة المطبخ.. كان الضوء الباهت للمصابح يقع على البشرة
الناصعة، لظهور التحليل القوي، ولم تستطع تحويل عينيها عنه. بدا وكأن
له عينين في مؤخرة رأسه.. فقد أغلقلاها بقوله:

- توافقني عن التحدث بي يا إدنا.. واخلع ملابسك!
رمت إليه بطانية وهي ترتفع، ثم أخذت تخلع ثيابها البللة
وسارعت إلى التدبر بطانية.

عندما استدار حاولت أن تحمي نفسها من نظراته، وهي تشعر
بالذنب، فقالت:

- أوه.. يا مايلز.. أنا آسفة.. لم أكن أقصد أن..

ارتفاعت عيناه لتنظر في عمق عينيها:

- أصمتني، قطوني الصغيرة.. نحن الآن بين يدي الأقدار، كما

أعتقد.. ولا جدوى من محاربتها.

سألته مستفورة:

- أنت لست غاضباً.. إذن؟

تجاهل سؤالها، واستدار عنها:

- هنا يا إدنا فلنصلد إلى فوق، فنحن بحاجة للراحة بعد هذا العناء.
فيما تملكتها مشاعر حادة.. ثم سمعت أهنه أخافته، واستدار
بعدها فطالعها الشاعر في صبيه.

دفعها أمامه:

- هنا.. من الأفضل أن تسيري أمامي، فلتعرفن المنزل أكثر مني.
والتقط المصباح.

سارت أمامه مباشرة إلى غرفة تومه، غلوكها شيء من الدهشة وهي
ترى أن صوت العاصفة والمطر والريح في الخارج أصبح خفيفاً جداً، إلى
درجة مهمتها بعيدة عنقرة، بالمقارنة مع ضربات قلبها العتيقة.. ثم
امتدت يدان إلى كتفيها وجدتيها إلى صدره ثم قال بهدوء:

- أنت جميلة، أتعرفين هذا؟ أحاسيسى تدلني على أنني لا شئك رأيت
بضع نساء في أيامى، مع أنتي، وحق حياتي، لا أستطيع أن أتذكر
واحدة منها.. لكن ما أعرفه أنت تحظفين أنفاسى بجمالك.. وأنتي
أزيدك.

ثم دفع يديه يدفع بما شعرها الطويل عن وجهها، وأدارها إليه
ليركز عيشه الأن على وجهها وعيينها اللتين تسمرا على فمه غير المبتسם.
لو أنها حاولت، لما استطاعت أن تستعيد خجلها الطبيعي إزاء
الشاعر المكتوفة في نظراتها.. كانت نوعاً من الشاعر غلوك الروح
والجسد معاً. أخيراً أخفقت نظرها، لم تعد تستطيع تحمل المزيد من
العذاب لكتفها عمما في نفسها.

وراح يعانقها برقة وبطءه ثم قال:

- أوه.. كم أحبك يا إدنا!

وعرفت من شدة وقوف الكلمات أنه أعطاها بذلك عهداً، فابتسم
والدموع تترقرق في عينيها:

- أنا أحبك يا مايلز.

فجأة شعرت بالخوف والرعب من المجهول، فهيا لا تعرف إلى أين
يقودها هذا المجهول الغريب أخيراً.

ابتعدت عنه وقلبي يعصف في مسار مقايير.
جذبها لريح وجهها على صدره، بما يكفي لسماع دقات قلبه

المحاق، المسارعة. وهو يستمئن قاتلاً:

- نامي الآن يا إدنا.. وإن لم تسمعيتي قبل الآن.. أحبك.
في الصباح نزلت إلى حكت فالتفت به، قالا دفعه واحدة عن العاصفة
التي كانت مزعجة بالأمس:

- لقد انتهيت.

وضحكا معاً، وضمهما مايلز إلى صدره.

- أترين في فقد الأضرار في الخارج؟
وتحمّلت إدنا فوراً إلى الهاتف، لتصل بالمشتني لسؤال عن أخبار
آمها. لكنها رفعت صوتها بحيث يصل إلى المطبع حيث كان مايلز يحضر
الفطور

- الهاتف مقطوع.

رد عليها:

- وكل ذلك المولد. لا كهرباء..

سألها بعفوية، بعد أن رمت ملassema المبللة إلى سلة الغسيل:

- هل أنت معنادة على الخدم؟

- أستطيع العناية بنسبي جيداً دونهم، إذا كان هذا ما تقصد.. إذا
كنت تظنين أن نفس المال قد يهدى عنك فأنت تضيع وفتك مدي. هنا
إلى أنك ستعتني الملائكة من كتابك.

لكنها اندرست على كلماتها قبل أن تنهي جلتها. فقد خبت
ابتسامته، ونظر إليها بمزاج غريب من السخط وشيء يشبه الندم. ثم

ذلك يهدوه:

- كل فطورك يا إدنا.. وأصمتني.
لكن الصحر حصل.. وذكرى ذلك الزجر الغاضب أصبح الآن
يُمشي أنفها الأزرق.

كانت الشمس تشرق متالقة فوق التوessian الموجلة التي تركتها
ال العاصفة ورائها... لكن التضرر، بوجه عام، كان قليلاً. وكان أقل
أجزاء معنادين على تقلب جوّ المحيط الهندي الذي لا يمكن التنبؤ به.
سفينة الشاطئ.. ذهبـت.. عمـدابـاـ كانت مدفونـة تحت السـفـنـ
الـخـلـيـ. لكن الطـبـاعـيـنـ الـحـمـيـنـ بـعـلـافـيـهـمـ لـتـضـرـرـاـ.. حـنـيـ الـخـازـانـةـ
الـلـمـسـيـةـ الـلـمـسـيـةـ كـانـتـ ماـ تـرـازـ هـنـاكـ، وـقـدـ تـاثـرـتـ حـطـاماـ. بـوـقـوعـ أحدـ
الأـمـمـةـ عـلـيـهـاـ، وـلـخـسـنـ الـحـظـ كـانـتـ فـارـغـةـ، لـيـسـ فـيـهـاـ سـوـيـ بـعـضـ
أـدـوـاـتـ الـكـاتـبـةـ وـوـرـقـ الـطـبـاعـةـ انـفـارـعـ..

تنفسـتـ بـاـرـتـاحـ لـوـصـولـهـمـ إـلـىـ الـخـلـيـجـ، وـوـجـدـاـ آـنـ غـرـيـسـ يـجـتـنـبـ
الـعـائـلـةـ، يـتـارـجـحـ بـهـدوـءـ فـوـقـ الـمـيـاهـ الـسـاـكـنـةـ، وـعـوـ ماـ زـالـ مـرـبـوـطـ بـعـرـبـاـةـ
بـأـمـانـ.. وـقـالـتـ إـدـناـ مـتـنـهـدـةـ

- سـبـقـ وـانـجـرـفـ الـبـحـثـ إـلـىـ الـبـحـرـ مـرـتـبـنـ فـيـ الـنـاسـيـ. تـعـالـ، لـمـعـدـ
رـتـصـلـ بـالـمـسـتـشـنـيـ عـرـرـاـلـيـ الـرـاـبـوـيـ فـيـ الـمـرـكـبـ.

جاءـ صـوتـ باـتـرـيكـ جـاـيـسـونـ الرـنـانـ بـعـدـ قـلـيلـ، يـخـفـيـ قـلـفـهـ وـرـاءـ
غـيـرـ مـتـوـرـ.

- حـانـ الـوقـتـ لـتـصـلـيـ. كـانـ أحـاـواـنـ الـاتـصالـ باـتـرـولـ مـنـذـ السـادـسـةـ
صـبـاحـاـ.

- الـهـاـنـفـ مـقـطـرـعـ يـاـ أـيـ.. وـلـقـدـ تـأـخـرـنـاـ فـيـ النـوـمـ.. كـيفـ حالـ أـمـيـ؟
كـانـ غـرـيـسـ بـخـيرـ كـماـ أـكـدـ لـهـاـ والـدـهـاـ، لـكـنـ كـانـ فـرـصـةـ عـوـدهـمـاـ
إـلـىـ الـمـنـزـلـ قـبـلـ هـمـاـلـيـةـ الـأـسـبـوـعـ ضـئـيلـةـ جـداـ.. فـلاـ وـسـائـلـ نـقـلـ.. عـامـاـهـيـ
عـلـىـ عـكـسـ سـانـتـ باـتـرـيكـ، ضـرـبـهـاـ الـعـاصـفـةـ بـشـدـةـ، وـقـدـ سـادـتـ الـفـوـضـيـ
كـانـ شـيـءـ.. وـسـالـهـاـ بـخـذـرـ:

- مـاـ هـيـ الـأـخـرـارـ، عـدـاـ خـطـوطـ الـهـاـنـفـ؟

عرفت ما يريد فعلاً أن يسمعه:
ـ أنا يخبر يأتي، وكذلك مايلز.. المنزل لم يمس، مولد الكهرباء
توقف، لكننا مستدير أمرنا يأتي.. لا تقلق، بلغ أبي حبي
ـ سأفعل.. وقولي مايلز إبني أشكر له مساعدته.. أحس بالارتفاع
لوجوده هناك ليرعاك.. وداعاً الآن.

الصمت في قمرة البحت، لم يكن يقطعه سوى هممة الحيط
وكان مايلز يقف خلفها، صمت ينطق بأكثر من الكلمات

استدارت بغضب تواجهه:

ـ لا نظر إلى هكذا يا مايلز.. لهذا أمر سخيف.. فقد كنت
برعاني.. ليلة أمس، كان يمكن أن تطبع بي العاصفة وأنت..
قاطعها بهدوء: أصمني يا إدنا.

وابعد عنها متوجهًا إلى سطح المركب.

لحتت به.. فقال: كنت أفقد سيطرتي على نفسي بالأمس وهذا ما لا
أريد أن أتعرض إليه ثانية فربما لم استطع في المرة الثانية عمالك رمام نفسي
وفقدت السيطرة.

ـ إنك.. إنك لا تفكري بما قلته منذ أيام عن تركك الجزيرة فيما لو
فقدت القدرة على ضبط نفسك.. أليس كذلك؟
كان يقف قرب ساج المركب، ينظر إلى الجزر البعيدة السابعة في
الضباب في الأفق الأزرق.

ـ لا يمكنني يا مايلز.. لا يمكن أن تذهب أليس الآن؟
استدار ليواجهها، فنقتضي الصدمة وهي ترى وجهه منفرج
الأسaris:

ـ لا تفكري بهذا يا إدنا.. والآن، ما هي الإجراءات العادلة في
الجزيرة بعد العاصفة؟
ـ لم يكن لديك خيار سوى إطاعة أوامر حربى.. وفي ما بعد، أبعدت
أية ذكرة عن المستقبل؛ وأية لهفة أو كآبة من رأسها.
ذلك الصباح حين عاد إلى المنزل، وجدا سوزي وبلاك متكببين على

العمل بنشاط، يستظفان المكان عائدين إلى عملهما العتاد في منزل أميرة
جايمسون. وانتظرا عودة سوزي وبلاك إلى عائلتها، ليسحا، ويقطعا
ويجولا في أنحاء الجزيرة، يتذجنان بمحنة آلة ملامسة قد تؤدي بهما إلى
تصاعد مشاعر لا يسكنهما السيطرة عليها.

لكتهما كانا أكثر استرخاء في الأيام التالية..

وكانت هذه أجمل أيام حياتها.. ويساهم بالضبط، لم تعد قادرة على
الكيف مع أي نوع جديد من الحياة فيما بعد.

كان كريماً في جبه، مع ذلك لم يكن جياش العاطفة ولا رومانسي
بشكل مطلق.. ولم تعد إدنا بالنسبة له روحًا خالية، كما لم يعد هو أمير
الاحلام.. كانوا مجرد رجل وامرأة، مع حب، قد يكون شارقاً في بعض
الأحيان، لبعضهما.

الليلة التي سبقت عودة غريس وباتريك جايمسون إلى المنزل، لم تعد
إدنا تستطيع كبح التوتر واللهفة المصاعدة. سالت:

ـ مايلز.. ماذا أخذ؟

ـ تعنين اليوم.. أليس كذلك؟

ـ تعرف ما أعني.. ماذا ستحدث حين يعودان؟

ـ ماذا لو علمنا إلى العمل؟

ـ أرجوك يا مايلز.. أجيبي..

ـ لست أدرى.. دعينا نقرر ونحن نواجه الواقع.. أيمكن هذا؟

للعيشها تكيناً فوراً مع التغير الحشي لحياتها في وجود والديها..
وعاد فعلًا إلى العمل، وإلى رياضتها المترعة.. وأيقنها بجهما تحت رباط
محكم..

لكن الإحساس باقتراب بير المحن، أصبح دائمًا الآن في نفس
إدنا.. كانت تشعر وهي تراه كل صباح في وقت الفطور بارتياح شديد
وكأنما كانت تتوقع أن يختفي خلال الليل.. لم يقل لها أي شيء عن
خططه، ولا أظهر لها أي دلائل عن وصوله إلى قرار.. لكنها عرفت أن
المجهول قادم، وهي عاجزة عن فعل أي شيء يمنع ذلك.

كان الوقت بعد عشرة أيام من عودة أبيها.. وكانت بعيلان في
سفينة الشاطيء، ظهراً إلى فنهر كالعادة.. طابت لها تنافسان معاً في
طفلقطة شرسة.

فجأة صمت طابعته، وقال دون أن يلتفت: كيف حالك يا إدنا؟
ردت بأدب ساحر: بخير.. شكر الله.

استدار إليها مبتسمًا:

- هذا على الأقل جسر ن Kahn من اختياره

- هل ستعبر قيل أن ترحل؟

رد برقة:

- لا.. أنا آسف يا حبيبتي.. لا أظني قادرًا على مواجهتك.

- سأقول لك وداعاً الآن.. إذن..

- وداعاً يا إدنا.

ركع خلفها، يدها تحيطان بكتفيها، وأدارها إلى صدره.. وبقيا
متعلقين ببعضهما للحظات يأس لا زمن لها، وبصمت كامل.. ثم أمسك
 وجهها بين يديه، أصابعه تعبت بخصلات شعرها الطويل، وجعلها
ترفع رأسها لتلتقي عينها بعينيه الزرقاءتين العميقتين، وكانتما يحاربان
طبع صورتها في ذهنه.

الألم الصرف الذي رأته في عينيه خرق قلبها. فابتسمت، تحاول
إراحته، ناسية بؤسها للحظات. أخيراً، رد عليها بابتسامة متكررة،
وتركتها.

أدرا ظهرهما لبعضهما ليعاودا الطباعة.

في اليوم التالي كانت تسبح باكراً في الصباح كعادتها، وعلى مسامة
 بعيدة عن الشاطيء، حين شاهدت طائرة صغيرة ذات مقعدين تحط على
المدرج الصغير تحت المنزل.. وذابت كل قراراتها المتصلة، وهي تسبح
بعهد إلى الشاطيء.. حين وصلت أخيراً إلى الشاطيء، كانت الطائرة
الصغيرة تتحرّك استعداداً للإنلاع.. عبر النافذة رأت طيف مایلز
وجان وجهه التكبر. وما كان عليه سوى أن يدير رأسه ليراها تقف.

على عمق الركبتين في الماء، جامدة دون حراك.. لكنه استمر ينظر إلى
الأمام بثبات.. ثم الخفى.

اكتشفت فيما بعد ذلك النهار، أن مایلز تحدث مع والديها يوم
عودتهما بالضبط من المستشفى في «ماهي». وكان عيناً في إصراره على
أن يكون صريحاً معهما.

بالطبع، لم يدهشا لسماع حبه لابتهما.. لكن صدمتهما جاءت
حين فهموا أخيراً أن لا مجال للزواج.

قالت غريس وصوتها يقطّر الماء وأشفافاً:

- لم يخف هنا شيئاً يا إدنا.. أخبرنا حقيقة مجده إلى سانت باتريك،
ومن فدائه لذاكريته.. إنه رجل دون ماضٍ، دون هوية، وليس من حقه
أن يربطك معه.

- أتعين، أذلك وأي شجعتماه على الرجل؟
تدخل والدها:

- لا.. لم تفعل.. فلأنكم أتيحت إلى مراجعه لأشكل رأياً حوله..
لأنني أعرف الرجلطيب حين أراه.

قالت غريس بحرّم:

- أقترح والدك أن يبقى هنا، ويبداً حياة جديدة.. لكنه رفض.. قال
إنه مضطر أن يعبر على هوبيه قبل أن يقبل بمنتها.. وهو حق يا إدنا،
يجب أن تتظرّي عودته، معاق تماماً.. أو..
أكملت إدنا الجملة:

- أو أن أتعلم العيش دونه.. أعرف هذا، لقد سمعته يقول هذا
مرات ومرات.. حسناً جداً.. لا يمكنني فعل شيء غير هذا، أليس
كذلك؟ لم أسأل عن رأيي، ولا استشاري أحد.. أنتم، ومايلز،
وأخصّ، تدارست مستقبلين بعنابة وتعقل.. لكن ما من واحد منكم
أخذ مشاعري بعين الاعتبار.. أنا شابة، والحياة كلها أمامي..
وسأتجاوز المحنة.. أليس كذلك؟

نظر والدها بصمت إلى هذه المرأة القاسية التي جاءها إلى الحياة..

تساخبني . ولكن ، تذكرني فقط ، كلما فكرت بي ، بأن ذاكرتي مهما كانت خاتمة في الماضي ، فستبقى دائمة حلقة لك . قلبي يقول لي إنني لم أحب يوماً مثلك ، وكمي كله يصبح عالياً إنني لن أحب سواك .. لذا ، يا حبي ، إلى اللقاء ... مايلز .

طنة شوق كحد السكين ، أخرجت إدنا من ماضيها إلى قوسى
الحاضر البائس

بدا لها أن من الصعب أن تصدق أنها بالأمس فقط كانت مستعدة أن تخلى عن ذراعها الأيمن لفرصة فضاء بضعة أيام في صحبة هايدن جاكوبس . أما الآن ، فقد ثنت لو أنها لم تقنع نفسها بالدخول في هذا الموقف الصعب . كانت قد ظلت ، أن الأم الذي خبرته بعد رحيل مايلز ، قد أعطاها مناعة ضد أي شيء . لكنها لم تفك بالجهد الذي يفوق مقدرة البشر ، والتي ستضطر إلى ممارسته على عقلها وأحاسيسها .. فهذا أبعد بكثير من مقدورها .

وفترت أمراً .

كان الوقت قد تجاوز متصف الليل ، والوقت متاخر جداً للاتصال بدوبل فرانسيس . لكنها تستعمل به في الصباح ، وتطلب منه أن يبحث عن غيرها ، ويبعدها عن هذا الجحيم .

بدا لها هذا أمراً محاناً ، وسهلاً . يامكانها أن تسيطر على فوران الذكريات المؤلم ، والشوق الذي يثير مجرد النظر إليه ، طلما الرجل نفسه يرفضها ، بالتعرفة غير المكتسبة . إنه يجد مثل مايلز ، وواضح أنه يتمتع بقدرة مايلز على السيطرة على أحاسيسها . ومثله مثل مايلز ، كان يبهرها يذكائه الحاد ، ومواهبه غير العادية . لكن حبها المستعصي ، الذي لا يبهر ، مايلز ، كان يرهقه ذلك الزريع الرابع من الدفء والمعرفة ، والحنان ، وكل هذا كان حصرأً بمايلز وحده . قد يكسب هايدن

وأكملت حسناً جداً .. قد أكون شابة ، وحيوان كما تقولون ما زالت أمامي . لكنني ، أبداً ، أبداً ، لنتجاوز عنقتي أو أنسي مايلز . وإن يكون لي رجل غيره .. لذا من الأفضل أن تقول له هذا في المرة القادمة عندما يتصل بي كما .

لكن ، لم يكن هناك «مرة قادمة» فالرغم من وعده أن يعلم الوالدين بمكان وجوده ، إلا أنه لم يتصل أو يكتب ، أو هكذا قال ، على الأقل ، ربما لحمايةها .

حسن حظها ، تذكرتها طريقة الحفاظ على الذات ، للأيام التي تلت ، الأسابيع ، والأشهر .. فهي لم تكن تعرف الألم من قبل .. لم تكن قد واجهت من قبل أي عداء حقيقي أو قسوة ، لذا لم يكن لها دفاعات ، ولا وسائل حماية ضد الألم الثابت المستمر ، دون كلل .. كانت خسارتها تبدو لها حية في كل زاوية من الجزيرة ، كل نشاط يومي ، كل صوت ورائحة ، في الواقع ، في كل شيء «شاركته مع مايلز .. ويرجع بها الألم ، وسلبها حتى الغضب ، أو الكراهة ، للرجل الذي كان سبب كل هذا .. كانت تعلم أن الشوق إليها يؤله هو أيضاً ، وهذه المعرفة زادتها معاناة .

مررت ستة شهور .. وعاد الميلاد مجدداً ، بسجل مرور منه على إلقاء الأمواج بمايلز على شاطئ «الجزيرة» ، مع ذلك ، كان الألم ما يزال حاداً ، قاسياً ، يدمّر روحها ، كما كان دوماً . وفي ذلك الميلاد جاء ليون في عطلة السنوية ليخبرها بأمر هايدن جاكوبس .

لم تكن قد لمست سيناريو قصة مايلز منذ رحيله .. فما إن عرفت أنه أخذ معه النسخة الوحيدة ، غير المتميزة من عمله حتى فقدت الاهتمام بعملها . لكنها قبل تركها لسانٍ باتريك إلى انكلترا ، تزرت بالي السقيقة ، وأخرجت الملف السميك ، تنوّي استخدامه كدليل على علاقتها السابقة .. إنه دليلها الملموس الوحيد في الواقع .. عند ذلك فقط ، وجدت رسالته الوداعية على قمة الأوراق المطبوعة .

«لن أطلب منك مسامحتي بما إدنا ، فكلانا يعرف ألك لن

جده، لا إحسانه.
بحلول الساعة الثانية، كانت ما تزال مستيقظة، وأسمها يضجع بذات

الأذكار، تدور وتدور... حتى أنها لم تكن قد خلعت ملابسها بعد.
قد يكون من الأفضل لها أن تستخدم ساعات البقظة هذه، لتأخذ
شهداً من السيناريو القديم... ومحبوزه للبيوم التالي، حين يعودان للعمل
معاً. يبدو أنه لا يمكّن في أن تُظهر شيئاً من إبداعها، وهي والثقة من أنه
سيوافق على معظم ما تقدم له.

تُكتَّب من أن تصل المكتبة بسهولة... لا شك في أنها وهابden ترى
الأذوار مضاءة، حين ترك الغرفة... فقد كان هناك شاعر ضئيل متصرف
عبر غرفة الملتوس الواسعة إلى الباب. دخلت لترى أن الغرفة كانت
مضاءة فقط بمصابح يعطي نوراً مباشرأً إلى المقعد الجندي.
لكن، ما إن وصلت المنضدة، حتى بدأ قلبها يخفق يقتل.

عرفت أن شيئاً ما قد حدث لحظة وجدت الدرج مفتوحاً. لقد أبقي
ب نفسها مقللاً طوال اليوم، فآخر شيء، كانت ترميده، هو أن يلاحظ هابden
وجود المخلف الرقيق، الذي تحفظ فيه أول بضعة مشاهد من السيناريو.
والخلف اخفي.

لم تندهن كثيرة حين وصلها صوت من على المقعد الجندي.
ـ إذا كنت تبحثين عن نسخة السيناريو، فهي معي هنا... وأنه تأثر
شكراً بالغ.

كان جائساً، مختبراً في العقد. وخدعاً ساقاه الطويلان كانوا
ظاهرين، مرتاحين على كرسي جلدي منخفض للأقدام وأكمل
ـ واضح أنك شاركتي اهتمامي عن النوم. لنا دعينا تتبع
العمل... ألمانين في أن تقزني مني أكثر؟
حين لم تردد أدار المقعد الجندي بسرعة، لواجهتها... الفساد
المخفض جعل عينيه الزرقاويتين تلتسعان بغضب يارد مفرغ.
ـ قلت القويـاـ

إعجابها، لواهه وذكائه، لكنه لن يستطيع فرض سيطرته على قلبها
لأنها خلال ذلك اليوم الأول، شاهدت عودته شيئاً ثميناً إلى
الرجل الذي عرفته يوماً... كان في المصاحبة التوافقة في عملهما، يخلع
عن تلك التورّعة القاسية الواقية، ليكشف طبيعته الأخلاقية، وكانت هذه
طبيعته في حياته الحالية أم في تلك الصانعة المنسية.
وكأنها تقع في الحب مجدداً... مع ذلك، فالفرصة في أن تجد السعادة
في هذا الحب الجديد غير موجودة في الواقع.

لم تكن لتشك في أنها قادرة على أن تجعله يريدها... خلال السنوات
الثلاثة المنصرمة كان لديها الدليل القاطع على قوة تأثيرها على الرجال...
ـ تطلب يوماً، ولا فهمه حقاً، لكنها ليست عصاء لتجاهل الواقع...
ولم يزعجها هذا كثيراً وإن كانت دائنة من أن توقع مسبقاً تلك الدلائل
التي لا مجال لنكرها، فتحولت من محاول إغراءها إلى صديق مخلص
طبع... ولم تشعر يوماً بأي إغراء في أن تستجيب لأي منهم.
لكن مع هابden، كانت تعرف أن لا قوة لها على المقاومة... وكيف
تنطبع أن تقاوم، وهي عرفت حبه مسبقاً؟
أمن المسكن، في يقائها قربه، وفي تحريرها بلطفه، ذاكرته، أن
 تستطيع استعادة ما يلي إلى الحياة مجدداً؟

مع ذلك هذا ليس ضماناً بأنه، وهو هابden، سيحبها كما أحياها
مايلز، وهو وحيد خالق الذاكرة... أذناها كانتا تضجيان بالكلمات المتألة
التي قالها تلك الليلة في الساقية؛ إذا استطاعت الثقة بمشاعر رجل لا
ماضي له ولا مستقبل بل حاضر فقط مؤلف من قصة خيالية نصف
متنهية، عن جزيرة مسحورة، إذن نعم أنا أحبك.

كانت واثقة من أنه قد يسترجعها ما إن يعرف الحقيقة... ولو تجرد
العرفان بالجمليل، أو الإحساس بالواجب، فقد ضمحي مايلز بجهة لها
سبب إحساس سخيف بالمسؤولية، الانصاف، الفرودية، سمهما ما
شت... وهابden قادر كذلك على التضحية بنفسه، واستعادتها مجدداً،
ولنفس الأسباب تماماً... وهذا شيء لا يمكن أن تقبل به... فهي تزيد

- هكذا إذن... وصلنا إلى هذه التبعة... حسن جداً، فلنسمع
القصة، ما الذي تجديه مهماً بما يكفي لتخفي إلى هذا المدى؟ مالي؟
اسمي؟ أم مجرد افتتان سحري؟

آخر كلماته اخترق ضعفها، فصاحت به:
أبيا الندل... الندل البارد المتعجرف!

- ندل... أجل.. كما أنتي متعمد، إذا كنت تصرين على
ذلك.. لكنني على الأقل ذو كرامة.. وهذا أكثر مما يمكنك أن تدعوه
لنفسك.

كل بوسها ومشاعرها المثلثة انفجرت دفعة واحدة، في ثورة غضب لم
تصدق نفسها قادرة عليها. فاندفعت قبضاتها نحوه، تطرأن صدره
القاسي الذي لا يلين، بpressions متواصلة.. تركها تنفس غضبها
لحظات، ثم وسهولة أمسك بقبضتها بيد واحدة، وشدها إليه لتفع فوق
جسده المسترخي.

صاحت: أوه.. لا!

هذا ما كانت تخشاه طوال الوقت.. التلامس اللاموس مع
جسده.. الإحساس بيديه، راتخنه المألوفة، ووجهه النظيف الخليلين،
والذى يسلبها درعها الوحيد ضد ذكرى وجه مايلز المتعجرف.

- أوه.. أرجوك.. لا تفعل!
وانتهت صيتها بشهقة عنفونه.

ترك يديها المستلمتين، وأمسك بوجهها بين راحتيه. أصابعه
الطويلة تزيد من شدة قبضته على رأسها.. الألم الشديد الذي أحس به
من قبضته الساخنة، كان خلاصها.

كان مختلفاً تماماً عن مايلز.. مثله مثل أي رجل حاول أن يفرض
نفسه عليها. ومثلهم، تركها ياردية بالنسبة له.. وقت دون حراك
لبعض لحظات، ترفض إرضاعه يلاطفها آية مقاومة، وأحسست برضي
غاضب متوجع حين تركها، دافعاً رأسها بعيداً.
لم يحاول إيقاعها جائحة حين ابتعدت لتمود إلى الكرسي المخفي.

مثلها مثل الروبوت المحول إلى البشر في قصته، وجدت نفسها تسير
ببطء إلى أن وصلت إلى جاته.

- أجلسني هنا.. على الكرسي المخفي.
حين ترددت، امتدت يده شدها إلى الأسفل بقصوة ثم قال بصوت
مخفي ناعم، ملئه غضبه المكتوب:

- الان.. دعينا نأخذ الأمر قطعة قطعة.. لقد حصلت على الوعبة
منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة.. وعلى افتراض أنك كنت والدة جداً
من نفسك.. فما زلت غير قادرة على معرفة شيء عن مشروع الفيلم،
قبل اجتماعي بالمنتج الذي جرى قبل أسبوع.. كيف تحكّت إذن من
إنتاج ما يوازي ربع القصة، مقسمة إلى مشاهد منتظمة، مشكّلة بشكل
مناسب بما فيها الموارد المكتمل؟
رفع صوته قليلاً بعد أن بقيت صامتة، وهو يأمرها: أحبيبي يا
إذنا.

كان عقلها يعمل بجهون.. محاولاً اختراع كذبة مقبولة.
- لدى قصتك منذ أكثر من شهر.. أخذتها من.. دوليل أعطاها لي.
- دعك من هذا يا حبيبي.. هذه النسخة من القصة بقيت طي
كتمان شديد.. لما هي القصة الحقيقة إذن؟
- أنا.. أحد الموظفين الصغار هناك صديق مقرب مني حصل في على
نسخة.

- إذن، أغويت، بكل بروء، تدلاً مسكنأ ليقوم بعمل إجرامي،
يمكن أن بعض حداً لخياله الملهي، هذا إذا كان محظوظاً.. لماذا؟ لماذا
تهتمين بالحصول على نسخة من قصتي؟
لم تعد خبلتها قادرة على العمل، فنظرت إليه عاجزة، فاكمل
بستجوها بشوهة.

- أهي القصة تنسها؟ أم أن الأمر هو ما شككت به أول ما وقعت
عياني عليك؟.. أنت تسعين ورائي.. فهل أنا مصبب؟
بدأ لها هذا الرد المكن الوحيد الآن.. فاطرقت بضعف.

وسائلها بخسونة وهو يراقبها

- حسناً، هل كان هذا يستحق الإزعاج؟

كانا الآن، هادئين تماماً، وباردين كالثلج. وقال:

- دعني أرى ما إذا كان بالإمكان الرد على سؤالك نقطة نقطة. بالنسبة لمالك، يملك والذي ما يكفي ليقني وأخي في عيش رغيد، حتى ولو لم نقم بأي عهود لكسب معيشتنا. أما اسمك.. حسناً، بصراحة، أفضل أن أكون مشهورة باسمي، وأما بالنسبة لحرثك.. فقد كنت حريصاً جداً على أن تبقى هذا السحر جنباً، كما يدور، يقصد حياة نساء راغبات مثلـي، من الإغراء.. لا يمكنني أن تصدق أبداً أنني قد أعمل كل هذه المتعاب للحصول على خطوطـة قصتك، واستبعد نفسي في كتابة السيناريو مجرد ما تصورـه عنـك؟

توقفت مقطوعـة الأنفـاس، محاولة أن تـلاـرـتها بالـهـواءـ. لكنـها أدرـكتـ الآنـ أنهـ كانـ يـهـزـ بالـضـحـكـ. وـقاـلـ لهاـ خـالـلـ ضـحـكـاهـ:

- يا للسماء.. أنت لم تتـلـعـشـيـ مرـةـ وـاحـدةـ خـالـلـ كـلامـكـ! يـحبـ أن تـرـشـحـيـ لـنصـبـ رـئـيسـ وزـراءـ.

انتظرـتـ متـجهـةـ الـوـجـهـ، إـلـىـ أـنـ عـادـ إـلـىـ جـديـتـ فأـكـملـتـ كـلامـهاـ:

- سـأـقـولـ لـكـ مـاـذـاـ كـنـتـ مـصـمـمـةـ هـكـذـاـ لـلـحـصـولـ عـلـ كـتابـكـ. وـالـعـلـمـ معـكـ.. أـرـدـتـ العـلـمـ فـيـ السـيـنـارـيوـ، لـأـنـ سـيـؤـثـرـ كـثـيرـ عـلـ مـسـقـبـ الـهـنـيـ.

- كـسـكـرـتـرـيةـ؟

الـجـبـهـ إـلـىـ شـيـءـ مـنـ الـحـقـيقـةـ بـعـدـ أـنـ كـذـيـتـ:

- أنا لـستـ سـكـرـتـرـيةـ.. أنا كـاتـبـةـ سـيـنـارـيوـ.

ظـلتـ أـمـاـ لـحـتـ شـيـتاـ مـنـ حـيـةـ الـأـمـلـ، وـكـانـهـ فـقـدـ اـهـشـامـهـ بـهـ، مـنـ الـواـضـعـ أـنـ بـعـدـ الطـمـوحـ الـمـحـجـرـ أـمـراـ مـبـتـلـاـ.

- أـمـيـنـ أـنـكـ بـعـدـ وـهـمـ أـنـ العـلـمـ مـعـيـ سـيـدـفـعـكـ إـلـىـ عـالـ كـتابـ السـيـنـارـيوـ الـمـغلـقـ؟

- لاـ.. فـلـيـسـ هـذـاـ مـاـ أـعـيـهـ أـبـداـ.. لـأـنـيـ كـاتـبـةـ مـخـرـفةـ.. مـعـ نـسـعـةـ

سيناريوـهـاتـ باـسـمـيـ.. وـمـتـجـهـةـ كـذـلـكـ، لـسـلـسـلـاتـ تـلـفـزـيـونـيـةـ، إـضـافـةـ إـلـىـ روـاـيـاتـ درـامـيـةـ.. لـكـنـتـ أـرـدـتـ أـنـ يـكـونـ لـيـ سـجـلـ فـيـ سـيـنـارـيوـ فـصـةـ رـئـيـسـةـ لـهـاـ اعتـيـارـ وـاهـيـةـ أـكـثـرـ مـنـ روـاـيـاتـ الـفـصـيـرـةـ.. وـأـرـدـتـ أـنـ يـكـونـ لـدـيـ شـيـءـ جـاهـزـ أـبـداـ الـعـلـمـ بـهـ قـبـلـ أـنـ يـسـقـتـيـ أـبـداـ.. وـمـ أـكـنـ أـعـرـفـ أـنـكـ سـعـرـ عـلـ أـنـ تـقـومـ بـالـسـيـنـارـيوـ بـنـفـسـكـ.

كـانـتـ بـالـتـدـرـيـجـ تـعـودـ إـلـىـ الـتـوـقـعـ فـيـ جـيـاثـ عـادـتـهاـ الـقـدـيمـةـ مـنـ التـرـثـرـةـ:

- هـكـذـاـ طـلـبـتـ مـنـ دـوـيـلـ أـنـ يـحـصـلـ فـيـ عـلـىـ الـعـلـمـ مـعـكـ.. وـكـنـتـ مـسـتـعـدـةـ إـلـىـ التـرـزـولـ إـلـىـ مـسـتـوىـ مـسـاعـدـةـ، لـأـحـصـلـ عـلـىـ خـيـرـةـ أـسـتـخدـمـهـاـ فـيـ بـعـدـ.. أـعـيـنـ فـيـ وـضـعـ سـيـنـارـيوـ بـعـلـمـ أـسـمـيـ.

فـجـأـةـ وـأـتـتـ تـلـكـ النـظـرـةـ الـقـدـيمـةـ الـكـثـيـرـ تـحـتـاجـ وـجـهـ.. كـمـاـ حـدـثـ لـهـ فـيـ الـيـوـمـ السـابـقـ بـيـنـ سـمعـ ضـحـكـهـ، ثـمـ بـعـدـ ظـهـرـ الـيـوـمـ وـهـوـ يـرـاقـبـهـ تـاكـلـ السـنـدـوـشـ.. وـسـأـلـتـ يـاشـفـاقـ مـاـ الـأـمـرـ؟

- إـدـنـاـ.. أـسـمـكـ إـدـنـاـ.. وـأـتـتـ لـمـ تـتـحـلـيـ بـكـحـزـءـ مـنـ خـطـنـكـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ.. أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟

- لاـ.. لـمـ أـفـعـلـ هـذـاـ.. إـنـ أـسـمـيـ هوـ إـدـنـاـ فـعـلـاـ.

لـمـ يـكـنـ يـصـغـيـ إـلـيـهـاـ بلـ يـقـنـىـ بـرـدـدـ اـسـمـهـاـ:

- إـدـنـاـ إـدـنـاـ إـدـنـاـ.. إـنـ قـرـيبـ جـداـ.. مـاـذـاـ لـاـ أـسـطـعـ الـرـوـصـولـ إـلـيـهـ؟

ترـفـقـتـ الدـمـوعـ فـيـ عـيـنـهـاـ.. لـقـدـ شـهـدـتـ مـرـورـ مـاـيـلـزـ بـنـفـسـ العـذـابـ عـدـدـاـ مـنـ الـزـراتـ، وـهـيـ لـاـسـتـطـعـ سـوـىـ مـرـاقـبـهـ عـاجـزةـ

- أوـهـ.. أـرـجـوـكـ مـاـيـلـزـ.. تـوقـقـ عنـ تعـذـبـ نـفـسـكـ.

لـزـلـقـ الـأـسـمـ مـنـ بـيـنـ شـفـتـيـهـاـ دـوـنـ تـفـكـيرـ، وـبـشـكـلـ طـبـيعـيـ، حـتـىـ لـحـظـاتـ مـرـتـ قـبـلـ أـنـ تـغـيـرـ مـاـ قـعـلـتـ.. رـاقـبـهـ وـهـوـ يـرـفعـ رـأـسـ يـظـهـ، يـرـكـ بـجـهـ عـيـنـهـ القـائـمـينـ الـعـمـيقـيـنـ عـلـيـهـاـ.

- بـمـاـذاـ نـادـيـنـيـ؟

فـاتـ الـوقـتـ لـلـتـرـاجـعـ، فـقـالتـ بـوـضـوحـ: مـاـيـلـزـ.. نـادـيـتـكـ مـاـيـلـزـ.

أـسـرـتـ عـيـنـاـ عـيـنـهـاـ لـلـحـظـاتـ طـوـلـةـ مـعـذـبةـ.. لـكـنـهـمـاـ لـمـ تـقـهـرـاـ أـيـ

دليل على المعرفة، ولا حتى الشك... ثم، وبصوت عادي، سألهما: من هو مايلز؟
 عاد الدم يدق مجدداً في عروقها، وأحسست بارتياح غريب.
 - أوه... إنه صديق.
 - هل هو الموظف الصغير؟
 مرت لحظات قبل أن تذكر أنه يعني من مساعدها.
 - الموظف الصغير؟ أوه... لا... بات أكد لا... فمايلز هو... كان شخصاً غيرأ...
 - كان؟
 - أجل.
 - وهل مات؟
 ترددت، محاولة أن تكذب، لكنها ترددت أمام تشاوم غريب:
 - لا... إنه فقط... رجل...
 يقى صوته بارداً جافاً، لكنها أحسست بالإشراق منه عليها وأحببته؟
 أطرقت بصمت... فأكمل:
 - أنهم من هنا أنك ما زلت تحبه... هل لنا أن نتكلم عنه؟
 - لا... لا أطمني أستطيع... ليس بعد...
 أمعن النظر متوجهما في وجهها الحالي من أي تعير:
 - أوه... فهمت... إذن أنا كذلك أمر في فترة تجربة، أليس كذلك؟
 - أرجو عفوكم؟
 قال بهدوء:
 - أنا كذلك يجب أن أبرهن على أنني استحق ثقتك... هذا ما كنت تحاولين قوله لي... أليس كذلك؟
 وفقت إدنا، وقد وصلت إلى نهاية قدرتها على التحمل، وقالت بهدوء: مخولة عن نفسها عن عينيه الماكرتين:
 - أنت خطئه... لست مضطراً للبرهنة عن شيء... يا سكانك

الحصول على ثقتي في أي وقت إذا شعرت أنك بحاجة إليها.
 لم تز التعبير الذي ألاآن ملامح وجهه القاسي الوسيم.
 - من الأنفصل أن تلعمي إلى النوم الآن يا إدنا... وإلا فلن تكوني ذات فائدة لي في الصباح. لا تنسى، يجب أن تدخلني هذه الشاهد الأربعة إلى الكومبيوتر، قبل أن أعود استعادتك في الساعة العاشرة.
 - أتعنى أنا لا زلت معاً؟ وأنتي لست مطرودة؟
 - يا للسماء... لا! لسوف توفرين علي الكثير من الوقت مع وجود سخوك الأولى... إضافة إلى هذا، لن أستطيع تحمل خسارتك... ذاتك كانت سبارتوبو ممتازة.
 كانت عند الباب حين قال:
 - تعلموماتك فقط يا إدنا... قررت أن أسترشد بغير انتك الأنثوية...
 لقد تخليت عن «اليكيس» الروبوت البشري وهي الآن فتاة حقيقية من حم ودم... وعلى وشك بلوغ سن الرشد... كي تتمكن من الحصول على نسبة حب مقنعة.
 أجملت: أنا لم أعتقد أبداً قصة أخبار في قصتك... قلت فقط إن...
 - إنها جافة كبيرة، وكلاانا يعرف هذا... إنـ، هذه هي قصتك لنوري ثقة دويل فرانسيـس بك... ومهمـا كلف الأمر، عليك أن تخوـلي اليـكـيسـ بيـ إـدـناـ وـ تـرـكـهاـ تـخـدـ فـارـسـ أحـلامـهاـ
 - ماذا؟
 أدهـشـهاـ ماـ بـخـتـنـ فيـ ذـاكـرـتهـ؛ وـ سـمعـتـ ماـيـلـزـ يـقـوـقـ عـنـ فـمـ هـايـدنـ:
 - لها تكـهـةـ أـبـعـدـ بـكـثـيرـ... وـ لاـ شـكـ أـنـكـ القـطـتـ صـدـيـ «ـالـعـاصـفـةـ»ـ فيـ قـصـتيـ... قـلـتـ نـفـسـيـ أـخـفـتـ الـآـثارـ جـيدـاـ، لـكـ يـدـوـ أـنـكـ كـشـفـتـيـ...
 لـنـ أـهـبـتـكـ بـعـدـ الآـنـ بـشـكـوـكـيـ... لـكـنـ، يـدـوـ مـصـادـفـةـ غـرـبـةـ أـنـ اـسـمـكـ هوـ اسمـ أـحـدـ الـأـرـواـحـ...
 رـدـتـ مـهـاـكـهـ:
 - أـجـلـ... أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ وـ الـأـكـثـرـ مـنـ هـذـاـ، أـنـيـ وـلـدـتـ وـتـرـبـيـتـ فيـ جـزـيـرـةـ مـسـحـوـرـةـ مـثـلـ الـيـقـوـنـ...ـ مـاـ رـأـيـكـ بـهـذـهـ الـمـصـادـفـةـ؟ـ

كانت قد وصلت إلى الباب تقريراً.. حين جاءها صوته الرقيق
يوقها، ودياً، وغفواً بشكل خادع:
ـ لحظة واحدة يا إدنا.

استدارت: نعم؟

ـ أعرف أنا تحدثنا في هذا من قبل، لكن اسمحي لي أن أسألك مرة
أخرى ولن أكررها. أعدك.. أكنت تعرفيني آنذاك؟
ـ آنذاك؟ أعني حين..

ـ أعني حين كنت تقفي الأخرى.. وكما افترحت أنت بالأمس،
حين كنت روحأ ضائعة تجول في المحيط.. هل عرفتي آنذاك؟
الخذلت قرارها في لمح البصر.. وقالت بوضوح:
ـ لا.. لا.. لم أكن أعرفك!

تفرست فيها عيناه الياردةتان عن كثب لوقت قصير، وقال بصوت
متخفض:
ـ يبدو عليك الألم.. أعجب ماذاك.

ـ لأنني كنت مصاحب أن أساعدك لنكشف غموض فترة الضياع..
والآن..
وترددت.

ـ نعم.. تابعي.
ـ لأنني أتفق أنك كنت مستعد بصدق مقرب.
وتركت دون كلمة أخرى.

لم تحصل بدوبل فرانيس في الصباح التالي.. فقد نسبت في الواقع
أنها قررت الاتصال به.. قذل ذلك اللقاء الليل مع هابدين مسع من دماغها
كل قراراتها المعتلة.. ومهمها كان الثمن، مهمها كان الألم، فهي مصممة
على البقاء، وجعل نفسها معاذدة لا يستغني عنها هابدين جاكوبس
أبداً.. حتى لا يعود لديه الجرأة على أن يتركها خلفه، حين يطلق إلى
جنته في السيشل.

٥ - حب بلا وجه

كان عصر ذلك اليوم مشمساً لطيفاً، فكان البشر للخلاص من الجو
الكتيب العمل المنظر الذي استمر طوال الأسبوع.. نسيم نظيف هب عبر
الروافد العريضة، المطلة على المناظر الجميلة، ليملأ المكتبة الهادئة
بأصوات الطيور المرحة، وأريج منعش لمraham الرابع.

كان هذا يوم سبت، لكن ذلك لم يكن يشكل أي فارق لهايدن، كما
ذكرت إدنا بقلق.. إنه يتوقف منها الاستمرار بالعمل طوال نهاية
الأسبوع، كما فعل في الأسبوع المنصرم.. كل هذه أن منهى كتابة
البيانario ليصرف إلى أنكاراته الثانية، ويتحرر من صحبتها.

أمضيا الآن ما يقارب الأسبوعين معاً، وكل ما تستطيع قوله هو أن
هايدن يبدو راضياً تماماً عن قراره في توظيفها.. فبعد تلك البداية
المخطمة للأعصاب، استقر في تناظم، وحتى في صدقة أحياناً، في علاقة
العمل بينهما.. كانت نصوصها الأولى تستخدم الآن كنسخة أولى
باتظام وبالطبع، كان لهايدن دانماً الكلمة الأخيرة.. لكن مرات
ومرات متكررة كان يوانث على اقتراحات منها.. في الواقع، أصبحها زميل
عمل متساوين.

لكتها حتى الآن لم تكن قادرة أن تأخذ أمر توظيفها على أنه أمر مسلم
به، طبعاً.. فما زالت في فترة اختبار، لا تعرف أبداً ما إذا كانت ستبقى
هناك في اليوم التالي.. لكنه حافظ على وعده الذي قطعه تلك الليلة
الأولى وتوقف عن مقاومتها بأستانه المحرجة، لكنه كان يوضع بشكل

عملياً عن تقدمنا.

كانت قد تعلمت أن ترد على أستئن بالسرية المطلوبة كما كانت فعل مع مايلز . فله القدرة على التفاظ ما قد يدعه خيالها.

استند هايدن إلى الخلف وقطع بكل:- وكذلك أنا . باختصار، قد ضجرت، وبدأت أحسر كائني منحمر ضمن الضريح الذي تغزوه الأشباح

رددت بحدة: شكرأ .

على الرحب والسعة، لكنني لم أقصد أن أشملك بين الأشباح

ذات من صنف الأرواح والجنوبات الصغيرة الطيبة . أيتها الصغيرة الذكرة

ردد بنفس الروحية:-

- لكنها ليست أفكاراً يعتمد عليها . هل أتيت مراجعة الشهد؟

- أجل .. إنه لا يأس به .. ونستطيع البدء بالتألي .. إلا إذا فضلت أن تتوقف الآن .

- توقف؟ لم تصبح الساعة الخامسة بعد.

- أعرف . لكن شيئاً ما يقوّي لي إنك لست متجمدة جداً للعمل اليوم.

مرة أخرى قرأ أفكارها ككتاب مفتوح.

- حسناً، لن أمانع في استراحة لتنفسـ . إنه يوم جليل وـ

توقفت تنظر إليه، مذهولة لصوت العجلات الناشطة فوق الحصى ،

تعلن وصول سياراتهن على الأقل . صوت صفق الأبواب الماء، أكد شكوكها بأن عزّلتهما مهددة بالغزو .

تابوه هايدن .

- أوه .. يا للجحيم .. هل توقعين زواراً؟

ردد ساخطة:-

- بالطبع لا .. لن أجرؤ على دعوة أحد حتى ولو أردت .. وماذا عنك على أي حال؟ هل دعوت أحداً لمعطلة الأسبوع؟

صرّح أنه ما زال لا يتق بها . بين حين وآخر، كانت تضبط عبد الباردين تحدقان إليها، والبسمة الساخرة التي تخدرها يصرّحة من أنه ليس غدواعاً ولو للحظة . فهي بالنسبة له مذنة حتى تثبت براءتها.

يامكانها الآن أن تبسم .. فلا شيء . كان أفضل لراحة يالها من هذين الأسبوعين من التعاون المقرب مع الرجل الذي كانت ذكره تلاحقها لسنوات ثلاث طوبلة . ابسمت نفسها . يبدو أنها اكتشفت طريقة جديدة لتخلص الناس مما يستحوذ على نفوسهم، يأنها حولت المرض إلى دواء يحد ذاته . كاستخدام سم الحبة للشفاء من لدغها . وكأنما العيش بقرب شخصية مايلز الأخرى قد بدأ بطرد شبح الماضي منها.

ومم بعد يبدو من اللهم جداً لها أن يأخذها معه لإنهاء السياريو على متن يخته، وفي جزر السبيل . فهي الآن متكيفة تماماً مع فكرة الاستيقاظ ذات صباح، لتقول لها باميلا، إن هايدن سافر إلى السبيل، ولن يحتاج إلى خدماتها بعد . كانت، في الواقع، قد أخذت تنظر قدماً إلى حياة جديدة، متحركة من مايلز ومن هايدن، على حد سواء .

يسكب استحوذ مايلز على مشاهيرها خلال السنوات الثلاث التي مرت، لم تحس يوماً بأي انجداد نحو أي رجل آخر . ومع ذلك، كان غريباً أن تكتفي، بالعيش قرب هايدن، متحركة أخيراً من حيثاً له .

أعجبت عيناه نحو الكاتب، تستوعب الحيوية الكامنة في جسده المسترخي ، والحدير معـ . إنها ما زالت غير واثقة من مناعتها ضده .

قاطع صوت هايدن الجاف أفكارها:-

- هاـ، إدنا، تعالى إلى هنا .. كنت بعيدة أبداً يانكارك .

واحست بخداعها يخترقان ياحرار غاضب .

- كنت .. كنت .. أحلم حلم يقظة

ابسم لها:-

- أراهن على أسلحتك جزيرتك . ثلاث سنوات ولا زلت مشنقة إليها .

- لست مشنقة لوطنـ . بل الواقع، كنت أعرض لنفسي تقريراً

- أفرجعنـ . انتظري لحظةـ ، ما هو اليوم؟
أخذت تحسب بسرعةـ : الرابع عشرـ

- إنه عيد ميلاد جوبيـس! والسماء تعرف سبب قولي لهم إنـ
باستطاعتهم استخدام منزلـيـ . لقد نسيـت كل شيءـ .. لكنـ ببابـلاـ نسيـت
شيـء عنـ الأمر بالأسـمـ ، لكنـ كانـ يجبـ أنـ تذكرـنيـ مجددـاـ .
استدارـ إلىـ إدـنـ :

- أنتـ كذلكـ كانـ يجبـ أنـ تذكرـينـيـ ، منـ المفترضـ أنـ تكونـ
سكرـتـيرـيـ .

رددـ بحـدةـ :

- لستـ سـكـرـتـيرـتكـ ! لقدـ اـفـقـنـاـ عـلـىـ إـنـهـ هـذـهـ التـشـيلـةـ مـنـ الـليلـةـ
الـأـولـىـ فيـ هـنـاـ . إـضـافـةـ إـلـىـ هـذـاـ ، لـنـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـكـونـ سـكـرـتـيرـةـ وـلـوـ توـقـتـ
جـاتـيـ عـلـىـ هـذـاـ . لـأـنـيـ عـاجـزـةـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـالـموـعـدـ وـالـتـارـيخـ .
وـهـوـ بـظـرفـ :

- إذـنـ ، أـدـفـعـ الشـمـ بـاـحـبـيـ . . . بـامـكـانـاـ أـنـ نـسـيـ كـلـ شـيـءـ عـنـ
الـعـلـمـ وـعـمـاـ تـقـيـ منـ عـاـيـةـ الـأـسـبـوـعـ . . . فـاـنـ أـرـفـصـ العـلـمـ فيـ مـنـزـلـ عـلـيـهـ
بـالـتـطـقـلـيـنـ ، سـارـفـ يـدـيـ تـارـكـاـ مـنـزـلـيـ وـضـيـوـفـ وـعـائـلـيـ كـلـهاـ لـكـ . وـجـهـاـ
سـعـيـدـاـ لـكـ .

- لكنـ . مـاـذاـ أـقـولـ لـهـ؟

- أيـ شـيـءـ يـعـجـبـكـ . قـوـلـ إـنـيـ مـصـابـ بـدـاءـ الـكـلـبـ . لـاـ فـهـذاـ لـنـ
يـرـدـعـ أـنـارـيـ الفـاسـقـينـ . قـوـلـ إـنـ نـوـبةـ جـديـدـةـ مـنـ فـقـدانـ الـذـاـكـرـةـ
عـاـوـدـتـيـ ، وـإـنـيـ ضـائـعـ عـلـىـ هـذـاـ الـعـالـمـ .
وـانـطـلـقـ فـيـ طـرـيقـهـ إـلـىـ الـكـارـاجـ .

جـاهـ صـوتـ كـسـولـ منـقـمـ يـشـابـهـ صـوتـ هـايـدنـ ، مـنـ وـرـانـهاـ :

- وـفـيـ ذـلـكـ يـكـونـ الـخـلاـصـ الـمـعـادـ وـالـمـتـازـ .
استـدارـتـ إـدـنـ وـهـيـ شـهـقـ . . . إـذـاـ بـرـجـلـ حـلـوـيلـ وـسـيـمـ يـقـفـ بـبـابـ
المـكـتبـةـ ، اـبـسـامـهـ الـمـسـلـلـ تـعـرـفـ دـوـنـ خـجلـ بـاـنـهـ كـانـ يـسـرـقـ السـعـيـ إلىـ
مـاـ دـارـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ هـايـدنـ . وأـكـملـ ، وـهـوـ يـدـخـلـ الغـرـفةـ .

لتحصان شعرها التصير الأشعث ووجهها الحالى من المساحيق، قبل أن
تبسم وتونسى برأسها.

- هذه باولا .. إينة عم آخرى لهايدن .. لا محاطرة في زواج القربي
في حال كنت تتساءلين، كلنا كبرنا معاً، أليس كذلك يا حبيبى؟ كلنا ما
عدا جوسلين.

رمى زوجته الصامتة بنظرة عداء:
- لقد انضمت إلى العشيرة مؤخرأ .. من كان هذا يا حبيبى؟ ..
ثلاث .. لا .. أنا كاذب ، أربع سنوات.

بداعلى جويس الازدجاج والتورت، وأوقفت زوج أمها عند حد:

- أنت لم تقدم لإدنا شرابا يا مالكوم ..
كان لتوسيعها تأثير قوى:

- أسف يا حبيبى .. إننى أنسى حسن الأخلاق وأنا في متزلي
القديم .. أعتقد أننى أعود إلى أيام مراهقنى ..
ضحكة باولا ملأت الغرفة:

- أنت لم تكبر أبداً على أيام مراهقتك .. وهذا هو سحرك ..
كانت الكلمات تمر مزور الكرام في سمع إدنا دون أن يكون لديها
فكرة عمما يتكلمون، وبدل لها أن هذا جزء من مراحهم المرح .. لكن
الغرفة كانت تتنفس مغزز للنفس.

استدارت باولا إلى إدنا:

- إذن كيف يجري العمل؟

ثم اختارت طعمتها الثالثية بحدر:

- منى نظرين أن هايدن مستهنى منه؟

بدأت إدنا تشرح: لا أستطيع حقاً أن أقول ..

ثم صمتت وخربت إلى حيث كان مالكوم مجلس قربها، فارتفعت
ذراعه على الفور خلف رأسها

لkn باولا كانت تتمسك بأى شىء تتشبث أنسانها فيه:

- حسناً ما هي مواعيدكم المقررة؟ أسبوع آخر؟ أسبوعان؟

به.. أسمى مالكتوك، في حال لم تسمعي به ..

النجرت إدنا ضاحكة:

- هل أنت والق من أن جويس ليست ابنته الحقيقة؟

- أتعين أن كلاماً يتكلم كثيراً حسناً .. أعتقد أنها هكذا .. على أي حال يجب أن يكون واحد عكتاً في عائلتنا .. والأآن نتعالى لشأن العائلة .. فأنت مضططرة لهذا عاجلاً أم آجلاً .. لذا من الأفضل أن تتنهى من الأمر الآن.

جرها بعلف وحزم إلى غرفة الجلوس القريبة .. حيث كانت تتوافع مجموعة كبيرة من الناس، لكن لم يكن هناك سوى ثلاثة .. كانت جويس تبسم لها من مقعد منخفض، لكن عيني إدنا اتجهلتها فوراً إلى باولا .. كانت متمددة على إحدى الأرائك في الناحية الأخرى من الغرفة الفسيحة تبدو مذهلة، أما المرأة الثالثة، فقد كانت صغيرة الجسم حادة الملامع كالطير الأعجف ولا شئ أنها جوسلين وأندرا جويس.

كانت جوسلين تقف قرب الجدار الزجاجي تكاد لا تعى ما يحيط بها .. عيناها مثبتان على الممر المرصوف بالحصى الموصل إلى بوابة القبلا، ترفض الاعتراف بوجود إدنا .. من وقتها الفاضحة، بدأ من الواضح أنها رأت هايدن يخرج بسيارته، فهى ما زالت تعلى سخطاً لرفضه إظهار الاعبار لضيوفه.

تقدم مالكوم إلى الأمام وأعلن:

- هايدن سرخ .. لديه مؤخر طارىء .. لكتني وجدت في المكتبة

شيء أفضل منه بكثير .. ممثله المؤقتة .. لذا قولوا برحبا، وبلطق لها.

هدوء المرح سبب توترة في وجه جوسلين مع أن عينيها يقتتا ثابتتين على النافذة .. لكن باولا رفعت نفسها على مرفق واحد.

- أزيد كوباً آخر، يا مالكوم.

أطاع الأمر بروح عرسنة وهو يقول:

- أعتقد أنك سبق والتحقق إدنا يا باولا .. أليس كذلك؟

انتظرت إدنا بصبر بينما كانت عيناها باولا الخضراء وان الجميلتان

وضعت إدنا كأسها النصف فارغ على منضدة القهوة:

- من يعلم؟ «سيناريyo» قد يأخذ أشهرًا

وضغطت على كلمة سيناريyo في مواجهة أوهام باولا القدرة جوسلين التي بقيت حتى الآن بعيدة دبت فيها الحياة، وكانت وعث فجأة وجود إدنا:

- لم تنهي العمل اليوم؟

- لا يا سيدة جاكوبس.. ما زال لدى الكثير، وفي العد كذلك.. هذا كلام ينافي المطْقَع.. لا يمكنك العمل في نهاية الأسبوع.. كنت في الواقع أعتمد على أن تكون غرفة نومك فارغة، فنحن نتوقع بطبع أشخاص من خارج المدينة.. لماذا لا تخرجين أثراً ضشك لتدعي إلى بيتك وترتاحي حتى يوم الاثنين؟ كان مالكوم جاكوبس يرافق زوجته المتوفاة، بسلية واضحة.. فقال:

- لا أظُنها تريد الراحة يا جوسلين.

واكتفت إدنا من كل هذا، وقالت بحدة: - أنا آمنة، لكن هابدين مصر على أن أبقى هنا، يا سيدة جاكوبس.. والآن أرجو العذر، فقد تأخرت في عملي.. حاولت أن تتحرك لكن ذراع مالكوم هبطت ليقيها أسيبة المقعد.. بدت جوسلين غرقة بين الإحباط الغاضب، والقلق المتزايد ثم قالت بمزيج من الاعتزاز والتحدي: - لكنني.. أخشى أنني لم أشمّلك في لائحة العشاء غداً.. تدخلت باولا بطرف:

- إنك تعلمين.. فالعشاء سيكون للعائلة فقط والأصدقاء المقربين.. نفضلت إدنا عنها ذراع مالكوم ووقفت.. لم تكن مستعدة لأن تحمل المزيد من هذا، وقالت تحاطب جوسلين، وعيناه متعجّلتين إلى باولا:

- في الواقع هابدين وأنا كانتنا نتوبي تناول العشاء في الخارج غداً، ولقد

حرجت لنوي مائدة في مطعم «ماي فير».

خرجت الكذبة منها قبل أن تفع نفسها.. كانت دائمًا تقع في ذات الفخ حين تخد نفسها محشورة في زاوية، أو حين يندى صبرها حقًا.. - أتعين.. أنه لن يكون هنا؟

الهمس المذهول جاء من جوسلين، وفي نفس الوقت تدخلت باولا بغضب:

- كيف يجرؤ؟ كيف يجرؤ على إهانتي هكذا؟

لم تكن إدنا قد توقفت رد فعل عاصف لهذا، وتندمت بمرارة على تلك الكلبة الغبية.. كل ما يقصها الأن هو أن يعتقد هابدين أنها تعمدت الإيقاع به.. ومهما بذلت من جهد في إنكار نيتها في الخروج معه، فلن يصلق.

احتقرت باولا الصمت المتوتر بالوقوف والخروج بشكل عاصف من الغرفة.. صافحة الباب السديامي التقليل خلفها.

استدارت مالكوم إلى إدنا يبدو عليه الأسف الحقيقي..

- أسف لهذا يا عزيزي.. باولا عادة تصفع حادة المزاج حين لا تسير الأمور حسب خططها.

ردت ببرودة، محاولة الذهاب..

- أرجو العذر، يا سيد جاكوبس.. يجب أن أذهب الآن.. لكنني سأحاول الابتعاد عن المكتبة إذا كان هذا سيناسبكم أكثر.. أستطيع العمل في غرفتي..

ولم يحاول أحد إيقافها وهي تخرج.

لم تكن لديها القدرة في العودة إلى العمل الآن.. خرجت من المنزل، مصممة على أن تبعد عن طريقهم لأطول مدة ممكنة وانجهشت مبشرة إلى سيارتها «الرينتو» المتوقفة منذ عشرة أيام في كراج هابدين الواسع.. إنها لم تستخدمها طوال هذه المدة.. وخطر ببالها أنها قد تتمتع بجولة، ستكون هذه أول إطلالة لها على العالمخارجي منذ بدأت العمل مع هابدين.. لكنها أحست بإحباط خفيف حين وصلت الكراج.. لا شك أن

جويس خنت ما هي خطوطها التالية، وكانت هناك تنظرها واستقبلتها بتعاسة:

- كنت أعرف هذا.. أنت سهررين.. أليس كذلك؟

- لا تكوني سخيفة.. لماذا أهرب؟

- هذا هو الأمر.. يجب أن لا تخضي بباب أمي وبابوا لا.. أنا حفنة لأجلهما يا إدنا.. لكنك أصبحت الان تعرفي لماذا يكره هنا هايدن جيما.. ولست أدرى حتى كيف يمكن أن الغدر لضررها.. لا يجب أن مهمي كثيراً بعماكم.. إنه رجل لطيف حقاً، ومحب هايدن، لكنه ضعيف الشخصية، أما باولا.. رغماً عنهم لم تستطع إدنا كبح سخطها على المرأة المذكورة.

- أجل.. وماذا عن باولا؟

- حسناً.. إنها تغار منك.. إنها تكره أن يمضي هايدن كل وقت معك.. فهو لم يخرج معها مرة منذ بدأتم العمل معاً.. وهي تعتبره منك لها.. هل فهمت؟

- ملتك لها؟ أتعين أنها مخطوبان؟

- أووه، لا.. لم يعودا هكذا.. لقد فتح هايدن الخطوبة حين عاد من رحلته.. وتزوجت تم طلاق، لكنها ما زالت متقطعة بأن الواحد منها للآخر.. إنها لا تستسلم أبداً.

وقفت جويس شرداً كل تفاصيل علاقة باولا بهايدن؛ وزواجهما الفاشل، ومهنة عارضة الأزياء.. لكن إدنا كانت قد توقيت عن الاصحاء.. فذهبتها كان مشغولاً بتفهم جديد لشيء كان لا ي Finch يعاودها منذ سنوات.. أكبر عمر مايلز في معارضته الزوج منها كان غارغاً، لكنه كان يشعر أنه لم يكن حراً.. لقد أصبح من الواضح لها الآن، أنه، وفي مكان ما من عمق ذاكرته المظلمة، كان يحتفظ بصورة بهذه المرأة الجميلة المحنكة التي يعرفها تقريراً منذ طفولته.. وألزم نفسه بها

كانت جويس تحمل، غير واعية استغرق إدنا في انكارها:

- ... وأرجوك، لا تشعرني بالغضب نحو أمي لأنها كانت سيدة الحلق معك.. فقد كانت متقدرة قليلاً.. نظلاً كانت تأمل في أن يزروجني هايدن.. ولكن، الآن، ومنذ وصلت.. الكلمات العقوبة أمرت انتهاء إدنا فجأة:

- مازاً؟ مازاً عنيت بالهبيط يا جويس؟ أنت لا تظنين أنسى وهابدين..

ابتسمت الفتاة للصidente التي بدت على إدنا، وردت بهدوء:

- أنا لا أظن شيئاً.. لكن أريدهك أن تعرفي أنني لست منافسة لك، ليس أكثر من باولا.. كان يمكن أن يكون لي فرصة يوماً.. لكنني خسرت باخطة سمع ضحكتك.

حدقت الفتاتان بصمت ببعضهما، ولفترة طويلاً.. ثم ضحكت جويس، وعاد القناع الحالى من الهموم، والبرء، إلى وجهها.

- أنت خطولة خروجك مع هايدن غداً؟ إنك على الأقل، مستخلصين من مشهد كريه آخر من تسليات أسرة جاكوس.. مع أنني أمسأة لأنك لم تحضرني حفلتي.. فانا أحبك حقاً..

فابتسمت إدنا لها، وقالت صادقة: الشعور مشترك..
ضحكت الفتاة: أوه.. أعرف هذا..

وذهبت

كانت إدنا بما تزال مصدومة بما كشفته جويس لها وهي ترجع سيارتها إلى الوراء لتخرجها من الكراج.. وكانت تسير عبر زقاق هادئٍ خارج الفيلا، مستغرقة في أفكارها، حين خفق قلبها فجأة بعنف.. ومر ببالها خاطر كالبرق جعلها تجد عن الطريق وتوقف وهي تطفئ المحرّك.. أعاد صوت كسوؤ منخفض إحياء حواسها المخدّرة، وكأنه الصفعه الحادة.

- إلى أين كنت تفكرين بالذهب بالضبط؟

هاجرت فور أن وجدت صوتها:

- أنت جنون يا هايدن! هناك طرق أسهل للتخلص من مساعد غير

مرغوب فيه، عدا عن دفعه ليصاب بثوبة قلبية
في تلك اللحظة فقط رأت سيارته البورش الفضية وافقة على بعد
يارات من سيارعاها. لم يكن هايدن مبتسمًا وهو يفتح باب الريño
القديمة.

- أسف، أطلقت البوق عدة مرات، ولكن لا شيء أخرجك من
أحلام يقظتك... إذن، أين أنت ذاهبة؟

- إلى هامبستيد... لأنبعد بعض ساعات عن جو العمل...
أهني جلتها... وبعدًاً عنى
ردد غاضبة:

- إذا أصررت على هذا... فلست أرى سبأ يجعلني أنا التي أتعامل
مع أقاربك الشاكرين بينما تجد أنت حرثك لتهرب.

رد بضحكة جافة:

- نفس الفكرة خطرت لي... كنت في الواقع عائداً لأخرجك من
هناك... لكنني شاهدتك هنا... وكنت تحلمين بعددًا... أليس كذلك؟
لا... في الواقع، كنت أفكّر بعائلتك... جوبيس وأخرين...
ـ وـ...
ـ باولا.

ـ آه... باولا الحمilla الذهبية الشعر... حب شباب الصانع منذ زمن
بعيد... هل أعجبتك؟ لا عصبي بذلك... أنتظرين أن ركبًا فصيراً حول
المرج يمكن أن يهدلك؟

تردّدت... إيهما لا يعملان الآن، وشيء ما في الطريقة التي اقترح بها
الزهوة عليها، جعلها تبدو وكأنه يطلب منها الخروج معه... فجأة
تذكرت كتبتها السخيفة حول عشانهما معاً في الغد... وأكمل يسألها
ـ وهو يفتح الباب: حسناً؟

- كنت في الواقع أتوي السير حول القرية... أنا بحاجة إلى بعض
السوق...
ـ يمكنكأخذ عطلة صباح الاثنين لأجل هذا... تعالى يا إدنا، مجرد

زهفة قصيرة حتى يعموحة الأشجار هناك.
ساحت له بسحبها من السيارة، بدأ بركل سريع في الرفاق
لهجور الذي يقود إلى المرج... لكنه تخوازها يعد بضم ثوان، ودون أن
ينظر إليها تابع ركبته بكل صاعداً المتحدّر، تاركاً إياها خلفه.

وهي تلتهت، جلست على العشب البارد، ترمي نفسها إلى الخلف،
وعيناها مغمضتان... تحوّل عيدهة رئتها.

جاءت كلمات هايدن الكسول ترفرف من فوق:

- أشعرتين أنك أفضل حالاً؟

- هزت رأسها إيجاباً دون أن تفتح عينيها، وأكمل:

- يجب عليك أن تعودي إلى موطنك... فهذه البلاد تحول عضلاتك
إلى قطعن.

ـ شيء ما في صوته جعلها ترد بحدة، ودون حكمة:

- وما الذي يجعلك تظن أنني كنت أفضل حالاً هناك؟

- أنت قلت لي...
ـ صمت فجأة، واستدار إليها، والارتياح في صوته: هل قلت لي
حقاً؟

- أعتقد هذا... فإنما انكلم كثيراً... وبالكاف أذكر ما أقول.

جلست فجأة شاعرة بأنها مكسورة لنظراته المترسّمة. كان المرج
مهجوراً تماماً، تغمره قلال الغروب المتطاولة، والحرام العريض الكثيف
من أشجار الدردار، وكأيامها التوّقة العازلة.

كالعادة، كانت أذكارهما تسير في نفس الإتجاه... وقال بصوت
منخفض:

- لقد ابعدت طويلاً عن يختي، وأنشأت إلى البحر

ـ أجامت ضاحكة:

- أفضل أن أحافظ بقدمي على اليابسة... أحب الإبحار، لكنني
أفضل العودة إلى منزل الثابت في نهاية اليوم.

- طبعاً... لكن أيمكنك تحمل قضاء بضعة أيام في البحر؟

أو كيف وصلت إلى هناك، ولم أساعدهم. آخر شيء ذكره أنه كنت أغير فوق المحيط الهندي، في طارق الخاصة الصغيرة، وأحد الجنابين يشتعل. أتفعل نفسي بكلمات خالدة: «الموت يمكن أن يكون مغامرة كبيرة».

- لكنك كنت تعرف من أنت؟

قطب جبيه، وكأنما وجد سؤالها لا معنى له.

- بالطبع كنت أعرف. لكنني لم استطع معرفة سبب وجودي في المحيط بعد ستة أشهر من تحطم طارق، دون أوراق، ولا بطاقات ائتمان ولا أية وسيلة تعرف. كان كل ما يقني في الماضي الأسود حلة جذابة، حلقتها على شخص حين عدت إلى بلادي.

- أعتقد أن اللحمة تدور رائعة عليك.

- حسناً. أستطيع إطاحتها بجدها. إذا طلبت مني ذلك يلطف.

- قد أفعل هذا، إذا كان سيدفعك إلى العمل نصف ساعة أكبر كل صباح، كي لا تيقني أعمل حتى منتصف الليل. وبمناسبة الحديث عن الوقت.. الانتظر أن من الأفضل أن نعود؟

وبدأت تقف.. لكن بدء ممعنها:

- انتظري يا إدنا.. كنت أعني ما أقول، وتعرفين هذا. فلو يقينا نعمل بتناسق جيد كما نحن حتى الآن.. قد نتمكن من إكمال ما تيقني على متنه بخفي.. يمكن أن تكون أفضل حالاً بكثير دون خبرات هائفة، وعديد عائلتي بالهبوط فجأة علينا.. لم تستطع إلا أن تحس برضي دافع سري في كيانتها، بينما أبفت صوتها ثابتًا بارداً:

- أيعني هذا أعني لم أعد لحت التجربة؟

- إنك عرفت هذا منذ أول ليلة لك في منزلني، فلا تتعلاعي معي يا إدنا.

- آسفه.. لكنني لم أكن واثقة

وقف على قدميه بعد بدء لمساعدتها.

السؤال كان عقوبة، حتى أنها لم يخطر ببالها أن يكون له معنى أبعد من الاهتمام العادي.

- أعتقد أن ياما كان هذا.. لكن ليس وحدي.. فانا لا أعمل صحبة نفسي كثيراً.. ونعرف هذا.

- ومعي؟

ضحكـتـ إـدـناـ،ـ مـقـطـوـعـةـ الـأـنـفـاسـ قـلـيلاـ:

- أوـهـ..ـ معـكـ..ـ؟ـ هـذـاـ اـقـرـاحـ خـلـفـ ثـمـاـ.

تابعـ بـهـدوـ:

- يـمـكـنـتـ كـذـلـكـ أـنـ نـقـومـ بـزـيـارـةـ قـصـيرـةـ جـزـيرـتكـ..ـ فـيـختـيـ بـرسـولـ

الـبـيـشـلـ..ـ وـهـنـهـ مـصـادـقـةـ أـخـرـىـ.

ـ هـاـ قـدـ عـادـ مـرـةـ أـخـرـىـ.ـ ذـلـكـ التـلـمـيـعـ السـاخـرـ يـاـنـهـ أـكـثـرـ ذـكـرـ

ـ مـنـهـ..ـ دـعـيـ بـشـلـ مـاـ يـشـاءـ.ـ لـقـدـ تـعـبـتـ مـنـ تـجـبـبـ مـثـلـ هـذـهـ الطـارـقـ.

ـ وـالـقـطـطـ الطـعـمـ.

ـ أـسـأـلـ مـاـ الـذـيـ جـعـلـكـ تـجـهـ إـلـىـ الـمـحـيـطـ الـهـنـدـيـ؟ـ قـرـأـتـ فـيـ إـلـيـ

ـ الـقـالـاتـ الـصـحـقـيـةـ الـقـدـيمـةـ أـنـ مـنـ تـلـقـيـ رـحـلـاتـ الـبـحـرـيـةـ كـانـ فـيـ الـكـارـبـيـ

ـ هـذـاـ صـحـبـ..ـ لـكـنـ الـمـحـيـطـ الـهـنـدـيـ هوـ الـمـكـانـ الـقـضـلـ لـدـيـ

ـ الـبـحـثـ.

ـ الـبـحـثـ؟ـ الـبـحـثـ عـنـ مـاـذاـ؟ـ

ـ عـنـ ذـاـكـرـيـ الـمـفـقـدـةـ يـاـ حـبـيـتـيـ.ـ هـنـاكـ أـصـعـبـهاـ.

ـ أـجـفـلـ..ـ كـانـتـ هـذـهـ هـيـ الـمـرـةـ الـأـوـلـيـ التيـ يـرـدـ فـيـهاـ عـلـ سـؤـالـ مـيـاـشـ

ـ مـنـهـ،ـ دـونـ خـواـلـةـ الـخـلـرـ..ـ وـسـأـلـ بـحـذرـ:

ـ فـيـ جـزـرـ الـبـيـشـلـ؟ـ

ـ أـدـارـ عـيـنـيـ لـأـعـيـنـ إـلـيـهاـ:

ـ إـسـاهـنـاكـ،ـ وـإـسـاقـ جـزـيرـةـ أـخـرـىـ فـيـ الـمـحـيـطـ الـهـنـدـيـ..ـ لـستـ مـنـأـكـدـاـ.ـ كـلـ مـاـ أـسـطـعـ قـولـهـ هوـ أـنـيـ وـجـدـتـ ذـاـكـرـيـ الـحـالـيـةـ فـيـ «ـمـاهـيـ»ـ فـيـ الـمـسـتـشـفـيـ عـلـ وجـهـ الدـفـقـ.ـ يـدـوـ أـنـيـ عـاـوـيـتـ مـهـارـأـ خـارـجـ مـطـارـ ئـيـكـورـيـاـ

ـ كـمـاـ قـبـلـ ليـ..ـ أـفـعـيـ عـلـيـ دـونـ سـبـ ظـاهـرـ..ـ لـمـ يـكـنـ أـحـدـ يـعـرـفـ مـنـ أـنـاـ،ـ

حن وهي تقاوم لتخليص نفسها، أحست بالشوق المأثور، يسري وكأنه البار الكهربائي في جسدها، فأغلقت تفكيرها عن أي خذير.

كانه أكتفي بنتيجة التجربة، فترك كثفيها ليمسك برأسها بين راحتيه، فارغفت بقوّة، ورفعت ذراعيها لتسمّط بعنقها، مشaque للإحسان بقرمه مجدداً

ل لكن، بدلاً من أن يستغل الفرصة، أحس فجأة بمحمود مثير للاضطراب فيه.. ورفع رأسه: إدنا؟

عرفت حتى قبل أن تفتح عينيها أنه لم يعد ذلك الغريب الواتق من نفسه، الذي كان يسلّي نفسه بإثارته لأحاسيسها فالنظرة الضبابية التي تذكرها غامماً

أطلق ضحكة مرتجفة وهو يراجع إلى الوراء ليطرى وجهها

- يا إلهي يا إدنا.. لم أكن أدرك أنتي أريدك هكذا.

وكان الصوت صوت هايدن جاكوبس، وقد عاد لسيطرته الساخرة على نفسه.. لكن وهو يخض رأسه مجدداً لتابع ما هو بصدده، ويفت تمامًا الورطة التي سمحت لنفسها أن تخوض فيها.

بدفعه قوية حررت نفسها وانقلبت متعددة عنه.. كان الوقت ظلاماً الآن تحت أشجار الدردار، وكان هايدن على بعد أقدام منها.. وسمعه يقول بصوت أخير وهو ما يزال يكافع ليلقطه أنسنه:

- أنت على حق طبعاً.. من الأفضل أن نعود الآن إلى المنزل..
ستكون أكثر ارتياحاً في غرفتي.

ردت بحدة: ماذ؟ ماذ؟ ماذ؟ ماذ؟

- أعني أن افترضي أن تتظاهر حتى تصبح على من اليمت.. لم يعد ملائمة الآن.. لم يعد هناك طريقة أستطيع فيها إبعاد يدي عنك لمدة طويلة.. وغرفة نومي هي الحال المنطقى الآن

أصبت إليه مذعورة بافرازه المتعجرف أن يكونا عاشقين..
ونخت

- عظيم.. الآن وقد تأكدت، هل تفكرين جدياً بتقد المكتب إلى اليمت؟

تنفست بعمق.. إنها تلعب بالنار.. لكن الوقت متاخر جداً للنراجم..

- بكل تأكيد.. متى ستأذهب؟

صمت قليلاً ثم:- ليس قبل بضعة أيام.. أحس أنتي يجب أن أعطيك وقتاً لتفكيري قبل أن تقرري

ابتسمت

- تعني قبل أن تقرر أنت؟ بالنسبة لي، سأحب هذا كثيراً.. لكنني أعتقد أنتك يعاجلة للاقتساع دون ذرة من شك أنتي لن أتفطر على خصوصياتك.. إذن فلتستظر.

بدل أن يضحك، هز رأسه وقال بهذه:

- ليس الأمر هكذا بالضبط.. فأنا أريد التأكد من أنتي لا انفل علىك.

- لا بأمن آيدا.. أنا لا أغار كثيراً على خصوصياتي مثلك.

وضحكـت

- ربما.. لكن أنت تدركين أنك مستشارـكتي أكثر من ساعـت العمل.

- لن أمانع.. في الواقع، أحب أن أكون معك.

- وتحبـين هذا كذلك؟

- أحبـ ماذا؟

التفتـ إلىـه، ودونـ أيـ إنـذـارـ وجدـتـ نفسهاـ بينـ ذـراعـيهـ كماـ جـعـهاـ تحـفلـ وـقبلـ أنـ يـصدـرـ عنـهاـ أـيـ ردـةـ فعلـ، كـانـ مـسـلوـبةـ الفـرـصةـ لـلنـجـاحـةـ مـنـهـ أولـ ماـ فـكـرـتـ فـيـهـ هوـ أـنـ تـقاـوـيـهـ فـهـذـاـ لـيـسـ مـاـ يـلـزـمـ.. وأـضـافـتـ غـلـارـ نفسهاـ بـرـعـبـ لاـ نـادـعـهـ يـقـولـ هـذـاـ

أنا آسفة.

أفضل أن تنسى ما حصلت.

لم أكن أقصد التمادي هكذا.

لم يكن يتوقع هذا.. كما أدركت من صمته الطويل الذي يسع رفقيها له.. أخيراً قال:

ـ هكذا إذن.. أعتقد أن مشاعرك موضوعة في ثلاثة لأجل مايلز الغامض.. حتى، أو إذا، عاد.. فهل هذا صحيح؟

ـ ما.. مايلز؟

ـ الذي كان وسيكون في المستقبل.. مايلز.. الرجل الذي رحل صدمت وهي تدرك أنها خلال ما مر بهما لم تتصور نفسها بين ذراعي مايلز مرة واحدة.. لقد خرج الشبح أخيراً من قلبه.. هايدن هو الذي اخترق دفاعاتها.. فهو ورث كل الحب العنفي غير المتعقل الذي كان مايلز.

سمعته يضحك بصوت خافت:

ـ أوه.. حسن جداً.. هذا يكفي.. كان يمكن أن أقسم أنك كنت متشوقة مثل للمتابعة.

ـ هست بتعاسة: أنا آسفة.

ـ لا تشعر بالأسى هكذا يا حبيبي.. كل ما أنتاه هو أن يكون مايلز قادرًا على تقدير هذا الإخلاص.

ـ أفلت ضحكة، متوترة، غير طبيعية، من شتيتها بينما هدلت موجة هستيريا بالاستيلاء على تفكيرها.. ودفعت وجهها بين يديها، غير واثقة مما إذا كان ارتجاف فمها سيتحول إلى بكاء، أو إلى ضحكات هستيرية.

ـ بلطف، أبعد يديها، ووضع قبضته تحت ذقنها، يخبرها على النظر إليه.

ـ هيا يا إذنا.. لا تظنين أن الوقت قد حان للتخلص عن هذا الخلقان المؤلم؟

ـ حاولت أن تشرح له:

ـ لا علاقة لمايلز بهذا.. ولا علاقة له بي أيضاً.. أنت لا تريدين أنا بل تزيد شجاعاً دفنته في ذاكرتك.

ـ لم يحاول الإنكار، وقال بصوت منخفض:

ـ حسن جداً إذن.. سأعقد اتفاقاً معك يا إذنا.. بما أننا معاً بطاران بشبحين كما يبدو، فلنساعد بعضنا بعضًا لطرد هما من نفسها.. أنا مستعد تماماً لأن أستخدمك كبديل، وبصرامة تامة يا حبيبي، لا أظن أن من الصعب جداً طرد روح مايلز من جسديك.. ما رأيك؟

ـ أفلت آهة من بين شتيتها المتصلتين.. لم تعد قادرة على تحمل المزيد من هذه السخرية القاسية المهينة.. وأكمل وهو يرفع يده مراراً أخرى يلامس رأسها:

ـ حسناً يا إذنا؟ الأمر عائد لك الآن.. إلى أين تتجه من هنا؟

ـ وإذ أصبح والقام من سلطته عليها الآن، جذبها إليه، لكنها دفعت عنها غاضبة وهي تقول بحدة:

ـ لن تتجه إلى أي مكان.. إلا إذا كان اتجاهها لإكمال العمل معًا كما كان فعل حتى الآن.

ـ عيناه البراقان كانت تتسكان لها الآن، بسخرية:

ـ أوه.. سنكلمل عملتنا، لا تخافي.. لكن لا تخادعي نفسك بأننا ستوقف حيت انتهينا الآن.. فأنت ستواجهين عملية إغواء يكامل اعادها.. والأكثر من هذا، يجب أن تعتبري أمر استسلامك من اختياريات.

ـ أيها النذل المتعجرف..

ـ قاطعها بسهرولة:

ـ أجل.. أنا هكذا.. أترى، أنا لم أخسر معركة بعد.. حاولت اختراق ثقتي بنفسه:

ـ يا إلهي.. لا تفهم؟ أنا لا أريد أن...

ـ تجاهل محاولاًها العينية للشرح، وبحركة سريعة سهلة وقف على ذميها، يجذبها معه، ويقول:

- أوه.. بل.. تريدين.. لقد فات الوقت الآن للتراجع، يا إدنا.. فلأنم أسع إليك، أتذكري؟ أنت من سعى ورالي.. حسنا، لقد حصلت على ما أردت.. وما أردته معاً.

حاولت الابتعاد عنه بباسِ:
- أنت بخطيء، خطيء جداً.. ما أريده أنا، وما تريده أنت، ما شبان مختلفان تماماً.
أسكتها بهذه القوية:

ـ لا.. ليس مختلفين.. كلا.. أنا يريد أن يدفن شبحاً.. أو على الأقل أن يجد بدلاً، كي تودعني مابلز، وأخلني أنا عن حلم مستحبلي، في آن أجد شبحاً لوجه له.

كان وجهه يقترب من وجهها.. وفجأة تعبت من مقاومته، فالمقاومة لا جدوى منها على أي حال.. أحسست بحذب يده لها، وبيأوت عليه، تخمس عينيها، باسلام صامت. لكن دفعها عنه قاتلاً بخشونة:

ـ ليس هنا يا إدنا.. بإمكاننا متابعة هذا الحوار في غرفة نومي.. تعالى.. سأبابلك إلى المنزل

أخذ يركض بسهولة برولاً بالتجاه الشيلا التي كانت الآن شمع بالأتوار.. ثم انتظر ليرى ما إذا كانت متلعق به. لكنها تابعت طريقها ببطء، دون محاولة ذلك، إنها تحتاج لأن تكون وحدها، لتجتمع شئات نفسها، وتذكر بعض المنطق بما حدث لتو.. وبدأ لها، وبشكل لا يصدق، أنها منذ ساعتين، كانت محلس بهدوء في المكتبة، مستقرة في التفكير بالماضي، وتقطّع بشوق إلى مستقبل جديد متحرر.. ما يثير السخرية هنا، هو أنها شفقت فعلاً من مشكلتها القديمة، ولكن لتفع، وبباس عاجز في مشكلة جديدة.

كان هايدن يتظرها قرب الباب الأمامي، وكانت جوسلين ما تزال تقف في نفس موقعها، وكانت لا تستطيع ترك مكان حراستها خلف الزجاج الذي لا ستائر له، وجهها متوجه متور في قاع حزبين، وهي

زاقب إدنا تقدم على مضربي إلى جانب هايدن.. وبدأت إدنا تحبس ياطيق الفتح عليها.

قال هايدن حين وصلت إلى جانبه:

ـ لقد نسبنا العائلة تماماً يا حبي.. لكن هذا لا يهم أعيدي سيارتك إلى هنا وضعها في الخارج.. ولا تزعجي نفسك بحزم كل حاجياتك، خذني فقط ما يفكك لبضعة أيام.. ستشرين كل ما تخدعه إلى حبي حين تصل إلى هناك.

ـ تصل إلى أين؟ وتشتري ماذا؟ لا أعرف عما تكلم يا هايدن
قال بصير:

ـ سنتيم في فندق ريفي صغير إلى أن ننادر إلى البستان.. سأصل سكثي لمحجزوا والناع على أول طائرة..
ضررت قدمها في الأرض غاضبة:
ـ أيسكن ان تصفي إلى يا هايدن، أرجوك! أنا لن أذهب إلى أي مكان معك

قال بهدوء:

ـ أوه.. بل.. ستدفين يا حبيبتي.. لدينا عمل لم ينته بعد.. وأنا لا أتكلم عن ذلك السيناريو اللعين..
استدارت عنه، تحاول الابتعاد، لكن يده أمسكت بكتفها تعيدها مباشرة إلى بين ذراعيه، أمام أنظار جوسلين المرأة من خلف النافذة هست من بين أسنانها:

ـ عني أذهب.. إلهم يراقبوننا!
قال بالقصص عرجات عجرفة:

ـ هذا أحسن.. ودعينا لا نتاقش دون جدوياً يا إدنا.. لست أدرى لماذا تقاوميني هكذا.. أنت بكل تأكيد لست من النوع الذي يمثل دور الفتاة المحجولة.. ولكن مهما كانت أسبابك، دعينا ننهي كل شيء الآن، وهنا..
مبتسماً أمام وجهها الغاضب، شد ذراعيه حولها، وقبل أن تستطيع

فعل شيء، خطف أنفاسها بعنق عيف تركها ضعيفة الركبتين.. ثم
قال بخفة:

- أرأيت ما أعني؟ أذهبي الآن وأحزمي أمعنك.. سأأخذ النساء
ويضع أشياء أخرى ثم أوا Vick إلى هنا بعد عشر دقائق.

دفعها بالتجاهد الباب، بينما اتجه هو نحو القناء خارج المكتبة.
لكنها بقيت حيث هي لبعض دقائق يحقرها، حين رفعت نظرها،
النلت ينظر مالكوم الضاحك لها من خلف الزجاج. لم تكن جوسلين
واقفة هناك، وله تشكيك إدنا أبداً في أن العائلة كلها كانت تتمنى ينظر جيداً
لعرض هايلن.. وعرفت على الفور أن هناك شيئاً واحداً يجب أن تفعله
الآن.. استدارت، تدبر ظهرها إلى المنزل مستعدة للخروج، إلى حيث
أصبحت سيارتها مجرد شيء لا قيمة له بين الصفوف اللاحقة من الزحام
المسائي، المتوجه إلى وسط المدينة.

٦ - خطر خلف الباب

بذا المنزل الشيكوري الطراز في ضاحية «دولوينش» أكثر كآبة مما
كان، بعد الأيام التي أمضتها إدنا في فيلا هايدن جاكوبس.. كان ليون في
الخارج ولم يترك رسالة لأنه لم يكن يتوقع مجيئها.. وافتراض أنه مع
غيرها، الطبيبة المتدربة في نفس المستشفى، والتي أصبحت صديقته الدائمة
منذ حوالي السنة.

أعدت إدنا نفسها لعركة.. ثم اتصلت بدوبل.. حين أجاب

- أنا لا أتفهم ما دوبل.. لأنني لم أكتب سيناريو فيلم سينمائي من
قبل، بل فقط مسلسلات تلفزيونية.. ومن الأفضل له التعامل مع كاتب
سيناريو حقيقي.

رد دوبل ساخطاً:

- قولي له أنت هذا.. كما أن ما تقوليه حراء.. لأنه لم يتم ذكره.. في
الواقع، أعتقد أنه مسرور جداً معي! بعد أيام من الترقب، اتصل بي
ليقول إنه قرر استبقاءك، وإنه سيوقع العقد مع المنتج.. فكيف تأمين
الآن لتفولي لي إنك لا تريدين الاستمرار؟
ـ أنا آسفه.

- حسن جداً.. لا يمكنك التراجع الآن.. وهذا أمر نهائي.. ما
الذي دهاك على أي حال؟ منذ أسبوعين كنت على استعداد لما يأخذه عشر
سنوات من عمرك بفرصة العمل معه!
ـ بقيت صامتة.

- اسمعي يا إدنا.. إنني أرفض القيام بأي شيء دون سبب وجيه..
ـ أنت تصرفين كفتاة مدللة، لا شجاعة لها.. لماذا لا يمكنك العمل معه
ـ بينما هو من ي يريدك أن تستمر في؟

حتى الآن، كانت الكلمات هذه تساعدها على إحياء آمالها، وتفوها في تصفيتها على أن تجده.. لكن وهي تقرأ تلك الكلمات الآن بذات تبكي بصمت، مستلمة أخيراً للباس الذي كان يخيم بقلبه عليها.. وعد مايلز حق المسار الأخير في تعش حبها لهايدن.. لقد حافظ على وعده، ذاكرته المدفونة بقية خلاصه لشبح لا اسم له من جزيرة ضائعة.. وواقع أن هذا الشبح، بالمحنة ودمه، هو هي، لم يشكل أي فارق.

كان يخيم على المنزل القديم التمجهم صمت مخيف.. ولم تكن الساعة قد بلغت التاسعة بعد، والأمسية ما زالت أحاسيسها طويلة، فارغة، وحيدة، مليئة بالأفكار النعمة.

حسن جداً، لقد ودعت الشخصين الآن.. لقد ودعت مايلز، وترك العمل مع هايدن في نفس الوقت. إنه لن يلحق بها، هنا ما هي والثة منه.. يما كانه يسهولة الحصول على ما يحتاجه من امرأة مثل ماولا.. وإذا كان ما يزال يبحث عن بدائل، فهناك جوبيس لإرضاء ذاكرته اللاوعية عن فتاة الجزيرة.

انتظرت ليون حتى ما يُعد منتصف الليل.. كانت بحاجة لأن تتكلّم معه، أن تخبره عن هايدن، أن تدع منطقه وذكاءه يقويان قرارها.. لكنها تحملت عن توقع عودته تلك الليلة، فهو عادة يقضى عدة ليالٍ في الأسبوع مع فريا.

ذهبت إلى النوم وقد تزايد شعورها بالوحدة، وأخذت تذكر في مبلغ فراغ حياتها دون صحبة ليون المرحة.. ربما علينا أن نعود إلى سانت باتريك.. ورغم أنها ما زالت مليئة بذكري مايلز، إلا أنها الآن مستعدة لأن ترحب بهذه الذكريات، أرقة التي بدأت تحيو.. على الأقل ستكون ذكريات مرحة، مهدىءة من عذاب حبها المرفوض لهايدن.. استيقظت على منزل يصحح بأصوات الناس، حين وصلت المطرب نصف تاسعة وجدت ليون في بيتها، وفرا.. يختسان عصير (الغربيروت). وعند رؤيتها، انزعشت قيراً بدها بحدة من بدليون،

- لا أستطيع دليل.. ويجب أن تساعدني.. لا أستطيع الاستمرار في العمل معه.. لم أعد أستطيع..
استسلم الوكيل المسن آخرأ:
- الله يعلم أين ساجد البدين.. فلقد رفض هايدن أفضل من لدى من أشخاص..

- سيكون أقل عيادة الآن.. لقد اسجم حقاً مع الحات الشفتي، ولن يحس باخر مع المحترفين الآن.. في الواقع يمكنه متابعة العمل وحده، لو سألتهرأيي..
- أوه.. صحيح.. أيمكنت تصوره وهو يطبع؟

أخذت ابتسامتها لها.. كان مايلز طيباً من الدرجة الأولى.. وقالت بهدوء:

- أستطيع أن أتصوره بكل تأكيد.. ولن أفلتكم في هذا المجال.. احصل به غداً، وقل له إنني لن أعود يوم الاثنين.. سأرسل إلى هناك من يأخذ أغراضي خلال الأسبوع القادم.. أعادت السماعة مكانها، ولساعة كاملة أخذت تجول في المنزل، تقوم بأعمال لا لزوم لها تبقى نفسها مشغولة..

غرقتها لم توفر لها الراحة.. لكنها على الأقل وجدت فيها شيئاً شفتها.. لم تكن شخصاً فوضواً بطريقتها، لكنها كانت لا تطلب أن تلفي بعيداً حتى بر رسالة صغيرة.. ما لبثت أن أغرتت نفسها في العمل، وكانت بتنظيم أوراق السنة المنصرمة المبعثرة، تستطيع تبديد الأوهام والأمال الرائفة التي كانت تململها منذ تركها مايلز.. ووجدت نفسها مسكة بقطعة ورق مجعدة، وصفراء من تأثير الزمن، حملتها معها من سانت باتريك، وكانت أول، وأخر، رسالة حب من مايلز.

ذكريي فقط عندما تفكرين بي.. أن ذاكرتي مهمها كانت خائنة في الماضي، فستبقى خلقة لك.. قلبي يقوز لي إنني لم أحب أحداً من قبل كما أحبينك.. وكما كله يصبح أنتي لن أحب أي شخص سواك.. لذا باحسي.. إلى أن نلتقي ثانية.. مايلز.

ما زال مستغرقاً في الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية. أخبره أمسك
ستة وخففت نفسها بسرعة، ولفت قطعة قماش حول جسدها.
وكان هذا نوعاً من «الساري» الذي تستخدمه بانتظام في سانت باتريك،
وكذلك في لندن، كيديل عن الروب.

يبدأ أن المتعطل المصر تحلى عن إصراره، فقد توقف الريتين قبل أن
تصل الردة. . مع ذلك تقدمت من الباب ونظرت إلى الخارج عليها
تلحق يمن كان يرن الجرس وكانت في الوقت المناسب لترى جسداً طويلاً
غير واضح المعالم لرجل على وشك دخول سيارة، بدأ لها كيارة
بورش. . وإذا سمع الرجل صوت فتح الباب، استدار لليمحمها في
الوقت المناسب.

بدعه هائل، حاولت إغلاق الباب لكن هايدن كان أسرع منها.
ويخطوه الرشيق الطويلة، ففز بضم خطوات وصل بها إلى الباب
وعيادة فاحت الزرقة تتجه بيانتها أن تتفعل في وجهه.

ضحك بحرج لنصرفها الغبي:
ـ آسفه. . لا أعرف لماذا فعلت هذا. . أعتقد أنك فاجأتني.
ابتسم هايدن:

ـ كانت ردة فعلك محققة تماماً. . لا يستطيع الكثير من الرجال
المقاومة لرؤيتك. . أيمكن أن أدخل؟
تراجع إلى الوراء: أوه. .طبعاً. . تفضل.
وأقفلت الباب وراءه أمام الهواء الليلي البارد، ترتجف قليلاً في قطعة
التماشق الخفيفة الملتوفة حولها.

ـ ليون. . شقيق في غرفة الجلوس، وأظهرا نائماً
كانت موسيقى موزارت لا تزال تصعد بصوت مصم للآذان:
ـ نائم؟ مع هذا الصوت؟ لا عجب إذن أنت لم تسمعي دين
الجرس.

ـ هرت كثيفها.
ـ لقد تناولنا عشاء طويلاً، ولا شك أنه يمس بالتعب. . ولا أعرف

وهما يلقيان عليها التعبية بخجل وإحراج، غير مرئيين لضبطهما في
ظروف كهذه.

قالت إدنا خطابة ثيرا:
ـ أرجو أن لا أكون مسبباً لتوقفك عن المجيء إلى هنا.
ردت ثيرا: حسناً. . أحس ليون أن .

فاطعمتها إدنا:
ـ أنت ما زلت زهرة هشة يجب أن لا تعرف على وقائع الحياة؟
والتفت إلى ليون ضاحكة:
ـ أم تحاول أن أغادر منك لأن ليس لي صديق دائم؟
هايدن جاكوبس يرفض أن يفتح لها قلبها بسبب وعد قطعه لها في
ماضيه المنفي، وهذا هو شقيقها الآن لا يبرر على المجيء بصداقته إلى
المنزل خوفاً من إزعاجها. بالنسبة إلى حالة ليون لا مشكلة لديها في إزالة
ال العراقيـ . لكن ما من عجل تستطيع فيه إراحة هايدن من المهد الذي
يفرضه على نفسه. . ولو قالت له الحقيقة حول مايلز، قد يشعر أنه
مرتبط بها بوعده شرفـ . وإذا تركته، كما مستقبلـ ، فسيقى أسرأسـ
الضائع.

ـ ما إن أنهوا طعام الفطور، حتى كلف ليون الفتاتين بمساعدته في
تحضير عشاء يوم الأحد، الذي دعا إليه عدة أصدقاء وصديقات.
ـ كانت الساعة قد جاوزت السابعة حين وضعت إدنا آخر قطعة
زجاج في خزانة الآنية الخزفية، وصعدت إلى غرفتها، تاركة ليون يمتنع
بموسيقى موزارت من جهاز ستيريو، الذي رفعه إلى درجة نصم الآذان
ب بينما خرجت ثيرا لتوصيل بعض القسيوف إلى بيورهمـ .

ـ وسرعان ما سلمت جسدها المتعب إلى دخلة مياه الدوش
الساخنة. . ومرة دقات تدندن فيها مع الموسيقى الواسلة إليها من فوق
صوت الماء، ثم أدركت أن هناك صوتاً آخر. . صوت جرس الباب،
يتناهى صاحباً حاداً مما يدل على أنه كان يرن منذ وقت طويلـ .
ـ انتظرت لحظات، على ليون يردد، لكن لا شك أنه كان نائماً، أو أنه

إلى أين أخذك.

قال يوقار:

حتى ولو كان يشمل عائلتي الخبيثة.. وستدفعهن الثمن.. أكاد أموت جوعاً، ولم يكن من السهل حجر مائدة في «ماي فير» في وقت قصير كهذا.. وأضطررت إلى وعد الإدارة بتحفيض كبير على الكمبيوتر الجديد.. أسرع في إدن، سأهتم بصنع الفهوة.. لا تقلقني بصفعة خفيفة على ظهرها، أرسلها خارجة من المطبخ ساخنة، إلى حيث صعدت الدرج إلى غرفتها.

بحذر شديد تفحصت نفسها في المرآة عندما ارتدت ثوبها دون أن تعي ما تفعل.. على أي حال، هذه هي المرة الأولى التي تخرج فيها رسمياً مع مايلز أو هايدن، وبالرغم منها، أرادت أن تبدو بأحسن مظهر.. وقررت أن الثوب الذي كان من الحرير الطبيعي من تصميم «كانزو» مناسب لأي مطعم فاخر في لندن.. أما طراز شعرها الأشعث البالغ القصر، فقد جعل شكلها الأنوثي يبدو جيلاً للغاية، وأحست أنها لم تكن مبالغة في أناقتها، ولا عافية.. ومع أن وجهها بدا شاحناً ومتعباً إلا أنها قررت أن لا تستخدم الماكياج.. فهي تادرأً ما تستخدمنه ولقد أمضت حتى الآن أكثر من ربع ساعة في إعداد نفسها رغم أن آخر شيء كانت تريده هو أن يظها هايدن تحضرت مشقة خاصة لترى له فجأة أحست بغضب شديد منه، فاختارت سقيقة قماش مطرزة تستخدمها عادة لأوقات العمل، مما يجعل شكلها متافراً مع أناقتها العامة، ثم أسرعت تنزل السلالم، متوقعة انتقاماته الساخرة، لكنها لم تكن مستعدة أبداً للكارثة التي كانت في انتظارها.

كانت في منتصف السلالم حين شاهدت ليون يجر نفسه ناعساً من غرفة الجلوس، تبدو عليه دلائل السعادة، ولاحظت للتو أن المنزل لم يعد يضج بأصوات الموسيقى، وأن الصمت كان رهباً.

وينظر تذكرة أن ليون لا يعرف شيئاً عن أمرها مع هايدن.. وزداد ذعرها حين تصورت ما قد يحدث لو دخل ليون المطبخ وأصطدم دون توقع بالرجل الذي عرفه منذ ثلاث سنوات باسم «مايلز».. فتحت فمها متأخرة لتناديه وتوقفه، ولكن، في تلك

- ليس إلى غرفة نومك.. لا أظن أن هذا سيكون حكيناً وأنت ترتددين هكذا.. على فكرة، إنه تذكر حسن بجزر السيشل.. إلا أن

أستطيع تصورك أمام الأشجار الخضراء والرماد البيضاء والماء الزرقاء.. أمر غريب، أليس كذلك؟

أجلت ملاحظاته عن السيشل، حتى لا يهاجم سؤاله
- أرجو المغفرة؟

- بما أن غرفة نومك خارج البحث، وغرفة الاستقبال مشغولة سأنتظر في المطبخ.. مع فنجان فهوة، إذا لم يزعجك هذا..

- أوه.. أنا آسفه.. طبعاً.

- سأضع الإبريق على النار بينما تصعدين لتغيير ملابسك..
- أغير ملابسي؟

- هذا ثوب ثالث بالطبع.. وأنا والق من أولك ستديرين الكثير من الرؤوس في مطعم «ماي فير».. لكنني لا أظنه مناسباً جلوس لندن في هذا الوقت من السنة.

نظرت إليه مدهوشة:

- لا أفهم.. ما دخل «ماي فير» بكل هذا؟

- أليس من المفترض أن تتناول العشاء هناك؟

- حقاً؟

- لا ذكرهن؟ أنت وأنا لدينا موعد لهذه الليلة.. على الأقل هذا ما كنت قلت أنت لباولا أمس.

تاوهت.. لقد نسبت كذبها السخينة:

- أوه.. هنا الآن هايدن.. كانت عبارة طريقة لخلصيك من حفلة عشاء الليلة.. ولم أقصد فعلاً أن تأخذني إلى العشاء وأنت تعرف هذا جيداً.

- آسف يا حبيبتي.. لكنك مازمة.. لقد حرمتك من عشاء لندن..

- أنت لا تشارك أصحاب الكومبيوتر معنـى ، فلماذا أشارـك ؟
 كانت عيناـ هـايـدن تـقـلـان من وجـه لـيـون إـلـى وجـه إـدـنـا مـصـفـيـاً باهـتمـام
 لـراـحـمـهـاـ الـخـفـيفـ وـذـلـكـ يـوـجـهـ جـامـدـ . . . وـتـابـعـتـ إـدـنـاـ نـزـولـ السـلـمـ ، تـحـمـلـهاـ
 سـاقـانـ مـتـصـلـيـانـ فـيـماـ تـبـقـيـ مـنـ الطـرـيقـ :
 - عـلـىـ أيـ حـالـ ، عـلـاقـتـناـ لـاـ عـلـاقـةـ لـهـاـ بـالـكـوـمـبـيـوتـرـ . . . هـايـدنـ هوـ
 الرـجـلـ الـذـيـ أـعـمـلـ مـعـهـ مـنـذـ أـسـبـوعـينـ . . . أـحـوـلـ كـاتـبـهـ إـلـىـ سـيـنـارـيوـ
 سـيـنـمـاـيـ . . . لـمـلـكـ عـذـكـرـ أـثـنـيـ سـبـقـ وـجـدـتـكـ عـنـهـ .
 - أـوـهـ . . . أـيـجلـ ، طـبـعاـ . . . أـنـأـسـفـ يـاـ إـدـنـاـ . . . لـاـ أـلـامـ لـوـمـ أـسـتـطـعـ
 اـسـتـيـعـابـ كـلـ هـذـرـكـ أـيـسـكـنـيـ هـذـاـ ?
 انـضـمـتـ ضـحـكـةـ هـايـدنـ جـاكـوـسـ الـنـخـفـهـ إـلـىـ ضـحـكـاتـ الشـقـيقـينـ
 وـمزـاحـمـهاـ ، وـقـالـ :
 - إـنـهاـ تـكـلـمـ كـثـيرـاـ . . . مـعـ ذـلـكـ ، يـعـبـ اـنـ أـفـوـلـ إـنـ كـلامـهـاـ مـنـطـقـيـ جـداـ
 حـينـ يـصـلـ إـلـىـ سـيـنـارـيوـ . . . إـنـهاـ جـيـدةـ جـداـ ، شـقـيقـتـكـ هـذـهـ . . . هـلـ أـنـتـ
 مـشـغـولـ الـلـيلـلـ ؟
 لمـ يـكـنـ السـؤـالـ مـتـوـعـاـ ، حـتـىـ آنـهـ فـاجـأـ لـيـونـ .
 - حـدـاـ لـلـسـاءـ . . . لـاـ . . . إـنـهاـ أـوـلـ أـمـسـةـ حـرـةـ مـنـذـ أـسـبـوعـ .
 - حـسـنـ جـداـ . . . مـاـذـاـ لـاـ تـضـمـ إـلـىـ العـشـاءـ مـعـنـاـ ?
 تـرـاجـعـ لـيـونـ بـسـرـعـةـ ، يـنـظـرـ بـأـرـيـاكـ إـلـىـ إـدـنـاـ :
 - أـوـهـ . . . لـاـ . . . لـاـسـتـطـعـ . . . فـاـنـاـ مـشـوقـ لـنـوـمـ بـاـكـرـ .
 أـوـلـ رـدـ فعلـ لـديـهاـ كـاتـنـ وـخـرـةـ خـيـةـ أـمـلـ . . . لـكـنـهاـ سـرـعـانـ ماـ
 اـجـفـلـتـ مـتـصـلـيـةـ وـدـمـاغـهاـ يـشـنـمـ رـائـحةـ الـخـطـرـ ، فـيـ خـاطـةـ لـيـونـ لـهـ بـاسـمـ
 «ـمـاـيـلـزـ»ـ . . . عـلـىـ الـأـرـجـعـ دـعـوـتـ كـاتـنـ مـحاـوـلـةـ لـاجـتـذـابـ الـحـقـيقـةـ مـنـهـمـ .
 حـسـنـ جـداـ ، فـلـيـحاـوـلـ ، فـلـاـ أـحـدـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـقـفـ فـيـ وـجـهـ مـثـلـ لـيـونـ ،
 وـهـذـهـ هـيـ الـحـمـاـيـةـ الـتـيـ تـحـاـجـجـاـ بـالـقـبـطـ .
 أـسـرـعـتـ تـنـزـلـ السـلـمـ وـتـقـدـمـ إـلـىـ لـيـونـ تـضـعـ ذـرـاعـهـ فـيـ ذـرـاعـهـ ، تـوـسـلـ
 إـلـيـهـ :
 - أـرجـوكـ لـيـونـ ، تـعـالـ مـعـنـاـ . . . سـاحـبـ هـذـاـ .

الـلـعـظـةـ ، خـرـجـ هـايـدنـ مـنـ الـمـطـيـعـ ، يـحـمـلـ كـوبـ قـهـوةـ فـيـ يـدـهـ . . . وـكـانـ
 وـاضـحـاـ أـنـهـ مـلـ الـانتـظـارـ .
 تـوقـتـ الرـجـلـانـ مـسـرـانـ لـرـؤـيـهـمـ بـعـضـهـمـ . . . وـارـتـفـعـتـ يـدـ إـدـنـاـ إـلـىـ
 فـيـهـاـ حـيـنـ لـاحـظـ الصـلـمـةـ الـتـيـ بـدـتـ عـلـىـ وـجـهـ لـيـونـ .
 - يـاـ إـلـهـيـ مـاـيـلـزـ ! أـنـاـ لـأـاصـدـقـ
 خـرـجـ الـأـسـمـ غـيرـ وـاضـحـ الـمـعـامـ بـسـبـبـ التـعـاسـ ، لـكـنـهـ بـدـاـ وـاضـحـاـ ثـمـاـ
 لـإـرـنـاـ . . . وـلـمـ يـرـهـاـ أـحـدـ مـنـ الرـجـلـيـنـ وـهـيـ تـنـقـفـ فـيـ مـتـصـفـ السـلـمـ . . . لـكـنـهـ
 كـانـتـ تـرـىـ وـجـهـ هـايـدنـ نـصـفـ مـقـاءـ بـتـورـ الـطـيـخـ خـلـفـهـ . . . وـجـدتـ فـيـ
 مـكـانـهـ تـنـتـرـ رـدـةـ القـعـدـ لـدـيـهـ .
 سـأـلـ بـلـطـفـ : أـفـلـتـ مـاـيـلـزـ ؟ فـيـ الـوـاقـعـ اـسـمـيـ هـايـدنـ .
 تـدـخـلـ تـدـرـيـبـ لـيـونـ الـهـيـ وـذـكـاؤـهـ لـلـإنـقـاذـ . . . وـسـرـعـانـ مـاـ اـنـفـرـجـتـ
 أـسـارـيرـ وـهـدـاتـ مـلـاـعـهـ لـتـبـدوـ فـيـ عـيـيـهـ نـظـرـ دـهـشـةـ مـهـنـيـةـ لـطـيـقـةـ . . . وـعـوـيـ
 يـقـولـ بـلـهـيـجـةـ طـيـعـةـ :
 - أـرـجوـ عـفـوكـ . . . فـيـ هـذـهـ الـعـنـمـةـ الـخـفـيـةـ بـدـوـتـ فـيـ شـيـئـاـ بـصـدـيقـ
 قـدـيمـ . . . أـنـاـ لـيـونـ جـايـسـونـ . . . شـقـيقـ إـدـنـاـ . . . أـعـتـقـدـ أـنـكـ هـنـاـ لـأـجـلـهـ .
 تـقـدـمـ هـايـدنـ إـلـىـ الـأـمـامـ ، يـنـتـلـ كـوبـ قـهـوةـ إـلـىـ يـدـهـ الـيـسرـىـ لـيـسـتـخـدـمـ
 الـيـمنـيـ فـيـ مـصـافـحةـ لـيـونـ .
 - أـنـاـ هـايـدنـ جـاكـوـسـ . . . كـيـفـ حـالـكـ ؟
 لـمـ يـسـجـلـ وـجـهـ لـيـونـ أـيـ تـعـبـرـ ، مـاـ عـادـاـ السـرـورـ
 - رـجـلـ الـكـوـمـبـيـوتـرـ ؟ هـذـاـ شـرـقـ حـقـبـيـ . . . لـمـ يـكـنـ لـدـيـ فـكـرـةـ أـنـ إـدـنـاـ
 تـعـرـفـ . . . وـهـذـاـ لـاـ يـدـوـيـ إـنـصـافـاـ مـنـهـ ، أـلـاـ تـنـظـنـ هـذـاـ يـاـ إـدـنـاـ ؟
 فـأـجـأـهـاـ سـؤـالـ هـذـاـ . . . فـهـيـ لـمـ تـكـنـ تـعـرـفـ أـنـ شـاهـدـهـاـ . . . وـتـابـعـ لـيـونـ
 دـوـنـ أـنـ يـتـنـظـرـ اـسـتـجـمـاعـهـاـ رـبـاطـ جـائـشـاـ :
 - كـلاـتـاـ ، إـدـنـاـ وـأـنـاـ ، مـنـ هـوـاـ الـكـوـمـبـيـوتـرـ . . . وـنـقـومـ بـالـتـنـافـسـ أـجـانـاـ
 فـيـماـ بـيـنـاـ لـنـرـىـ أـنـضـلـنـاـ فـيـ اـسـتـخـدـمـهـ وـلـكـنـ مـاـ كـانـ لـهـاـ أـنـ تـبـقـ عـقـرـبـاـ
 مـثـلـ لـنـفـهـ .
 خـرـجـتـ ضـحـكـةـ إـدـنـاـ مـتـوـرـةـ غـيرـ طـيـعـةـ :

للاجتماع بين العاملين في المسرح والسينما، كما أنه كان المكان المفضل لـإدنا.. لكنها الليلة، وهي تسير مع هايدن جاكوبس، أحست بالاستغراب والارتباك.

بالرغم من شهرة هايدن جاكوبس، إلا أن وجهه بقي غير مألوف للعامة سبب كراهيته لتصوير الصحافة له. مع ذلك وهم يدخلون المطعم المزدحم، انتبهت بارباتاك إلى النظرات الفضولية، خاصة من النساء، والتي وجهت نحوه، تساؤل عمن يكون هذا الغريب الجذاب.. ولأنها مرافقته، كانت تحجد نفس التظرفات الماكيرة والخاسدة بـبدأت الأمسية يهدو، تدخللها الوجبة الخفيفة اللذانية.. لكن إدنا كانت ترى أنها لو كانت بقى في المنزل كان ذلك أفضل لها بالنسبة إلى قلة الاهتمام الذي تلقته من الرجالين.. فقد بدا أن ليون وهايدن قد انسجمَا معاً حال جلوسهما، وانغمسا في حديث نشيط حول الكمبيوتر الذي هو تاج عبقرية هايدن ومتار هوس ليون وهوهما.. ولكنها ما لبثت مع انضمامها إلى الحديث، أن استرخت فليلاً، وتبثت استراتيجية هايدن في تحذير ضحيته بسحره السهل إلى أن تتخلى عن كل دفاع، ثم ينقض عليها في لحظة مفاجئة.

- أخبرت عن عملك ليون. أنا معجب تماماً بخفايا علم النفس.. أجهلت إدنا تشم رائحة الخطير.. فهو لا شك يحاول الإيقاع بأنجها ليعرف بأنه يعرف بأمر فندانه للذاكرة، لكن ليون الأكثر مكرأً على تظن، أبسم سهولة وسأل ببراءة:

- أي قسم بالتحديد من علم النفس؟

- وما هو اختصاصك؟

لم يتردد ليون:

- أوه.. كل الشواذات الطبيعية.. إذا كنت تفهم ما أعني التخلف، التقصير في الإبداع، عوائق الذاكرة، أشياء كهذه.. تجد الكثير منها هنا في لندن، بسبب التنافس المسعور.. تنفست إدنا الصعداء بعد أن قاد ليون الحديث بعيداً عن الخطير..

ونضم إليها هايدن.. ووقع ليون في الفخ، فنظر إلى إدنا بارتراك، وصعد ليغير ملابسه بملابس رسمية.. عندما أصبحت إدنا وحدها مع هايدن، نظرت إليه متطرفة تعليقه، فقال:

- يدو لي أنه شاب لطيف.. إنه طبيب نفسى.. كما أظنك قلت لي، أيس كذلك؟

- أجل.

- وهاوي كومبيوتر أيضاً.. عجبًا.. لماذا لم تخربه أنك تعميلين معى؟

- لم أرغب في أن أقول شيئاً قبل أن أتأكد من أنك مستحبتي معك هناها على منطقها الجيد:

- هذا صحيح تماماً.. والآن، وقد عرفت أن العمل لك.. ففقطعه متوقعة سؤاله التالي:

- لم تتع في الفرصة اليوم.. كان لدينا ضيوف وكما رأيت بنفسك، كنا معينين.

- حسن جداً.. إنه، الحسن الحظ، سيباني معنا إلى العشاء.. وهكذا ستمكن من أن تقول له مما إيانا مسافران إلى السيشل، يوم الأربعاء..

- اسمع هايدن.. أنا.. لا أظن أني قادرة على السفر معك قاطعها هايدن:

- أود ليون، انتبهت بسرعة.. هل تذهب في سيارتك أم ماذا؟ قال ليون بارتراك: فير! أخذت سيارتي..

قالت إدنا بسرعة:

- نستطيعأخذ الريبو.. هكذا لن يضطر هايدن إلى إيصالنا إلى المنزل.

نفاضي هايدن عن أقرانها وأخذ يدفعها نحو الباب:

- هراء.. ستكون أكثر دفناً إذا نحن انحشرنا في البورس.. أحضرني معطفك يا إدنا..

كان مطعم «ماي فير» يتألق بهالة من الفخامة والأناقة.. كان مرکزاً

سلباً إياها بقصص مذهلة عن فقدان الذاكرة العادي. أخيراً أنهى ليون
قصصه عندما جاءت النهاية:

- قد تقضي الليل كله تحدثت عن هذا الأمر.. لقد أمضيت ست
سنوات في دراستها.

- ست سنوات؟ ظننت جئت إلى إنكلترا مؤخراً، مثل إدنا.
مررت قصيرة باردة على ظهر إدنا.. هذا ما كان ينصح إليه طوال
الأمسية.. ولو سوف يستجوبهما معاً حول ما قضيتما.. رمت ليون بنظره
لخديه، ودخلت دون أن تعطيه فرصة الرد:

- أووه.. لقد جئت إلى هنا بعد وقت طويل من عي.. ليون
تأكدت أولاً من أنه مستقر في المدينة الكبيرة، وأنه مهد الطريق لي.. مما
وفر علي القيام بالاتصالات الاجتماعية.
سألها هايدن:

- الاتصالات الاجتماعية؟ هل هذا هو سبب مجئك إلى هنا يا إدنا؟
لقاء الناس؟ أكنت وحيدة في المزير؟

أمام رعبها، تولى ليون الرد، ليقول بجدوى:
- وحيدة تماماً.. كان والدانا قد بدأ يقلّلان عليها.. كما ترى.
سانت باتريك مقطوعة تماماً عن العالم الخارجي.. وشعرنا كلنا أنها بحاجة
إلى الابتعاد.. خاصة بعد زيارة مطولة لصديق في، انتهت بشكل عزن
أوقفته إدنا عن الكلام بصوت حاد.

- بحق الله عليك يا ليون.. لا أظن هايدن مهمٍّ بقصة حيائـ.
رد ليون: أظنه مهمـاً.. أست كذلك هايدن؟
- بالطبع.

وهي تحس كحيوان واقع في الفخ، رأت الرجال يتبادلان نظرة
سريعة، وكان بينهما لغة سرية.. وتتابع هايدن:

- أنهم من هنا أن صديفك هو العاصم الشهير مايلز..
هذا صحيح.. الرجل الذي ظنت أنت حين التقتك.. الشهـ تمامـ
بيكـما.. أليس كذلك يا إدنا؟

جئت لو تضررها معاً لمواجهتها عذابها الخفي بهذه الطريقة الباردة
المفروضة.. وفدت، تقاد ترمي الكرسي خلفها:
- أعتقد هذا.. هلاً عذر عـانـي.. رـجاـءـ؟

بقيت في استراحة النساء الفخمة قدر ما جرئت.. لمعودـ إلى المـائـدةـ
ونجد هـايدـنـ وـحدـهـ مجلسـ بـهـدوـهـ.. وهـاجـتـ وجهـهـ المـبـسمـ الوـسـيمـ
بغضـبـ أـيـنـ هوـ؟
ـليـونـ؟ـ أوـهـ.. قـرـرـ الـبقاءـ فـيـ الـمـدـيـنةـ.. فـذـالـكـ أـيـسـرـ لـهـ فـيـ الـوصـولـ إـلـىـ
الـعـمـلـ صـبـاحـاـ، كـمـاـ قـالـ.

ـنظـرـتـ إـلـيـهـ بـعـدـاءـ مـكـشـوفـ:
ـلاـ.. شـكـراـ.. لـقـدـ اـكـثـبـتـ.. وـأـرـغـبـ فـيـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـمـزـلـ،
ـالـآنـ، إـذـاـ لـكـنـ ثـانـعـ.
ـابـسـمـ لـهـاـ:

ـبـكـلـ تـأـكـيدـ.. أـنـاـ عـلـىـ وـشـكـ إـلـاهـ قـهـوـتـ.. اـجـلـسـ.

ـلـكـهـاـ بـقـيـتـ وـاقـفـةـ.
ـبلـ أـنـفـضـ أـنـ أـسـقـلـ سـيـارـةـ أـجـرـةـ، فـمـزـلـنـاـ بـعـدـ عنـ طـرـيقـكـ
ـبـلـطفـ، وـثـبـاتـ، أـمـكـ بـذـارـعـهـاـ وـشـدـهـاـ إـلـىـ الـكـرـسـيـ.
ـهـرـاءـ.. اـجـلـيـ وـاهـدـأـيـ، لـمـ أـدـفـعـ الغـافـورـةـ بـعـدـ.
ـبعـدـ دـفـاقـنـ هـذـاـ، كـانـ تـجـلـسـ إـلـىـ جـانـبـهـ فـيـ سـيـارـةـ، تـخـسـرـ نـفـسـهـاـ إـلـىـ
ـالـبـابـ، فـيـ جـهـدـ لـإـبـقاءـ مـسـافـةـ بـيـنـهـاـ.. وـبـقـيـتـ صـامـةـ ثـامـاماـ، تـخـاـلـلـ إـيـقـاءـ
ـغـضـبـهـ مـشـتـعـلـاـ، كـدـرـعـ ضـدـ فـرـيـهـ مـنـهـاـ الـمـشـرـرـ لـلـاضـطـرـابـ.. كـلـ مـاـ كـانـ
ـتـرـبـدـهـ هوـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـمـزـلـ وـالـزـحـفـ إـلـىـ السـرـيرـ، تـسـتـرـقـ فـيـ الـلـوـمـ.

ـسـمـعـهـ يـقـولـ بـعـفـوـيـةـ تـسـخـرـ مـنـ غـضـبـهـ الصـامتـ.
ـأـعـنـدـ أـنـ الـوقـتـ قدـ حـانـ لـتـنـفـدـيـ ماـ يـعـلـمـ يـكـ مـنـ الـانـفـاقـ.
ـرـدـ يـوـقارـ.. أـيـ انـفـاقـ؟ـ مـنـ عـقدـ مـعـكـ انـفـاقـ؟ـ
ـفـيـ أـوـلـ لـيـلـةـ لـكـ فـيـ الـقـبـلـاـ.. أـلـاـ تـذـكـرـيـنـ؟ـ لـقـدـ وـافـقـتـ عـلـىـ أنـ
ـتـخـبـرـهـ بـكـلـ شـيـ، عـنـ مـاـيـلـزـ الـعـامـضـ إـذـاـ أـنـاـ وـافـقـتـ أـنـ آخـذـكـ مـعـيـ إـلـىـ
ـالـسـيـشـلـ.

لم يتأثر لسخريتها:
 - الكثـرـ . مع أـنـاـ اـنـقـدـعـ عـلـيـ أـنـ مـنـ الـأـفـلـ أـنـ تـرـدـيـ أـنـ التـاقـصـيلـ.
 - كـمـ أـنـصـاـ شـهـمـانـ !
 نـظـرـ إـلـيـهاـ بـسـرـعـةـ ، وـعـلـىـ فـمـ شـبـهـ اـبـسـامـةـ :
 - أـوـهـ . لـمـ تـنـقـدـ أـنـ تـكـوـنـ شـهـمـانـ . بلـ عـمـلـيـنـ فـقـطـ .
 لمـ يـكـنـ أـنـجـاهـ أـيـةـ طـرـيقـةـ لـإـخـرـاجـهـ مـنـ عـدـمـ اـكـتـارـهـ اـخـبـثـ بـهـ .
 فـصـاحـتـ تـقـاطـعـهـ بـاحـتـقـارـ:
 - أـوـهـ . إـلـىـ الجـحـيمـ بـكـمـاـعـاـ !
 وـكـادـتـ سـهـويـ إـلـىـ الـأـمـامـ مـعـ تـوقـفـ السـيـارـةـ .
 فـتـأـسـدـتـ أـكـثـرـ مـنـ الـلـازـمـ . مـدـ يـدـهـ إـلـيـهاـ ، فـتـراجـعـتـ
 مـنـكـشـةـ ، مـصـمـمـةـ عـلـىـ أـنـ لـاـ تـدـعـهـ يـأـخـذـهـ بـيـنـ ذـرـاعـيـهـ . لـكـنـهاـ عـلـىـ الفـورـ
 أـسـتـ بالـغـيـاءـ ، حـينـ مـرـتـ يـدـهـ عـنـهـ لـيـفـتحـ لـهـ الـبـابـ .
 - اـخـرـجيـ يـاـ إـدـنـاـ . وـصـلـنـاـ إـلـىـ المـنـزـلـ .
 رـدـتـ بـرـودـ:
 - أـوـهـ . شـكـرـ أـلـكـ . آـسـفـ لـاـ ضـطـرـارـكـ إـلـىـ تـوـصـيـلـ إـلـىـ هـنـاـ ، وـشـكـرـأـ
 لـكـ عـلـىـ الـعـتـاءـ . عـلـىـ الـأـقـلـ كـانـ الطـعـمـ لـذـيـلـاـ . عـصـتـ مـسـاءـ .
 وـلـكـنـ ، بـدـلـاـ مـنـ أـنـ يـرـدـ . فـتـحـ بـاـبـهـ ، مـعـتـرـأـ أـنـاـ سـتـدـعـهـ خـلـصـاـ إـلـىـ
 فـيـحـانـ قـهـوةـ ، يـكـلـ عـبـرـةـ وـخـبـثـ . مـاـ أـشـعـلـ فـيـهـ الـأـرـبـاكـ لـعـنـهـاـ أـنـ
 لـيـونـ لـيـسـ هـنـاـ .
 أـوـفـتـهـ قـبـلـ أـنـ يـسـرـ نـحـوـ المـنـزـلـ :
 - اـنـتـرـ يـاـ هـايـدـنـ . لـاـ أـظـنـ أـنـ مـنـ الـنـاسـ أـنـ تـدـخـلـ . أـمـاـكـ
 طـرـيقـ طـوـبـلـ لـتـعـودـ إـلـىـ مـنـزـلـ .
 قالـ لـهـاـ بـهـلوـهـ وـهـوـ يـرـفعـ حاجـيـهـ : لـكـنـيـ فـيـ مـنـزـلـ .
 فـجـأـةـ اـتـيـتـ إـلـىـ الصـمـتـ الرـهـبـ ، فـنـظـرـتـ عـبـرـ نـافـذـةـ السـيـارـةـ . لـمـ
 يـكـنـ هـنـاكـ صـفـوـفـ مـنـازـلـ مـبـاـعـدـ ، وـلـاـ أـخـمـدـ إـضـاءـةـ فـدـيـعـةـ الطـرـازـ .
 عـلـىـ عـرـدـ ظـلـلـ أـشـجارـ نـلـوحـ مـنـ بـعـدـ عـبـرـ الـقـلـمـةـ الـكـثـيـفـةـ لـلـمـرـوـجـ .
 وـمـصـبـاجـ وـجـبـدـ كـانـ يـثـرـ مـدـخـلـ فـيـلاـ هـايـدـنـ .

كانـ هـنـاـ سـوـهـ تـفـسـيرـ مـتـعـدـ لـدـيـهـماـ ، وـجـلـسـ مـسـوـيـةـ ، مـتـصـلـةـ
 غـصـباـ .
 - اـسـمعـ هـايـدـنـ . بـإـمـكـانـكـ الـقـيـامـ بـمـثـلـ هـذـهـ الـأـلـاـعـبـ مـعـ شـخـصـ
 كـأـخـيـ . يـكـوـنـ كـفـوـأـلـكـ فـيـ ذـلـكـ وـلـكـنـ لـيـسـ مـعـيـ . أـنـاـ لـمـ أـوـاقـ إـلـاـ
 عـلـىـ أـيـ شـيـءـ كـهـذاـ !
 اـبـسـمـ بـرـسـعـةـ:
 - رـيـعاـلـ . لـكـنـتـ مـاـزـلـتـ أـحـبـ أـنـ اـسـمعـ قـصـةـ الرـجـلـ الـذـيـ مـاـزـلـ
 شـبـحـ يـعـيـنـ أـبـسـطـ الـأـشـيـاءـ فـيـكـ . مـنـ هـوـ ?
 رـدـتـ مـتـعـبةـ:
 - إـنـهـ صـدـيقـ لـلـيـونـ . وـيـقـيـ مـعـنـاـ عـدـةـ أـشـهـرـ فـيـ سـاـنـتـ باـرـيـكـ .
 وـانـقـ أـنـكـ تـشـبـهـ . قـلـلـاـ لـكـنـ الشـبـ ظـاهـرـيـ . وـلـاـ يـمـكـنـ لـأـحـدـ أـنـ
 يـخـطـيـءـ بـهـ بـعـدـ بـعـضـ خـلـطـاتـ .
 اـشـنـدـ صـوـتـهـ قـساـواـ:
 - مـاـذـاـ ؟ وـأـيـنـ يـسـتـدـيـ ؟ الـفـرقـ وـأـيـنـ يـسـتـهـيـ ؟
 - حـسـنـ جـلـاـ ، كـبـدـاـةـ ، هـوـ لـيـسـ بـجـنـونـ عـظـمـةـ مـتـعـجـرـفـ لـاـ يـحـتـمـلـ ،
 يـارـدـ الدـمـ مـثـلـكـ .
 ثـقـتـ بـخـشـونـةـ:
 - نـسـتـ أـنـ تـضـيـقـ صـفـةـ «ـفـاقـدـ الـذـاـكـرـةـ»ـ .
 يـدـلـاتـ لـحـسـ أـهـاـ شـخـصـيـةـ فـيـ مـسـرـحـةـ هـزـلـيـةـ تـحـولـتـ إـلـىـ كـاـبـوسـ .
 وـتـكـتـ مـنـ القـوـلـ بـغـضـبـ:
 - وـلـوـ كـانـ هـكـذـاـ . لـوـ كـانـ . مـاـ كـنـتـ لـاـعـتـرـهـ ضـدـهـ .
 - لـاـ . لـاـ أـظـنـ تـعـلـمـنـ هـذـاـ . لـكـنـ الـوـاقـعـ يـقـيـ أـنـكـ مـاـزـلـ
 تـحـفـظـنـ نـفـسـكـ لـهـ . بـالـرـغـمـ مـنـ أـنـ هـاـيـدـنـ مـذـلـلـاتـ سـنـوـاتـ . أـلـاـ تـظـنـ
 أـنـ هـذـاـ حـفـظـ لـلـوـلـاءـ أـكـثـرـ مـنـ الـلـازـمـ ؟
 هـاجـتـ بـسـؤـالـ لـتـجـبـتـ الرـدـ عـلـىـ سـؤـالـهـ:
 - وـهـلـ قـالـ لـكـ لـيـونـ هـذـاـ ؟ وـمـاـذـاـ غـيـرـ هـذـاـ قـالـ لـكـ أـخـيـ «ـالـخـلـصـ»ـ ؟
 يـبـدوـ أـنـكـ عـرـقـتـ الـكـثـيـرـ مـنـ خـلـالـ الـوـقـتـ الـقـصـيرـ الـذـيـ تـرـكـكـمـاـ فـيـهـ .

٧ - البديل

وأفضل أن لا ين culp هذا إلى مؤثر عائلي.
باختزام ساخر فتح الباب المزدوج والعنى لها لتدخل إلى غرفة
الاستقبال المظلمة الواسعة.

- هنا أفضل... والآن، دعينا نسمع ماذا تريدين أن تقولي؟
أخذت نفساً عميقاً، لا تربد أن تجلس، لكنك شدتها إلى جانبه على
الأريكة... فقالت:

- أنا لست ذاهبة معك... آسفة، لكننا ننبع...
- هذا ما فهمته من دوبل هذا الصباح... قال إن الأمر لن ينبع...
لكن أخاك من ناحية أخرى لم يعارض الفكرة... بل إنه في الواقع يعتقد
 أنها ستفيذك كثيراً... الإبحار ثانية، زيارة أبيرك، ومثل هذه الأمور
ارتشرت يده وهو يتحدث، إلى شعرها القصير فأبعدت رأسها عنه
غاضبة:

- حسن جداً... الأمر لا علاقة له أبداً لا بليون ولا بدوبيل، إنه
فرايري أنا... لا أستطيع تحمل ترك لندن هذا الوقت، وربما كان دوبل أن
يجد لك غيري بسهولة... هذا إذا احتجت لأحد.
شكلاً الرابع وهي تشعر بأنها تتجاذب نحو دائرة ذراعيه، متوجهاً
محولاتها للابتعاد.

- لكنني لا أريد عيرك... فأنا بحاجة إليك لترشديني في جولة
سياحية في جزيرتك الساحرة... فأنا متشوق جداً لرؤية المكان الأصلي
للحجزيرة الضائعة.

حمسـتـ، وهي لا تكـاد تـصلـقـ أـذـنـهاـ:ـ ماـذـاـ؟ـ

قال بهدوء:

- سـانتـ باـتـرـيكـ...ـ الـيـسـ هـيـ الـمـاـلـ الأـصـلـيـ...ـ جـزـيـرـتـاـ الـجـالـيـ؟ـ

دوـيـ صـوتـ رـاعـدـ فيـ أـذـنـهـاـ...ـ إـنـهـ يـتـذـكـرـ...ـ يـتـذـكـرـ كـلـ شـيـ؟ـ لـقـدـ
عـادـ مـاـيـلـزـ مـرـةـ أـخـرىـ...ـ لـكـنـ هـاـ زـالـ غـرـيـاـ...ـ بـعـيدـاـ...ـ وـخـطـرـاـ...ـ أـجـلـ
خـطـرـاـ جـداـ.

حاـوـلـتـ الجـلوـسـ لـكـنـ يـدـهـ أـبـقـتـ رـأـسـهـ بـشـدـةـ عـلـىـ كـثـفـهـ فـسـأـلتـ:

بعد خـطـقـاتـ وـقـفتـ أـثـاءـهاـ مـذـهـلـةـ غـيرـ مـصـدـقـةـ،ـ رـكـضـتـ وـراءـ،ـ
نـقـتـحـمـ المـنـزلـ عـبـرـ الـبـابـ الـذـيـ تـرـكـهـ مـفـتوـحـاـ.ـ تـصـبـحـ وـصـوـتـهـ يـرـنـ صـدـاءـهـ فيـ
الـمـنـزلـ السـاـكـنـ:

- اللـعـنةـ عـلـيـكـ يـاـ هـاـيـدـنـ جـاـكـوـبـسـ!ـ لـقـدـ خـدـعـتـيـ!
- أـخـفـضـيـ صـوـتـكـ يـاـ إـدـنـاـ...ـ سـتـوـقـظـنـ الجـمـعـ.
- نـسـتـ أـهـمـ...ـ
لـكـنـهاـ تـذـكـرـتـ أـنـ الشـيـلـاـ مـاـ زـالـ مـلـبـيـةـ بـأـفـرـيـاـهـ،ـ فـخـفـضـتـ صـوـتـهـ إـلـىـ
صـرـحـادـ:
- كـنـتـ تـعـرـفـ كـلـ شـيـ؟ـ أـلـيـسـ كـذـكـ؟ـ كـنـتـ تـعـرـفـ أـنـيـ لـنـ أـعـزـ
إـلـىـ هـاـ غـدـاـ فـخـدـعـتـيـ الـهـدـاـجـتـ الـلـبـةـ...ـ وـالـآنـ لـيـسـ مـعـيـ سـيـارـةـ...ـ يـاـ
إـلـيـ...ـ قـدـ أـخـلـكـ!
- لـيـسـ إـلـآنـ يـاـ حـبـيـتـيـ...ـ أـنـتـ مـتـعـةـ جـداـ...ـ يـمـكـنـكـ قـتـلـيـ غـدـاـ.
عـمـتـ مـسـاءـ.

كـانـ يـتـجـهـ إـلـىـ غـرـفـتـهـ لـكـنـهاـ صـاحـتـ،ـ وـقـدـ نـسـيـتـ خـفـضـ صـوـتـهـ:
- أـوـهـ لـاـ...ـ لـنـ تـذـهـبـ...ـ لـدـيـ مـيـ؟ـ أـقـولـهـ لـكـ...ـ الـآنـ!
- أـلـاـ يـمـكـنـ الـاـنـتـظـارـ حـتـىـ الصـبـاحـ?
صـاحـتـ بـجـدـاـ،ـ تـضـرـبـ الـأـرـضـ بـعـدـهـاـ:ـ لـاـ...ـ أـرـيدـ قـوـلـهـ الـآنـ.
تـنـهـدـ بـسـخـرـيـةـ،ـ ثـمـ عـادـ وـوـقـفـ أـمـامـهـ:
- حـسـنـ جـداـ...ـ لـكـنـ لـيـسـ هـنـاـ...ـ فـلـسـوـفـ تـوـقـظـنـ المـنـزلـ كـلـهـ

-منذ مني ..

الكاتب الشرعي لها للرور من خبره .. لا شك أنه سبرع لامرأة
لأماني ..
هست:

- وأنت تتهمني باتساع المخيلة؟ هذا .. هذا جنون!
- ليس تماماً .. إذا استطاع أحد إعطاني ولو فكرة عنك، وأين
كنت .. لا شك أنه سيكون هو كاتب القصة أو هي، كما قد يكون ..
لذا، يا حبيبي .. لماذا لا تعرفي بأنك أنت؟
ـ ماذا؟

لم يجد اهتماماً يبرد فعلها المذهلة، وأكمل:

ـ لقد خطط لي هذا منذ اليوم الأول تقريباً .. كان هناك مصادفات
كثيرة جداً يا حبيبي، أسمك، عبيتك من السيشل، ومعرفتك بالقص
الأصلي .. طفل صغير يمكنه أن يبدأ التفكير مع أقل من هذا .. وأنا
أكره بكثير .. وأكثر حكمة.

ـ أوه .. لأجل الله يا هايدن .. أنت .. أنت ..

ـ والفتحت صاححةك .. ثم أخذت تتحقق بين خدد الفصححكت:

ـ أنا آسفه .. أنا .. لا أستطيع التوقف يا هايدن ..

ـ لم يجد ضحكها مسلية، ونزلت يده على كتفها بقوه:

ـ هذه الفصححكة اللعينة مرة أخرى!

ـ توافت ضحكتها، أخذها العقب البارد الذي تعرفه منه جداً.

ـ أوه .. يا إلهي .. لست أدرى ما أقول يا هايدن .. الأمر فقط لا
يصدق أبداً.

ـ لكنه حقيقة .. دعينا نتفق على هذا .. كل ما أحتاج أن أعرفه
الآن، هو ما هو هدفك من هذا؟ لماذا لا توحين به، وتطالبني بقصتك؟
لا أصدق أنك تستعين إلى تعويض ملي .. وليس السب أنا .. لأنك
متبلقة بذلك اللعين مايلز .. إذن ما السب .. اللعنة عليك؟ .. ماذا

ـ توقيعين أن تحصل مني؟

ـ هست بصوت أحلى:

- أتعين متى أعرف؟ أوه .. منذ البداية تقريباً .. لئن أصحت
حاتراً جداً لأنفك المذهلة معي .. ومع القصة .. لكني بذوق لي في غير
أوائلك .. غير زمنتك .. كنت على معرفة وثيقة بقصتي .. بأول نص
أصلي، بدلاً من النص الآخر الذي نعمل فيه .. مثل ربط كل شيء
ـ بالعاصفة، أو افترضك أن «البكسس» هي كائن شرقي .. ولست
روبوت .. وتفاصيل أخرى متوجعة كشفت عن شخصيات غيرها، حتى
ـ في الأسماء ..

ـ أحسست بأنها على وشك الإغمام .. وغادر التوتر جسدها نحو مكانه
موجة عذاب .. إنه لا يذكر شيئاً .. بل هو ما زال يفكر بشكري
ـ القديمة، عاولاً الإيقاع بها للكشف عن أسباب ملاحمتها

ـ إذن .. أيمكن أن تخبرني الآن بما إدعاً كيف وصلتك النسخة
ـ الأصلية؟ ولجرد توفير المشقة عليك، في اختراع قصة عبقرية أخرى،
ـ دعني أقول لك، إن النسخة الوحيدة الأصلية موجودة في بيتي ..

ـ لم ترد، حتى لو شكلت من التفكير بشيء، فهو تصرف أنه لن
ـ يصدقها.

ـ وأكمل:

ـ على الأقل .. استطعت إيقاف تدفق خيالك .. وهذا شيء مهم ..
ـ هل أحاول ملء الفراغات بقصي؟ أتذكر حين أتيت كنت قلت لك إنني
ـ استيقظت في متشرقي أمازيغي .. وهناك ثقب في ذاكربي؟ ما حصل، أن
ـ الذكري الوحيد المذموم الذي استيقظ من الفترة الضائعة لحيان
ـ الأخرى، كان حقيقة أوراق فيها نص سميك مطبوع .. غير تمام ..
ـ فبدأت دراسته، وبطريقة ما أكملته .. وهكذا بمررت إلى الوجود قصة
ـ الجزيرة المفقودة.

ـ وضحك بصوت متخفض:

ـ كنت أعرف أنني لم أكتب القصة وحدي .. هكذا خطط بالي أنني
ـ بشرى للقصة تحت اسمي، وإنماجي لها كفيل سمعائي، قد أدفع

استدار إليها غاضباً:
 - أستطيع، وسأفعل يا إدنا.. لصالحك وصالحي.. يجب أن
 تخلص من أشباح الماضي، وأنا فرصةك الوحيدة لهذا، كما إنك أنت
 لفرصتي الوحيدة.. ومن يعلم.. فقد تعلم أن نحب بعضنا
 صيحة الغضب التي أطلقها اختفت على صدره.. فجأة تلاالت
 لردة بالنور، وهي لا تزال جامدة بين ذراعي هايدن، لكن تنظر مباشرة
 إلى عيني باولا.
 - كم هذا جيل.. إلى متى تنوي الاستمرار معها يا هايدن؟ إلى حين
 انتهاء كتابة السيناريو.. أم أن هذا من المفترض أن يكون عنان وداع في
 نظام؟
 تحرّك هايدن مبتعداً تاركاً المرأة خلفه وصاحت باولا بصوت
 حاد، فقد حرّرته وحلاوته:
 - هايدن.. أريد أن أعرف أين موقعك معك!
 استدار إليها:
 - أوه.. أهذا كل شيء؟ حسن جداً.. هذا سهل.
 عاد يتقدم إليها بضع خطوات:
 - أظن أنتي أوضحت لك موقفني، قبل وقت طويل من زواجك
 بآرتوه..
 هست: لكنني تركته لأجلك.
 - لم أطلب منك هذا أبداً.. قلت لك حينذاك، كما سأقول لك
 الآن.. لا أريدك يا باولا.. وإذا كان هذا لم يقنعك بعد، فدعوني أجرب
 طريقة أخرى معك.. نحن متزوج في الأسبوع المقبل، على الأرجح،
 في السبيل..
 حدقت المرأة إليه بغياء:
 - وإذا كان هناك شيء من الرببة في رأيكما: الكلمة نحن هذه، تعني
 (أنا وإدنا).. بالطبع، عمتما مسام
 وإذا رأت وجه باولا الجميل وقد شوهد الغضب والإحباط نسبت

- لقد فهمت خطأ.. كل شيء خطأ! كيف يمكنك العمل مع
 طوال ذلك الوقت وفي ذهنك كل هذا؟
 - يمكنني أن أجيبك نفس السؤال.. والآن أخبريني الحقيقة قبل أن
 أزعزها منك!
 قالت ملائمة، والكلمات تخرج من دون تفكير:
 - إنه.. إنه مايلز.. مايلز كتبها..
 وكانتا استخدمتا كلمة سحرية، فقد تحرر عنقها فجأة من قبضه،
 وترابع الفم الملتوى سخرية إلى طبعته.. ثم قسم:
 - مايلز مرة أخرى.. أينما نظرت أرأى أعيش على فتات ذلك
 الرغد..
 دفعها عنه باشمئزاز.. ثم، وقد خطرت له فكرة أخرى نظر إليها
 بغض:
 - حسن.. متى يمكن أن أتوقع الشرف بأن أقابله؟ فأنا مدبرن له الآن
 بدرين ثلاثي.. قصته، فيلمه، و.. فنانه! إلى متى يجب أن أنظر قبل أن
 يأتي ليأخذ بيته؟
 - لو كنت مكانك، لما جئت أناقسي يا هايدن.. مايلز لن يعود..
 أبداً..
 - إنه ميت إذن؟
 هزت رأسها نفياً، هذه كذبة لن تستطيع إجبار نفسها على قوله.
 ففتحت:
 - عظيم.. على الأقل شرك لي السعادة في أن أقتله بنفسي.. من
 الأنضل أن تواجهي الواقع يا إدنا.. سواه أحببته أم لا، ستائين معن إلى
 السبيل، ولن تقضي وقتنا في كتابة السيناريو فليذهب مايلز الآن.. أهلاً به
 إلى قصته، فيلمه، ماله، أما أنا فسأرضي بفنانه..
 وتركها يخرج بسرعة، لكنها لحقت به صاححة:
 - حسن.. لن أفعل لا أريدك أن تكون بديلًا عنه، ولن أكون أنا
 بديلة.. لن تستطيع إجباري يا هايدن..

إذن صدمتها بتلك النكتة التي لا رحمة فيها وحاولت التخفيف عن
الجميل

- أرجوك يا باولا.. لا يجب أن تصدقني.. لم يكن يعني ما قاله..
كان يرحب في إعاظتك فقط.. وإغاظتي أيضاً.. يجب أن تصدقيني
لم يجد على باولا أنها سمعتها.. ويدت للحظة، وكانت على وشك
مهاجتها جسدياً، فتراجعوت ويداعها مددوقةان لصد آية ضربة محملة..
لكن المرأة بقيت واقفة مكانها، وعيناها الخضراءان مفروقةان بدمع
الآيس، وفي لحظة اختفت في الظلام عبر المر المر الموصل إلى عرق النوم..
كانت إذنا على وشك أن تضيء النور في غرفة نومها حين أوقفها
صوت نفس عميق ثابت.. يبدو أن جوسلين استغلت غيابها وقدمت
غرفة نومها للأحد الضيوف.

باستسلام، انسحبت، تغلق الباب وراءها ببطء.. لتفت متعددة في
المر المر الظل، تحاول التشكير بما مشتعل.. وبدت لها غرفة مكتبيها، المكان
الدافئ الوحيد، والأقل خطراً لأن يغزوه في الصباح آل جاكوبس..
عادت إلى الردهة، وأخذت معطفها، ثم عادت إلى المكتبة.. كانت
الغرفة باردة، ولم تكن تعرف كيف تنقل حف الشوافل العليا فوق إحدى
الزجاجي.. لفت ملقطها حولها، تستقر بقدر ما تستطيع من راحة في
عمق الأريكة الجلدية، تتظر النوم، ليريحها من العذاب المركب الذي
أصابها في الساعات الأخيرة من هذا اليوم..
كانت تسبح في الهواء، خفيفة لا وزن لها.. رأسها ملتف على مني..
دفق.. يهز، قاس ومع ذلك ليس.. إنها حلم، بالطبع.. مجرد حلم آخر..
 مختلف منكرو في صورة أخرى..

استمر ذلك الإحساس بالبساطة في الهواء لفترة قصيرة.. وباهة
احتجاج أحست بجسدها يختضن ليرتاح على سطح أكثر واقعية.. على
فراش.. وتأكدت أنها ما زالت تسبح بأمان في حلمها.. وأحسست بالأمان
أكثر، ففتحت عينيها..
تنسمت، بارتباك غامض، وما زالت ضائعة في الوهم الخلو حلمها..

- ماذا تفعل؟

سمعت مايلز يقول بضمحة متخصصة:

- توافقني عن الكلام فأنا أشعر بالتعاس أكثر منك هيأ نامي..

شيء ما كان قد بدأ يشد بأحاسيسها، لكنها شُكّت بتعيم النوم..
ترفع السرير قليلاً تحت ثقله، وتندد إلى جانبها، تاركاً فجوة كبيرة
بينهما، ولكنها تحت تأثير التعاس افترت منه عن غير قصد فسمعت
صوت هابدين الأجيال يخرج أحاسيسها الثانية: ابكي في جانبك من
السرير..

- ماذا تفعل هنا؟

صوتها كان متعرجاً بالنوم، لكن جسدها، وهي تجلس، كان
صاحياً مذعوراً..

رد ببرود:

- أحاول أن أنم.. لهذا سريري، إذا كنت لم تلاحظي هذا..
استطاعت عيناهما أن تميزاً خطوط أشياء عربية، إنها في غرفة لم
تدخلها من قبل..

- كيف جئت إلى هنا إذن؟

تاوه يرفع يده على مرافقه:

- وجدتك نائمة في المكتبة.. ولم يجد عليك الراحة، كنت تأوهين
وتحتملين، وترتجفين برأداً.. فجئت بك إلى هنا.. ما هي الفكرة، لو جاز لي
السؤال، في تومك هناك؟

ردت بحرد:

- شخص ما كان نائماً في سريري..

ضحك:

- يا طفلي المسكينة.. ومن كان ذلك الشخص؟

- ليس لدى فكرة.. لم أتوقف لأعرف..

رمت عنها الأغطية تحاول الخروج من السرير..

- ربما كانت جوبيس على الأرجح، كان يجب أن توقظيها..

- أوه .. ابتعد عنني يا هايدن .. الأمر كله لا جدوى منه.
قال برقه وهو يعود إلى ضمها إلى صدره:
- لا شيء لا جدوى منه يا حبيبي .. لا شيء سوى إخلاصك لمايلز
لدرحل .. وأنا هنا.

شعلة أمل صيغرة فففت تمسك بالحياة .. لا يمكن لها أن تخلي
لشوق الحب في نعماته الناعمة. حاولت أن ترفع رأسها لتشاهد وجهه،
توكل نفسها أنها لم تخيل شيئاً. لكن يديه القويتين منعنها: أحبك
هاوت إله، يكاد يغمى عليها بالفجأة فرح مفاجئ .. تعقلها كان
ما يزال يحاول تخذيرها أن لا تدق بمثل هذا الأمل .. لكنها تقاضت عن
نية شكوك، وأفرقت نفسها، مرغفة، في جنون معاوتها المتدفعة .. ثم
راحت تناهيه: مايلز .. مايلز ..

كانت مستغرقة جداً في توقعها، حتى أنها لم تلحظ الجمود المفاجئ
الذي بدا وكأنه يمسك بكتابه.

قال آمرآ، متوجعاًلا احتجاجها:

- افتحي عينيك يا إدنا .. وانظري إلى ..

أرغمت نفسها على فتح عينيها، لتترك له المجال لأن ينظر في
عصفهما، ثم، وكأنما اتشعر جسدها بفعل ماء مثلج، عرفت أنها فقدت
ثانية.

خرجت الكلمات متكسرة من ثقفيها الجافتين:

- أوه .. يا إلهي .. ليس مرة أخرى أوه .. أرجوك يا هايدن ..
أنت لا تفهم ..

أبعد نفسه عنها، وابتعد يده قمحة الدموع التي تدفقت على
خدتها، ثم قال برقه وعيشه تأثر ان عينيها:

- كنت على حق يا حبيبي .. لا زلت غير مستعددين لبعضنا، لا
أعتقد أنك قادرة على منع نفسك من حب مايلز، بقدر ما لا أستطيع منع
نفسى عن حبك.

صاحت وهي تذكر بانكسار:

رغمت أن تطمئن بحدبته السهل المفوي:
- شكرأ لك لاهتمامك بي، لكن، ما كان يجب أن تزعج نفسك،
حقاً، كنت مرتاح تماماً في المكتبة .. أوه .. يا للعجبين .. أين .. أين
معطف؟

فانطلق يضحك بصوت متخفض:

- معطفك على الأرض هناك، في مكان ما.

نهضت لتبثح عن معطفها فقال: «كفى».

كان صوته، صوت مايلز، دافنا، يرسل قشعريرة خطيرة على
ظهورها .. وأكمل:

- أخشى أن أكون قد غيرت رأسي حول بشائرك في جهتك من
السرير .. تعالى هنا إذن ..

هست بغضب:

- لا .. لا تفعل هذا!

أخذت ساقها، ويداعاً تطوير نحوه بشكل آخر، بينما كان
يشدلاً إليه:

- اللعنة عليك يا هايدن .. دعني أذهب!

- لماذا؟ من دققة انحرفت بي .. توقيفي عن المقاومة يا إدنا ..
فلماذا الإنكار وأنا أكثر من راغب؟

صاحت: لا!

أمسك رأسها بين يديه وهو يشتتم خاضباً، فتصليت تتوسل بيسأس إلى
نفسها بأن لا تستجيب لإغراء ملامساته .. لكن مقاومتها كانت دون
جدوى .. فقد خانتها أحاسيسها، ووجهها الأحق، وإرادتها المرهقة.
عنم في أذتها:

- هذا صحيح يا حبيبي .. لقد آن الأوان لأن تعيشي مرة أخرى ..
مايلز قد رحل يا إدنا ..

بقيت للحظات متارجحة في حالة ذهول، بينما كان دماغها يسجل
كلماته، ثم انزعت نفسها منه، تدفن رأسها في الوسادة.

- ديني... أوه... ما الفائدة... أنا أنسنة يا باميلا، لا أعرف ما أقول.
 استرخي ظهر المرأة الساخطة:
 - أوه... لا يهمني بالأمر، يا عزيزي... لا بأس في هذا... فانا مجرد
 امرأة قديمة الطراز وسخيفة... لا يهمني بي...
 عادت إدنا لتجوّس في السرير بعد رفض ساقاها أن تحملاها...
 قدمت باميلا بنظره لهم سريعة إلى منضدة صغيرة قرب باب الباحة
 الخارجية، والتقطت فنجان شاي كانت قد وضعته هناك.
 - خذني يا حبيبي... لشرب الشاي ثم عودي إلى المنزل عن طريق
 الباحة... فلن يراك أحد، كلهم في غرفة الطعام يتناولون الفطور...
 نعمت:

- أين... هل رأيت هايدن هذا الصباح؟
 - لقد خرج ياكيرا، يركض حول المرج... على الأرجح...
 الشاي الساخن يبدأ بيد الطعام الكريه الحاف من فمهما؛ وبهدىء
 نظرها المخدرة، أحت بالارياح أن من رآها في فراش هايدن كان
 باميلا، فهذا أسهل عليها من مواجهة هايدن...
 جاءها صوت باميلا مجدداً:
 - قبل أن يبدأ أحد بك عزيزي... أود أن أقول لك إنني أشعر
 بالسعادة لأجلكم، أنت والسيد هايدن... عرفت منذ اليوم الأول أنك
 مناسبة له.

تصاعد الأحرار إلى وجنتي إدنا الشاحبين:
 - أوه... لكن الأمر ليس هكذا أبداً يا باميلا... أهني يجب أن لا
 تستجيغ شيناً من مجرد أنك وجدتني... أعني...
 ضحك باميلا بسعادة:
 - هيا الآن يا خناني... فأنتما على أي حال مستزوجان في نهاية
 الأسبوع فلا داعي للخجل هكذا...
 رفعت إدنا صوتها ذاهلة:
 - نتزوج؟ أوه باميلا... اسمعي! لقد فهمت الأمر خطأ.

- لكنني أحبك أنت... أنت يا هايدن!
 لم يقل شيئاً للحظات طويلة، وبعد تلمسها مهذبة دون وعي:
 - كنت تتلهقين لمايلز...
 حاولت الاحتجاج لكنه أسكنها:
 - أصمني يا حبيبي؛ لا أظنتي قادرًا على سماع المزيد عن مايلز
 الآن، نامي الان... نستطيع أن نتحدث طوال يوم الغد...
 ضمها إليه، وبهدىء من ارتجافها للتحب إلى أن أحسست بتدبر
 جسمها، وسمع أنفاسها الهادئة الخفيفة وهي تستغرق في نوم عميق،
 وكانت طفلة متعة... وبلطف انسحب من جانبها، واختفى في غرفة
 ملابسِ.

استيقظت في الصباح لتجد نفسها في غرفة غريبة مليئة بأشعة الشمس. رفعت رأسها، هذه الحركة الخفيفة أرسلت موجة من الألم من مؤخرة عنقها إلى أطرافها المتخددة القليلة... جبهتها مللة شديدة الحرارة... لا شئ في هذا... لا بد أنها أصبت برضح سي... عادت تستلقى على الوسائد متأنقة، محاولة إغلاق تفكيرها أمام رعب غامض، كان يتحرك في مكان ما من أعماقها...
 لكنها سرعان ما جلت مصلبة أخيراً بعد بروز صورة باميلا بجسدها الممتلئ، أيام أنظارها... صوت المرأة الإيرلندية كان جافاً، وعيناها ترفسان النظر إلى إدنا:
 - من الأفضل أن تنهضي من السرير قبل أن يجدك الآخرون هنا، يا آنسة إدنا...

كان فمهما شديد الحفاف، وصوتها أحشر متكرراً، وهي تحاول اختراق الصمت المحرج...
 - أنا... كان هناك شخص نائم في غرفتي... لهذا... أعني...

أكدت لها المرأة الإيرلندية:

- أبداً.. فالسيد هايدن قال في هذا يوم السبت.. بعد أن غادرت المنزل مباشرة.. والجميع يعرف الخبر الآن.. فلا حاجة لإبقاء الأمر سراً.

ضحكاها المبهجة؛ شاركتها ضحكة فضية رنانة:

- كان يجب أن ترى وجه باولا وهي ترثى الخبر إلينا هذا الصباح.. وأمي المسكينة..

الفتت إلينا لتواجه جويس نقف بالباب ضاحكة.

أخيراً فهمت إلينا.. لقد أخذت باولا كلام هايدن الساخر المهنئ في الليلة السابقة كواقع راسخ وأعلنته أمام بقية العائلة.. فالناسة لهم، هي وهايدن، الآن عظريان وسيزوجان.

ما تلا هذا كان كابوساً.. خرجت من الغرفة كدمية بين يدي جويس المتحمسة، وأدخلت إلى غرفة الطعام حيث استقبلت بمعرفة التهنة.. وقدمت إلى ما لا يقل عن نصف «هزينة» من الفرياء، كلهم من عشرة جاكوبس.

كل احتجاجاتها تلاشت أمام الترحب القلبى الزائف من أقارب المستقبل المزعومين.. لكن باولا كانت خالية.. فلقد غادرت المنزل بعد قليل من إلاغهم الخبر.

أخذ رأسها بصحب الماء وهو يترنج من الحمى.. وواعت ابتسامت جوسلين، المخلوعة الفؤاد، ومحاولاتها المتيرة للإلتافق لإصلاح نصر فانها للتعرفة السابقة، والتي جوشت مرات ومرات، بتذكرة ساخر من زوجها.. بينما هو نفسه امتنع عن إعلان أي شعور بالسرور.. لكن شيئاً في ابتسامته أظهر أنه أكثر من مرتعج ياخبار زواج ابن عممه.

سمعته يقول مع أن رأسها لم يكن قادرًا على استيعاب أي معنى..

- كنت أعرف أنك الوحيدة في العالم التي مستتمكن من وضع قليل من التعقل في رأسه.. وأأمل أن تدفعه للتخلي عن سخافة الكتابة، وأن يعود مجددًا إلى المدينة.. لقد تركني أهتم بأبراطوريته وفناً أطول من

اللازم..
أخيراً انقضها جويس، معلنة بصوتها المرح المرتفع فوق الصخب للتعلّم.

- هايدن على الهاتف يا إلينا، يريد الكلام معك
استدارت تنظر إلى منقضها ملحوظة: على الهاتف؟ أليس هنا؟
رد مالكوم:

- عدا ما يedo.. لقد ترك المنزل مع بروغ التاجر.. أيفلني بصوت ذلك البورش اللعين.. هيا، يا حبيبي، لا تتركي متظراً
جرت قدميها المتعبتين إلى الردهة الرئيسية، والقطعت الساعة:
هايدن؟

- أجل.. هل أنت بخير يا إلينا؟
ـ ماذا.. ماذا.. الجميع محنون يا هايدن.. يظنون أنك وأنا..
بالكاد كانت تعرف ما تقول.. لكن ساع صوته، ومعرفتها أنه معها، أخذت يهدثن من خوفها اللاواعي
ـ أين أنت يا هايدن؟

- في مطار هيثرو.. أنا أعلى وشك الرحيل.
ـ إلى السيطرة؟
ـ لا إلينا إلى مكان آخر.. حيث لا تستطعين أن تجدتي..

أربك أن تبني كل شيء عنى
قالت بصوت لا يكاد يسمع:
ـ لا.. أووه.. هايدن، لا تساورني ليس مرة أخرى!
صاد صمت قصير.

- يجب أن أسافر يا حبي.. لا أستطيع منافسة شبح.. أنسى أنك قابلتني يوماً.. وانتظرني ما يزيد.. مسعود.. أعرف أنه سيعود لأجلك..
تمسكت بالساعة يائسة
ـ هايدن! ماذا عن القصة، السيناريوج؟..
ـ أعطهم ما يطلبون حين تطلبهم.. وداعياً يا إلينا..

الزواج.. أليس كذلك؟ أنا آسفة يا إدنا.. ما كان يجب أن أجررك إلى ذلك الموقف.. لكن لم يخطر ببالني أنه كان يغبط باولا.

- يغبطها؟

رمت صحفتها غريبة حتى لأذنها.. وقالت جويس:

- لا بد أنه فعل هذا ليبعدها عنه إلى الأبد.. كان يقول لها منذ سنتين إن لا تبة له في التورط معها مجدداً.. لكن هذه هي المرة الأولى التي تفهم الأمر جدياً، فقد بدت مرتبك مشوهة حين أخبرتنا عن هذا زواج.. حتى اضطررت إلى الإشراق عليها.

- وصدقتموها جميعاً؟

- أجل.. مالكولم وأنا كنا نتوقع هذا منذ مدة.

هزت رأسها:

- باميلا.. كان يجب أن تكون أكثر معرفة.. فلماذا خدعت؟

أحفلت جويس بفكرة جديدة خطّرت لها:

- بالنساء.. لقد خطّر لي للتو.. اسمعني، حين أسررت إلى المطبخ لآخرها، ضحكت وقالت إنها تعرف.. وإن هايدن قال لها بشّه ليلة السبت.

فقررت إدنا فمهما: ليلة السبت؟

- أجل.. لهذا، ترين أنه لا شك كان جاداً.. إنه لا يمانع في السخرية من باولا أو مينا.. لكنه لا يفعل هذا أبداً مع باميلا.. أوه.. يا إلهي!

بدأت الفتاة تضحك ارياحاً، وأدارت عينيها إلى إدنا الصامتة فربما:

- أعتقد أنه اعتبر موافقتك أمراً مسلماً به، ولم يزعجه نفسه بالقول لك أولاً.. هنا الآن إدنا.. أعرف أنه مثير للسخط وكل هذا.. لكن،

ظالم يريده.. فلا يهم.. أليس كذلك؟ أوه.. كم أشعر بالارياح غاضت إدنا في مقعد السيارة تغضّ عينها.. إدن لم تذكر هذه مزحة قاسية.. ولا شك أنه كان يعني ما يقول حين قال إيهما

بقيت حمكة بسماعة الهاتف الصامتة إلى أن انترعنها جويس منها شيء من القوة.

- ما الأمر يا إدنا؟ ألسْت بخير؟

جذبت إدنا ذراعيها من يدي الفتاة:

- أوه.. يا إلهي.. لم أعد أستطيع تحمل هذا والجهت نحو الباب.. لكن جويس ركضت خلفها، مذعورة لشحوبها الغريب والنظرة المتّعة في عينيها اللوزتين الواسعتين:

- ما الأمر يا إدنا؟

- يجب أن أبعد من هنا، لقد جئتم جميعاً.

ركضت من المنزل بالاتجاه الكاراج، وجويس تلاحقها، تندّها.. لكن الربيو لم تكن هناك طبعاً.. وترنحت تحت وحزة لم لا تحمل، بينما أخذت ذكريات أحداث ليلة أمس تطوف بها.

أعادت جويس السؤال بقلق: ما الأمر يا إدنا؟

- الدبيت سيارة يا جويس؟ هل في أن أستعيرها أرجوك؟ يجب أن أبعد عن هنا!

نظرت إليها الفتاة بارتباك

- من الأفضل أن أوصلك ببني.. دعني فقط أخبرهم..

- لا.. سأحصل على تاكسي من مكان ما.. يجب أن أكون وحدى.. دعني أذهب يا جويس!

لكن جويس غسكت بها

- سبقتني هايدن لو تركت تنهين في حالي هذه.. تعال! دون مزيد من التثاش، أخذت بذراع إدنا بحزم وقادتها إلى سيارتها المازدا الصغيرة المتوقفة قرب الباب.

- اصعددي يا إدنا!

قادت السيارة بصمت تاركة المجال لإدنا كي مهدأ.. ثم سالت بعد أن تأكّدت من أنها تمسّكت نفسها من الذعر الأعمى:

- لم تكنوتي عارفة بالأمر.. أليس كذلك؟ إنه لم يطلب منك

سيتزوجان. لكن، مهما كانت خططه بالأمس، فقد رحل اليوم..
نار كأليان حالياً أيام مايلز.. مع ذلك، ليلة أمس.. لا يمكن أن تكون قد أخطأت في سمع كلماته أو فهمها، ولا بالطريقة التي نظر فيها إليها. كانت واثقة جداً من أنه تذكر أحبيها من هي.. وأن مايلز وهايدين أخيراً أصبحا شخصاً واحداً..

كان الناس يأتون لرؤيتها، متوجهين وجاءها الصامت في أن تكون وحدها.. الأكثر ظهوراً بينهم كان ليون وفرا.. وكذلك دوليل فراسبس، وزوجته جويس، وباميلا.. وحتى مالكوم وجوسلين.. لكن هايدين لم يظهر أبداً.. لقد رحل، وقال لها أن تسام.. وإلى الأبد.. قال لها ليون، إن ما أصاها هو التهاب رئوي:
ـ يدوات لي بصحبة جيدة ساعة رأيتك آخر مرة في المطعم.. فمن أين لتنقذ الالتهاب؟

هرت كتفيها دون اكتراث، متذكرة الساعات التي قضتها في المكتبة الباردة، تتأنّه وترتجف برداً كما قال هايدين..
قالت لأخيها بشعور هو أقرب إلى التعب والاسترخاء منه إلى الغضب لتركه لها:
ـ لقد انتهيت في قبلاً هايدين تلك الليلة.. وكانت غرفتي مشغولة، لما أنهيت ليني على مقعد، وفي غرفة باردة..
نظر إليها بمحاجل:

ـ آسف حبيبتي للوقت الخرج الذي سبيّاه لك في المطعم.. لكن لماذا لا تخبريه بالحقيقة؟
أدانت رأسها عنه.. لا تزيد الكلام لاعن مايلز ولا هايدين، فانتظر بعض ثواني:

ـ هنا يا إدنا.. يجب أن تتكلّم في الأمر.. حسناً جداً، ما كان على أن أسألك، فأنت لم ترغيبي في أن تتلفي حباً ناتجها عن الشعور بالمسؤولية، أليس كذلك؟ أردته أن يقع في حبك مرة أخرى.. قلت أنه سيجد نفسه عيراً على استعادتك كثريع من رد دين ماضيه المنسي.. أصبح؟ حسن جداً يا أخيه.. يجب أن أقول إنني فخور بك.. مع آمني يجب أن أضيف أنه كان عليك الثقة في بما يكفي لشاركتي سرك.. لطالما فعلت هذا..

ـ استيقظي يا إدنا.. أرجوك، يجب أن تستيقظي، لا أعرف ماذ أفعل.. أنت تختفين بالحسي..
الصوت الحاد المرتفع اخترق رأس إدنا.. ولم تكن السيارة تتحرك.. ففتحت عينيها لترى نظرة جويس الفلقة تتحচصها.. فرددت بعد جهد: ماذا؟

ـ أنت مريضة، و يجب أن أعيديك إلى القبلا، إلى أقرب مستشفى.. وأنا عاجزة أيام مثل هذه الأمور..
كانت ترتجف بالحسين، ووجهها يتضخم بالعرق.. إنها مريضة.. ولم يكن السبب مجرد صدمة الألم.. عانت لو يذهب عنها الصداع القبيح، ولو للحظة، لتفكر جيداً.. لكن ذعنها كان كالقطن.. وقالت بصوت منكسر:

ـ ليون.. أخي.. سيعرف ماذ يفعل..
ـ أين هو؟ أين أستطيع أن أجده؟
كان صوت جويس السكينة مليئاً بالإثارة والذعر.. وحاولت إدنا إعطاء جويس عنوان المستشفى، لكنها لم تسمع الكلمات.. بل أخذت بيده تفرق في بشر أسود من السلام والهدوء الذي لا تفكير فيه.. واستسلمت إلى القبيحة.

كان قد مرّت خمسة أيام بالضبط حين عادت لتطفو من البئر العميق إلى سطح الوعي، لتجد نفسها في غرفة خاصة في المستشفى الذي يعمل ليون فيه.. ضعيفة جداً، غدرة، لا تحسن بشيء سوى فنور الهمة.. لم تكن تذكر كيف وصلت إلى المستشفى، ولا فكرة لديها عن الطريقة التي شكت جويس من أن تجد لها أخيها.. ولم تكن تذكرت كثيراً.. كل ما

حتى الآن.

لست

- لم يكن هذا

ـ مما إن حصلت على عمل معه، حتى قررت أن

صحيحة دون شفقة

- كدت أموت حين التقينا في الردهة..

ـ كنت أتمنى أن أقول لك كل شيء خلال عطلة الأسبوع

- أعرف.. ولم تتع لوك الفرصة للحظة واحدة.. إذن، لماذا هذا

الوجه البائس الآن؟ لقد حصلت على ما أردت.. وجعلته يقع في حبك

ثانية.. إنه لا يذكر شيئاً عن إدنا جزيرة سانت باتريك.. كل ما يهم به

هو أنت، فتاة غريبة دخلت إلى حياته.. حين تركتنا وحدنا، طلب مني

يدك.. وأنا من افترحت عليه أن لا يقول شيئاً قبل الوصول بك إلى

البيتل.

ـ أدارت وجهها إليه، وقد نطقت عيناها بالألم: أ فعلت حقاً؟ لماذا؟

ـ ابتسم لحربها:

ـ لأنك كنت سترفضين طليه.. أنت لم تدركني بعد أنه يحبك،

بالعمق الذي كان مایلز يحبك فيه.. ففي مكان ما من ذاكرته اللاواعية،

لا زال متعلقاً بحب إدنا أخرى.. وكلما بحاجة إلى بعضهما، ولفترة

طويلة، حتى تعميله يتخلى عن حبه لذلك الشبح، من خلال حبه الجديد

ـ لك.. أو إلى أن..

ـ إلى أن ماذا؟ إلى أن يستعيد ذاكرته.. أهلاً ما كنت ستقول؟

ـ هذا صحيح.

ـ هاولت مجدها على الوسادة:

ـ لن يستعيدها أبداً يا ليون.. لا أمل في هذا.

ـ أنت خططته.. إنه قريب جداً من هذا.. عرفت هذا الحظة رأيه..

ـ ردة فعله في، أسلته، طريقة تلاعنه بالحديث.. كان يعرف أنها التقينا

من قبل.. ليس بوضوح، ولا بما يكتفي ليتذكر وجهي.. لكن ذاكرته

ـ كانت موجودة.. شريطة أن لا يحاول أحدكم التعبّل بذلك.

ـ يحدث هذا بيضاء وتدرّيج، وهي أفضل طريقة

ـ توقيت إدنا عن الإصغاء.. وقاطعه:

ـ أنت لاتفهم يا ليون.. إنه ينظري أحب رجال آخر.. مایلز..

ـ أحست بالغبطة حين أحب ضاحكاً

ـ إنه يغار منه! هيا الان يا إدنا.. يجب أن تعرّف أن الأمر

ـ يمحّك.. لا تظنين هذا؟

ـ ردت متوجهة:

ـ لا أظن.. لقد تركني يا ليون.. قال إن علي أن أنساء، وأنظر عودة

ـ مایلز..

ـ أخبرأ رأت غبامة فلق حائز تعدد ضحكة ليون

ـ تركك؟ ظنت يتطرق في البيتل.. أبرقتنا إليه يوم أدخلت إلى هنا

ـ نحوه له إبن مريضه، وإنك ستبضمرين إليه فيما بعد

ـ وهل تلقيتم الرد؟

ـ ساذ صمت طويلاً ثم: لا

ـ إنه ليس في البيتل.. لقد ذهب إلى مكان لن أستطيع أن أجده

ـ في.. هذا ما قاله في على الهاتف، قبل أن يرحل.

ـ ساد الصمت لبعض لحظات، ثم سمعت ليون يشتم شيئاً غير

ـ مفهوم، نفسه.

ـ قالت قبل أن يذهبها بمزيد من الأوهام المثلثة:

ـ لا أظن أنني أريد الكلام عن هذا بعد.. هايدن رجل، ومايلز دفن

ـ وهذا كل شيء.

ـ جاء دوبل فرانسيس ليراه في اليوم السابق لتركها المستشفى.. قال

ـ إن لديه أحياً عظيمة لها.. فقد أعطاه هايدن جاكوبس تعليمات بأن

ـ يدع لها أمر إباء السيزاريو وحدها:

ـ وسحصلين كذلك على الشرف الكامل، عدا ذكر الأجرا التي لا

ـ تصدق.. من تظنين نفسك قادرة على العودة إلى العمل؟

مجرد ذكر السيناريو كان كافياً ليصيّبها بذوبان جنون. لم تعد تستطيع مواجهة شيء، ولا تحمل حتى فكرة العودة إلى العمل. كل ما تريده هو أن يهدى نفسها وتحاول نسيان هايدن.

أنقذها ليون من هذه الورطة، قاتلاً بحزن إنها ليست في وضع يمكنها فيه العودة إلى العمل أبداً، ولفترة طويلة. وصاح دوبل مذعوراً ويده ترتفع لترعرع شعره الخفيف دلالة معروفة عنه على يأسه:

- أتعني أنتي يجب أن الغي كل التزاماتها؟ وكيف تتوقع مني أن أفعل هذا؟

رد ليون بهدوء:

- ستجد طريقة. آسف يا سيد فرانسيس.. إدنا ستعود إلى الوطن. إنها تحتاج إلى بضعة أشهر لستعيد صحتها.

- إلى الوطن؟ أتعني إلى منزلنا في سانت باتريك؟

- هذا صحيح.. ولا تخاويلي التهرب يا إدنا.. إنها أوامر الطبيب لم تحاول، ولا كان لديها الرغبة في معارضته.. فهي لا تستطيع التفكير بمكان أفضل من سانت باتريك، الفردوس الهادئ، لتلعن فيه جراحها.. والتي ليس فيها شيء سوى ذكريات سعادة عزيزة، فقدتها إلى الأبد.

كان باتريك وغريس جايمسون في الطار للثائلا، وحاولاً قدر استطاعتهما أن لا يظهران مدى ذعرهما لشحوب وجهها الحالي من الحياة. ولسبب ما، كانوا متزدين في أخذلها مباشرة إلى سانت باتريك، مصررين على غداء ترحيبي في أفخم فندق في الجزيرة.. ثم اقتراحا اللذاب إلى النادي للقاء كل أصدقائها القديامي.. لكنها اعترضت على هذا بحزن.. إنها تريده الوصول إلى موطنها.

تبادل الآباءان نظرة غريبة، ورأت آباها يهز كتفيه باسلام وهو يفقد زوجته وابنته نحو الميناء الداخلي بين الحزر، حيث كان يختبئ جيل ضخم بانتظارهم.

استدارت إلى أبيها:

- ما هذا يا أبي؟ أنت لم تتخلى عن «غريس القديمة» هل فعلت؟
- ليس بعد.. ولكنها وصلت إلى آخر أيامها، كما أخشى..
وستعجبك هذه مثلاً تماماً حملتا تعتادين عليها.

ابتسمت له:

- وسميتها باسمي؟ لقد شرفتني حقاً والآن هلاً أفلتنا إلى المنزل؟
كانت الشمس قد بدأت تغيب حين تركوا ميناء فيكتوريا خلفهم..
تركـت إدنا والدها يتوـلـي أمر الـبـحـثـ القـخـمـ الجـدـيدـ، وجـلـستـ يـهـدوـهـ عـلـىـ سـطـحـهـ إـلـىـ جـانـبـ أـمـهـاـ، تـرـكـتـ نـظـرـهـاـ عـلـىـ الشـلـالـ الـبعـيدـةـ لـسـانـتـ بـاتـرـيكـ.. ذـهـلتـ لـإـحـسـاسـهـاـ بشـيـءـ منـ الإـثـارـةـ وهـيـ تـلـقـطـ أـوـلـ منـظرـ

أتفوق أي ضيف في مثل هذا الوقت من السنة.
فتدخل والدها فائلاً:

- إنه ليس عيّناً في الواقع... إنه...
وثلاثي صوته، واقعهت عيناه إلى الطرف البعيد من الشاطئ، حيث
كان طيف طويل عاري الصدر، يرتدي جينز مقصوص الساقين، يقف
دون حراك عند حافة الماء، يرثيهم بهدوء...
دام الصمت للحظات تالية، لا بذلة لها... ثم تكلمت إدنا أخيراً
وقد بدت غير مكترفة:

- كيف... متى وصل إلى هنا؟
نظرت غريس بقلق إلى ابنتها: منذ أسبوعين
- كان يجب أن تعودي... يا أمي...
حاول والدها أن يشرح لها...
- طلب هنا أن لا تفعل يا إدنا... ثم يمكن يريشك أن تعودي إلى هنا

بسبيه:
ـ لكنه كان يعرف أنني سأعود... أليس كذلك؟
ـ أجل... في عطلة لاستعادة عافيتك... لكن ليس لأنك تشعرين
بالواجب لرؤيتك مجدداً.

ـ لا أريد أن أراه يا أمي... يجب أن تقول له أن يرحل... لن أستطيع
تحمل المزيد!

بدت غريس عنيدة لا تستازل:
ـ يجب أن تكلسيه... حتى ولو لمحة فرصة تبرير عمله. أعرف أنك

تشعررين أنه خائن... لكنك محظوظة... فالرجل لم يستطع المقاومة... فهو
لا يعرف ما حصل له منذ تركنا

نظرت إدنا مدحورة إلى أبيها، وكأنها لا تستطيع استيعاب ما تقوله
أيها... لكنه قان بهدوء:

ـ هذا صحيح... لقد فقد ذاكرته تماماً... فلا تلوميه على ابتعاده
عنك طوال هذه المدة.

للخزان الأبيض المحجظ بالجزيرة من الرمال البيضاء الناعمة، يبدو أكثر
بياناً في مواجهة الخبرة الفاقعة لأشجار التحيل وجوز الهند.
استدارت تنسم باهتجاج لأمها وأرض طفلتها، بينما متزن المزرعة
القديم لعائلة جايسمون يطل عليها من وراء ستار كثيف من الأشجار
والأدغال.

اخفى المترهل الشاطئ أمامه مع السفيقة، بينما كان البحت يشق
 طريقه بطف وحوار إلى داخل الخليج الصغير، حيث مر ماء الع vad.
غريس، بعثها المخلص القديم، كان يهتز بطف أيام الرصيف الخشبي،
يبدو بالياً أكثر مما تذكره.

كانها لم تغادر موطنها... وأخذت الدفة من أبيها توصل بأداء
البحت الجديد الغريب إلى مرساً... حيث رمت مرساتها خلف «غريس»
القديم المسكين. ثم ففرت إلى الرصيف الخشبي لتربيطه بامان أكثر. كان
يمكن أن تقفز في الماء لتصل الشاطئ مسباحة، لولا أنها مقيدة بشبابها
اللدنية.

نادت أبوها:

- لا أستطيع انتظار الوقت الذي أشعر فيه بعلمه الرمال تحت
قدمي

أوقفتها غريس وهي على وشك الركض نحو الشاطئ الرمل:ـ
ـ لا... يا إدنا! انتظري... أرجوك... يجب أن تقول لك شيئاً...
ابشرت في وجه أمها المضطرب بشكل غريب: فيما بعد.

لكتها كانت قد بالغت في تقدير قواها... مرضها تركها ضعيفة...
وما هي إلا بضع خطوات حتى أطعات في سيرها وتراجعت بهدوء أكثر،
بحيث لم يجد الآباء مشقة في التحاقيق بها... ويدأت الأم تقول:

ـ إدنا... لست أدرى كيف أقول لك هذا... لكن يجب أن أقوله قبل
أن نصل إلى المترهل... أنت... أعني... نحن لدينا ضيف يفهم معنا...
تأولت إدنا:

ـ أوه... يا للأسف... كنت أأمل أن تكون جميعاً وحدنا لفترة ما، ولم

وكان شيئاً لم يحصل.
أصحا وحدها يقفان متصلين فوق الرصيف الخشبي.. مغمورين
بأشعة الشمس المائلة إلى الغروب.
- من أين نبدأ؟
- ماذ؟

- الحديث.. لا مانع عندي من أن نقف هنا إلى الأبد.. لكن يبدو أن
ساقيك ترتجفان قليلاً.. فهل تجرب مكتبتنا القديم؟ السقيقة؟ أعني.. في
حال نسيتها.

- لا... لم أنسها.. ولا.. ليس في السقيقة.. في أي مكان عدا
السقيقة.. فما سأقوله لك يمكن قوله هنا والآن يا مايلز..
- حسناً جداً.. فلتسمع أذن.
- ارحل من هنا يا مايلز!

وكأنما دعنه لشرب شاي.. فلم تؤثر كلماتها عليه، وقال معتذراً:
- حسناً.. قد يكون هذا صعباً قليلاً كما أخشى.. فاتأ لا أعرف إلى
أين أذهب.. أترين.. فهذا هو المكان الوحيد الذي أستطيع التفكير
فيه.

كان اليأس قد سلّيها أي نوع من العاطفة، ما عدا الحاجة لللحمة
للابتعاد عنه، لتتوفر على نفسها للزريد من العذاب.
- عذر من حيث أتيت إذن.. إنك، على الأقل تعرف هذا..
- جئت من «ماهني» حيث أضفت نفسي منذ ثلاث سنوات.. ولا
تسألني كيف وصلت إلى هناك، ولا ما الذي حدث لي.. أنا حقاً لا
أعرف.

كانت ضحكته صرحة هازلة..
- أنا آسفه يا مايلز.. آسفة لأنك فقدت ذاكرتك مجدداً.. وأسفه
لأنني لا يمكنني أن أربح بك.. لكننا لا نستطيع العودة إلى الوراء..
لقد أنهى كل شيء..
فرد بغموض:

نظرًا إليها بأسى وهي تنتحر ضاحكة.. كانت ضحكة جافة لا
ابهاج فيها غير جسدها، وتندفع دموع الألم إلى عينيها.. أمسك بها
والدعا يهزها:

- كفى يا إدنا.. ستصاين بالهستيريا.. توقيفي فوراً عن هذا!
وانتظر إلى أن تلاشت ضحكتها، وأخذت تختتم بانكسار:

- لا يمكن لهذا أن يحدث يا أبي! لا أصدق.. أريد أن تقول لي إنه لا
يذكر شيئاً من...

وحدث.. لم يعد مايلز وافقاً عند حافة الماء دون حراك.. بل كان
يسير نحوهم.. جسده الرائع النحيل، يتحرك يتفسخ الخطوة الرشيقة
لتقرب منها أكثر فأكثر.. هست لأمها:

- لا أستطيع رؤيتها! لا أستطيع لا أستطيع مواجهته مرة أخرى يا
أمي.. أرجوك!

سمعها.. لكنه استمر بالتقدم نحوها، دون أن تتحرك عضلة
واحدة في وجهه الصارم غير المبتسم.. فاستدارت، محاولة الهرب إلى
البيت.. لكن يد والدتها أوقفتها، وبخشونة:

- بعد أن تكوني مهدية معه.. كان أمامك ثلاث سنوات لتغلي في عل
مشاعرك نحوه.. وأظن أنك كبرت بما يكتفي خلال هذه الفترة.

وقف مايلز على بعد خطوات منها.. لم يحاول الاقتراب.. كانت قد
حضرت الآن بيته وبين أبوها وكان الثلاثة ينتظرون إليها، وكانتها في قصر
الإهمام، وهم القضاة.

آخر قال مايلز بصوت كسلٍ جاف، يخلو من العاطفة:
- مرحباً يا إدنا.. تبدين بحالة رهيبة.

- شكرًا لك.. أنت من ناحية أخرى تبدو في حالة جيدة جداً.
ابتسم ابتسامة الحبيبة القديمة: أحياول ذلك جاهداً.
والداتها، الواقعان هناك جامدين، عادا إلى الحياة.. وقال باتريك
بطريقته الأرستقراطية القديمة:

- ستتوقع عودتكم إلى المنزل في السابعة.. لا تتأخرى، يا إدنا.

- كنت مريضة.. وهذا غيرني.. لست أدرى كيف، لكن هذا ما حصل.

فقد صوته هدوءه وكسله وهو يقف:
- لا أصدقك يا إدنا.. يمكنني أن أذكره بسيئين فقط.. أحدهما أنه فررت أن ليس بالإمكان الاعتماد على رجل يفقد ذاكرته باستمرار، مع تغير الرياح.. هل هذا هو السبب يا إدنا؟ هل تحلىت عني لأنني أصاب دوماً بفقدان الذاكرة؟
جذبها بخضب عن المقدار، وأمسك بها متجلماً جهدها للإفلات منه: أجيبي.. اللعنة عليك!
صاحت في وجهه البارد الغاضب:

- لا.. ليس الأمر هكذا! أنا لا أهتم أبداً بما تقول.. ولم أهتم يوماً، وأنت تعرف هذا!

- أجل.. أعتقد أنني أعرف.. فما السبب إذن؟ لا تبني حائرأ يا حبيبي، أو سأضطر إلى استخدام طريقة أخرى لمعرفة الحقيقة.
أحسست بصاعد موجة فمهات في داخلها.. إنه لا يظن حقاً أنها مستخدِّع بهذه التفبلية، مايالز ليس قادرًا على العنف مثلما كان هابدن.

- أتعني أنك ستتجاهل إلى العنف الجسدي؟
رد مجهمماً:

- جسدي نعم، لكن ليس بالضرورة أن يكون عنفاً..
انحنى عليها يضمها إليه.. ولم تقسوه، لعلها عدم جدواي المقاومة، بالرغم من قبضه الخفيفة المخادعة، لكنها كذلك كانت باللغة القوية أمام محمد الواثق من نفسه، وأحسست بيديه ضعف فرارها، وذعرت.. وبدفعه واحدة قوية، تمكنت من التملص من بين ذراعيه..
كان كل كيانها يرتجف وهي تقف لتواجهه.. لا شيء على وجه الأرض يجعلها تعود مرة أخرى لتعاني نفس العذاب في جها لها هذا الرجل، المقدر له أن يعيش في شخصيتين.. لم تكن قادرة على رؤيته يتذمَّر كذلك في حياة مزدوجة.. إنها كالسم له، كما هو لها، محكوم

- انتهى حقاً؟ حسناً جداً.. أود مناقشة هذا قليلاً.. هل يجب أن نكمِّل هذا النقاش ونحن واقفان هكذا؟ نستطيع أن نكمِّل الحديث في قمرة البحت، إذا كنت لا تستطيعين تحمل السير معى إلى السفينة.. حاول الإماماك يذراعها، لكنها جذبتها منه بحدة، منكمشة من لسته وكأنها الحديد المعجم.

- حسناً جداً.. لكنك تصبِّع وقتك يا مايالز.. لا أريد عودتك.. كانت القمرة الرئيسية الفاخرة التجهيز في البحت أهل بكثير من قمرة البحت القديم البالي.. وكان الغروب قد بدأ يميل إلى الإظلام، لكن أحداً منها لم يتر المكان وهبطت يداه الثقيلتان على كتفيها لتدفعهما، بغير لطف، إلى المقدار.

- آسف.. لكن سائقك لم تعودا قادرتين على حملك كما يبدو.. والآن.. فلتتناول الأمور واحداً بعد آخر.. أيمكن؟ متى قررت أن تخلي عنِّي؟

أعدت نفسها للنكبة القادمة:
- تقريباً بعد مغادرتك سانت باتريك.. أكنت تظن أنني سأنتظرك إلى الأبد؟

- غريب.. لقد فهمت أنك كنت تبحثن عنِّي منذ ثلاث سنوات.. ومن قال لك هذا.. أيواي؟
وليون.. بالطبع.

بالرغم من قرارها البقاء متصلة هادئة، ارتفع صوتها:
- ليون؟ أكنت تتصل بليون؟ أتعرف أنك هنا؟

أوما برأسه إيجاباً وهو يستوعب رد فعلها الغاضب، وأكملت:
- وأعتقد أنك أقنعته، كما فعلت بوالدي، بأن لا يقول شيئاً في..

- هذا صحيح.. لكننا سنعود إلى هنا فيما بعد، فانا من بدأ هذا الاستجواب وأنا من يبهيه.. و يجب أن تعرفي لي بهذا الحق، لا أعرف ماذا حصل خلال الأسابيع الأخيرة ما جعلني أصبح غير مرغوب فيه فجأة..
كانت أظافرها تُحفر بألم في راحتبيها:

لبنه الأحد تلك، في مطعم «ماي فير» يا إدنا؟
لم تسمع ما تبقى من كلامه، فقد انهارت ركيزاتها تحت ثقلها،
وبدأت تهبط إلى الأرض.. لكن ذراعيه أمسكتا بها.. وسمعته يختتم
بنفسه وهو يرفرفها بين ذراعيه:

- يا للجحيم، كم أنا متواхش أحق.
جلها إلى السطح، بعيداً عن جو الكابين الخانق، يسندها بيديهما
الأخرى تدعك وجهها البارد:
ـ أنا آسف يا حبيبي.. كان هذا غباء مني.. ثليلة قاسية؛ لكن،
كان يجب أن أعرف.
ـ شفمت!

- هايدن؟ أعني.. مايلز.. أوه يا إلهي! لست أدرى ما أعني.. أي
منهما أنت؟

- أنا هايدن إذا أحببت، ومايلز إذا فضلت الاسم الذي أطلقته على
أنا الآلين معًا هنا، إذا فهمت ما أعني.. ولو مالتني رأي، لا أريد أي
شخصية هنا.. أقصد معي.. فكلانا أحق طاقد الحسن.. لكن هذا ليس
بالعجب.. فتحن على أي حال ذات الرجل.

لم تفهم كلمة عما قال.. كانت يداها تتبعان خطوط وجهه القوي،
وكأنما تلطمته نفسها أنها إنما تلمس مايلز وهايدن معًا.

وبقيت تتمتم بأسلمة لا معنى لها أبداً ولا تطلب الرد بكل تأكيد:
ـ أتعرف بأمر مايلز..؟ أعني بأمر هايدن؟ وكنت هنا طوال
الوقت..؟

- هذا صحيح.. منذ خادرت لندن.. مع التي كان يمكن أن أركل
نفسى لتركي لك حين أبرق لي ليون عن مرضك.. وكدت أعود في
الحال.. لكنه عاد وأكذب في أنه تماثلتين للشفاء وستعودين قريباً..
ونذكرنا معًا أن من الأفضل أن تلتقطي هنا.

- إذن لقد تأمّلنا مجدها ضدّي؟ كان بإمكانك توفر هذا العذاب
الأخير على يا هايدن.

عليهما أن يجبا بعضهما إلى الأبد، مع ذلك، أن لا يجدا الراحة والاكتفاء
في جههما.. ويجب أن تندن نفسها وتنقله، من هذا الجحيم الذي لا
يطلاق.. ابسم لها، يهدوء كامل، دون قلق، متفاضلاً عن رفضها لعناق
دون اكتئات:

- إذن.. يا حبي.. إلى أين تتجه من هنا؟
ردت هدوء ممائل:

- إلى لا مكان.. لا مكان يا مايلز.. أنا أحبك، ولم أتوقف يوماً عن
حبك.. لكنني أحب شخصاً آخر بنفس المقدار..
احتفظ بآياتك على وجهه:

- وهل هذا صحيح؟ ماذا تفعلين إذن في سانت ياتريك؟ لماذا تست
معه أينما كان؟

- لنفس السبب الذي أرفض فيه أن أكون معك.. فانا أفضل أن لا
يكون لي أي منكم، على أن أضطر إلى الاختيار بينكم.
سمعته ينهض بصوت منخفض، لكنها لم تر أى حزن في عينيه
القائتين الزرقة.. سوى اتساع غريب في حدقتيه.. وارتياح في الوجه
الوسيم الذي لا يلين..
فإن بساحة:

- أجل.. هذا ما قاله ليون بالضبط
أبعدت نظرها عنه.. لم تستطع أن تسمع له بأن يعذبها أكثر من
ذلك.. وأجابت:

- إذن.. لو كان في نفسك مشاعر متينة لي يا مايلز.. أرجوك..
افعل ما فعله الآخر، وايُعد.. دعني وشأني
رنت كلماتها في القمرة الساكنة بشكل غريب.. وبدا أن الصمت
سيستمر إلى الأبد.. ثم تكلم.. وكانت متأكدة من أن المتكلم الآن هو
هايدن وليس مايلز..

- أكنت ستقولين الشيء نفسه للرجل الآخر لو طلب منك الزواج في

أسك بوجهها، يرفعه إلى أعلى كي ينظر في عينيها:

- إنها نفس الشكلة يا حسي
- ما هي؟
- أظني استيقنت الأمور وأخذت موافقتك كأمر سليم به.. ولا
أستطيع أن أعدك بأنني سأتغير يوماً.. لذا من الأفضل أن تفكري قبل
استعجال الأمور.
- شدت على فضيحتها وقد وصل صبرها إلى نهاية:
- أذكر بماذا؟ عم تتكلم بحق النساء يا هايدن؟
ملا صوت أبيها القمرة الصغيرة، يطالب بتفاد صبر، يمحى بها
إليه، فردد هايدن:
- حسأ جداً.. أعطيتني دقيقة يا باتريك، يا إلهي كم أنتم عائلة
ناقدة الصبر! من الأفضل أن أفعل هذا بسرعة إدن.. هل تتزوجيني يا
إدن؟
- لم يعطها فرصة الرد، ولا أن عز رأسها، وأكمل عبر الراديو:
- أجل.. كل شيء على ما يرام.. ستعود في الوقت المحدد ليوم
الزفاف، فلا تقلق.. في أسرع وقت يمكنكم ترتيب الأمر.. أنت تعرف
ابنك جيداً، ولا شك أنك أصبحت تعرفي كذلك.. فأنا خالٍ من كل
نقضة
- وذهلت وهي تسمع صوت أبيها الحاف الرزين يتضجر قائلاً:
- مت薜ن دائمآ سيدا إنكلتراً يا محترماً.
سألته إدنا بعد ساعتين من هذا:
- أتعنى أنك كنت ستذكر كل شيء لو قلت لك الحقيقة فور
تلقيتها؟
- كانا قد أصبحا يعيدين عن سانت باتريك والبيتل الآن.. والبحث
يزرع بطف وسط المحيط، لا شيء حولهما ما عدا القلام المحمل..
وردة عليها بوقار
- لا أظن هذا.. فبقدر ما أندم على الأوقات القاسية التي مررتنا بها

يومها.

دون تردد، قالت ما تذكريه على الفور:

- أحبك كثيراً حتى أكاد انفجر في الواقع، أعتقد أني
انفجرت إلى خارج جدي، وأنني الآن أطوف في أرض الخيال..
وكانت كاذبة، فجدها ما زال معها، يلتف عنق هايدن، يأمين
المشاعر، وإلى ما لا نهاية آخرأ دفعها عنه:
- هذا يكتفي يا إدنا.. يجب أن نتوقف الآن، تكاد الساعة تصل
الساعة، ولو سف برسلنا والدك إلى اليوم دون طعام لو تأخرنا عن
العشاء..
- دققت رأسها في صدره:
- فليفعل.. لا أطيق أن أشاركك مع أحد الآن.

ابسم:

- وعل تعيقين أن لا ترى منزلك لبضعة أيام أخرى أفن؟
- أطيق أي شيء طالما لا أستيقظ لأجد واحداً منكم قد رحل إلى
أين ستدفع؟
- لا تصل بوالدك بالراديو وأقول له إننا راحلإن.
- أوه.. لا.. لا تفعل.. اللعنة عليك يا هايدن، لا تذكرني الآن..
ثم استوعبت ما قاله تماماً: إلى أين؟
- سبح، هذه هي التكرة الرئيسية، لو كنت تذكريين..
صحك للاريلاك الذي بدا عليها، واستغل فرصة جودها، ليس
برسعة إلى قصرة القيادة، وأخذ يعمل على الراديو.. سمعته يقول:
باتريك؟ من الأفضل أن تبدأ العشاء دوننا.. لن نعود قبل بضعة أيام..
وجاء صوت أبيها منهياً عبر طقطقات معدنية، ثم رد هايدن: أجل
أظن ذلك.. الأسرع هو الأفضل.. ما عدنا.. انتظر لحظة.. أنسح؟
- استدار إليها، يريح بيده على رأسها، يزيع شعرها الفضير عن

- أوه.. يوم اطلعت على جواز سفرك و...
 أوقته ضاحكة:
 - وأين وجذته؟ لا تقل لي.. فشت حقبي وغرفني؟
 أطرق برأسه بخجل، وقال ببساطة:
 - آسف يا حبيبتي.. كان يجب أن أعرف.
 - حقاً يا هايدن، كان هذا عملاً قدرأً.. حين أذكر بالناهض التي
 مررت بها لأكتسب استخدام وسائل غير شرفة.. كان يامكانني ابتزاك،
 أو استخراج المعلومات من ياميلا، أو جويس.. لقد كنت شريفة جداً
 معيك.
 الفهر ضاحكاً سخرية:
 - أنت.. شريفة؟ يا إلهي يا إدنا؟ لم تكفي عن إهانة ذاتي
 بكذبك.. تخترعن كل تلك القصص المثيرة للسخط.. في الواقع..
 ظنتك مدعية أخرى، تحاول الاستفادة من ماضي المدفون..
 - بدلاً من ذلك ظنتي المؤلفة الحقيقة للقصة، جئت لأطلب
 بمحضي.
 - أكن لأنهتم بالقصة جيداك، كنت مدحولاً يومك بذلك
 العاصم مايلز..
 ونظر بعجب إلى وجهها الضاحك:
 - أنتين الأمر مضحك؟ حارولي أن تعبي مع ثقب أسود في
 ذاكرتك.. أتعرين ماذا يمكن أن أشعر إذ أحيا يوماً بعد يوم وأنا أصر
 ذاكرتي حتى الموت، محاولاً أن أفهم ما الذي يجعلك باردة هكذا، ولماذا
 تعززين نفسك مبتعدة عن المخلوقات كلها، حتى عن نفسك!
 - أو بابلاً.. أو جويس؟
 - أجل.. ولماذا لا؟ يمكنني أن أفعل أسوأ من هذا.. لكنني لم أكن
 أعرف ما الذي كان يعني.. كنت أعرف أن هناك شيئاً، أو امرأة، لها
 السيطرة الكاملة على حياتي، حتى ولو لم أذكر وجهها أو اسمها، أو أي
 شيء عنها.

معاً يكتبه حول عدم معرفتك لي، أظنك كنت عتقد في أن تجعليني أكافع
 وحدى ضد ذاكرني.
 - لكنك قلت إنك تذكريت كل شيء حين سمعتني أصبح باسم
 مايلز.. حين.. تعرف.. أنت وأنا..
 - كانت هذه هي الدفعة الأخيرة، يا حبي.. وما كانت لساعدني
 لولا أنها كانت في منتصف الطريق.. فأثبتت دعوتي بذلك الاسم أول
 ليلة مقابلتنا.. أتذكر من؟ وكانت صدمةً مشتلةً جدأً لي.. لكنني كنت
 قد مررت بإنذارات خاصة كبيرة من قبل.. حتى أنتي رفضتها على أساس
 أنها خدعة أخرى مثيرة للشكفة من ذاكرني السκينة، منها مثل
 ضحكتك، غضبك السريع.. وهنرى الذي لا نهاية له.. وهاتين العينين
 الفائتنين.. واستك، بالطبع.
 - أوه.. أجل.. تسبت هذا.. وشكراً لسميتك يختك باسمي.. وكم
 كنت أتمنى لو أنتي عرفت يومها أنك تذكريت اسمي.
 - أجل.. كانت هذه المصادفة هي التي أثارت أكبر شكوكي..
 وهناك القليل من يعرف اسم يختي.. لكن، بما أنك كنت قادمة من
 السين، كنت والتأمن أنك رأيتك في مكان ما، وافتظرت أن الاسم هو
 جزءٌ من خطشك للايقاع بي.. وبخوب أن تسوقني عن هذا الآن..
 أرجوك، توقفي عن إغرائي..
 صادقاً بوعده مع أبيها، إنها جامدة بعيدة عنه.. وردت عليه:
 - أهـ.. أعتذرـيـ
 وراجعت إلى الخلف، تاركة بضع أقدام بينهما.. كما فعلت تماماً
 في الأشهر الأولى لإقامته في سانت باتريك.. وسألته ببرودة: هل هذا
 أفضل؟
 تأوه بخشونة، يعيدها إليه: لاـ بـ الغـيـ الآـ
 عادت إلى دفء صدره:
 - أي شيء تقوله يا سيدـيـ.. إـذـنـ مـنـيـ أـدـرـكـتـ أـنـيـ لـأـخـبـيـ وـرـاءـ
 اسمـ مـزـيفـ؟

وَعَاد كُل شَيْءٍ عَلَى مَا يَرَمِّمُهُ . أَوْ كُنْتْ سَائِمَتْ حَبَّاً وَشَوْفَالْكَ .
وَكَانَمَا يَرِيدُ مَسْعَ الذَّكْرِي الْمَعْذِلَةَ مِنْ رَأْسِهِ ، جَذْبُ رَأْسِهِ إِلَيْهِ
يَغْرِيُ أَفْكَارَهُ فِي شِعْرِهِ . وَعِنْدَمَا أَحْسَتْ يَارِجُونَهُ وَتَصَاعِدُ حَبَّهُ ، دَفَعَهُ
عَنْهَا بِوَقْفَتِهِ :

- لَمَذَا تَرَاجَعْتَ أَخْرِ لَيْلَةَ لَنَا فِي التِّبْلَا يَا هَايْدِنْ؟ لَمَذَا تَرَكْتَنِي؟ كُنْتَ
تَعْرِفُ أَنْكَ مَايْلَزَ ، وَكُنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي لَا أُحِبُّ مُوَاكَ مَعَ ذَلِكَ تَرَكْتَنِي
وَرَحَلْتَ .

لَمْ يَرِدْ لِلْحَظَاتِ ، ثُمَّ تَحَركَ مُبْتَدِئًا عَنْهَا ، لِيَضْعَفْ مَسَافَةَ بَيْنَهُمَا :

- أَجْلَ . أَعْرِفُ هَذَا . لَكَنِي لَمْ أَعُدْ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْفَسَانِيَ . كُنْتَ مَا أَرَاهُ هَايْدِنْ
أَعْدَهَ إِلَى الْحَيَاةِ ، وَدَجَّهَ مَعَ حَلْمِكَ الْرُّومَانِيَ . كُنْتَ مَا أَرَاهُ هَايْدِنْ
جَاكُوبِسْ يَا إِدَنَا . رَجُلٌ لَهُ مَاضِيٌّ وَمُسْتَقْبِلٌ ، وَعَنْتَهُ بِالْمَسْؤُلِيَّاتِ ،
وَعَمِلَ ضَخْمَ مَطْلَبِهِ . هَذَا عَدَّاً ذَكْرَ زَمْرَةِ الْجَمَاعِ لِلْمَالِ . ثُمَّ لَمْ أَكُنْ
رَجُلًا لَطِيفًا لِيُعِيشَ الرَّهْبَهُ مَعَهُ . كَمَا لَمْ تَشْتَلِي مَرَةً فِي الْقَوْلِ لِيِّ .

- لَكَنِتْ لَمْ تَكُنْ هَكَذَا ! كُنْتَ مَتَجْعَرِفًا وَغَيْرَ لِيِّ ، مَفْرُورًا لَا
يُحْتَمِلْ . لَكَنْ هَكَذَا كَانَ مَايْلَزَ أَيْضًا !

- رِبِّا . لَكَنِي كُنْتَ أَرِيدُ أَنْ أَنْأَدِي مِنْ أَنْكَ تَحْبِيَنِي . الرَّجُلُ
الْمُحْقِيقِي . وَلَيْسَ شَبَّاحًا مِنَ الْمَاضِي . لَهَا دَبَرْتُ أَمْرَ هَذِهِ التَّمَثِيلَةِ
الْحَسِيقَةِ ، يَادِعَاهُ عُودَةَ فَقْدَانِ ذَاقْرِنِ ، وَعُودَةَ مَايْلَزِ ثَانِيَةِ . وَلَقَدْ حَلَّرَنِي
لِيُونَ وَأَبْوَاكَ مِنْ أَنْكَ لَنْ تَخْدُمِي بِهَا . لَكَنِكَ خَدَعْتَ . أَتَيْسَ كَذَلِكَ؟

- حَسَّاً جَدًا ، لَا تَكُنْ مَعْتَزًا جَدًا بِنَفْسِكَ يَا هَايْدِنْ . تَقْدِيسْتِي
كُلَّ الْأَحَاسِيسِ ، تَلَاعِبْ بَهَيَاتِ بَارِدَهُ وَسَاخِنَتِهِ عَلَيِّ . مَعَ ذَلِكَ أَعْجَبْ
مَاذَا كُنْتَ سَتَفْعِلُ لَوْ أَنِّي رَمِيتُ نَفْسِي بَيْنَ ذَرَاعَيْكَ عَلَيْ أَنْكَ مَايْلَزَ . لَقَدْ
كَدَتْ أَفْعَلَ وَكَانَ مَوْقِنِي هُوَ الْأَصْعَبُ فِي حَيَاكِ ، حِينَ قَلَتْ لَكَ أَنْ
تَرْحَلِ .

قَالَ لَهَا بِهَدْوَهِ :

- تَعْجَبْتَ مِنْ هَذَا بَشَّيْ . أَعْتَدَتْ أَنِّي كُنْتَ سَائِمَلِ التَّمَثِيلَةِ
لِفَزَّةِ ، وَأَخْطَلْتَ فِي تَلْكَ الْأَثَنَاءِ لِأَجْعَلُكَ تَقْبَلِنِي تَدْرِيجِيًّا بِصَفَتِي هَايْدِنْ

مَرَتْ بِهَا لَحْظَاتٍ صَبَتْ اسْتَعِادًا فِيهَا تَذَكُّرُ العَذَابِ وَالْحِيرَةِ ، لَمْ
خَطَرْتْ لَهَا فَكْرَهُ :

- انتَظَرْ يَا هَايْدِنْ . لَقَدْ قَلَتْ لِيَامِيلَا إِنْكَ قَرْرَتِ الزَّوْجِ مِنِّي .
أَكَانَ السَّبِيلُ أَنْكَ . أَعْنِي . هَلْ كُنْتَ .

- لَـ . لَمْ أَكُنْ قَدْ تَخَلَّبْتَ بَعْدَ عَنْ حَلْمِي الْقَدِيمِ ، إِذَا كَانَ عَذَا هُوَ
سَوْالِكَ . لَكَنِي كُنْتَ أَعْرِفُ أَنِّي أَحْسَتْ بِقَدْرِ مَا وَرَبِّيَ أَكْثَرَ مِنْ حَسِيْ
شَبَّحِيِ الْفَسَابِيِّ ، أَحْسَتْ أَنِّي سَائِسِيْ كُلَّ شَيْءٍ فِي حَسِيْ لَكَ . وَكُنْتَ
عَلِيَّةَ مِنْ أَنَّهُ عَمِيقٌ وَقَوِيٌّ بِمَا يَكْفِي لِأَجْعَلُكَ تَسْنِي الرَّجُلَ الَّذِي فَتَهَ
مَنَافِقِي . وَقَلَتْ لَكَ هَذَا ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ بِكَلِمَاتِ مَعْدَدَةٍ . وَكَانَ يَجِبُ
بِوَمَهَا أَنْ تَقُولِي لِي أَكْفَ عنِ الْفَلَقِ حَوْلِهِ

- وَلَمَذَا أَفْعَلْ؟ جَعَلَتِ الْأَمْرُ يَسِدُو كَعْدَهُ عَمَلٌ : شَبَّحِي مَقْتَابِلِ
شَبَّحِكَ . وَأَنَا مُسْتَعِدٌ إِذَا كَنْتَ مُسْتَعِدَةً . ذَلِكَ النَّوْعُ مِنَ الْأَمْرِ .
كُنْتَ مُتَوْحِشًا ، مُتَعْجِرَفًا .

- حَسَّاً جَدًا . إِذَا أَنْصَرْتَ عَلَى الْمَارِنَةِ ، فَمَاذَا عَنْ وَقْتِ كَنَا
مَعًا فِي الْمَرْجِ؟ كَانَ يَمْكُنْكَ أَنْ تَرِي أَنِّي كَدَتْ أَجْنَ ، مَعَ ذَلِكَ ، يَدِلُّ مِنْ
قَوْلِ الْحَقِيقَةِ ، بِقَيْتَ تَكْدِيسْتِي بِسَابِيلِهِ .

- لَا تَهْمِنِي أَيْدِيَ بِعَكَابِدِنِكَ ! وَمَاذَا عَنْكَ؟ كَنْتَ تَجْلِسُ هَنَاكَ ، كَالْقَطْ
الَّذِي التَّقْطَلَ لِتَهُ فَارَأُ . تَقُولِي إِنْكَ قَرْرَتْ أَنْ تَعْتَبِرِي بِدِيلَلِ حَلْكَ
الْفَسَائِعِ . فَمَاذَا كَانَ مِنَ الْفَتَرَضِ أَنْ أَفْعَلَ؟ هَلْ أَجْنُو لِأَشْكِرُكَ عَلَى
مَوْافِقِكَ عَلَى جَعْلِ صَدِيقِكَ؟

وَكَالْعَادَةِ . شَعَرَ بِالْتَّسْلِيَّةِ إِزَاءَ طَبَعَهَا الْحَادِ .
- كَانَ هَذَا سَيْوَفِرُ عَلَيْنَا مَعًا الْكَثِيرَ مِنَ الْوَقْتِ . فَكُلَّ مَا كُنْتَ
بِحَاجَةِ إِلَيْهِ هُوَ أَضْحَكَ بَيْنَ ذَرَاعَيْ . أَوْ يَا حَسِيْ .
تَأْوِهِ يَمْسِكُ وَجْهَهَا بَيْنَ يَدِيهِ لِيَنْظَرِ إِلَى عَيْنِهَا .

- لَا أَسْتَطِعُ أَنْ أَصْفِ لَكَ شَعُورِيِّ . كَدَتْ أَفْقَدُ صَوَابِيِّ . لَكَنْ مَا
أَنْ عَرَفْتَ أَنْكَ تَنَادِينَ بِاسْمِ مَايْلَزِ . وَأَنِّي أَنَا مِنَ تَقْصِدِينِ ، وَأَنْكَ
حَسِيْ ، وَحَسِيْ الْوَحْدَهِ . وَأَنَّ الرَّزْمَنْ تَوَقَّفَ جَامِدًا لِثَلَاثَ مَسْوَاتِ كَامِلهِ ،

ومايلز معاً .

وقف مرتدياً بنطلون مايلز المقصوص .

- إلى أين الآن؟

رد بهدوء:

- إلى العمل . . وأنت كذلك أيتها الكسول . . تعالى، يجب أن ننهي

السيناريو .

- لماذا؟ لدينا كل الوقت في العالم .

- أما أنا فلا . . فما ان تزوج حتى أعود إلى حياني الطبيعية .

- إلى أمبراطورية جاكوبس؟

- من بين أشياء أخرى ، مثل رعاية زوجتي ، تربية الأولاد . . ومثل

هذه الأشياء . . وستترك كل شيء لخليك الإبداعية . . أما مخيلتي

فستكون مشغولة بإيجاد وسائل لإبقاءك سعيدة ، جسداً وروحأً .

بيطء ، وسعادة ، حلها مرة أخرى بعيداً في رحلتها الطويلة نحو

المستقبل . . ترفل بالثقة المتوجهة العميقه التي لا تهتز ، بان هذه المرة لن تكون حياة واحدة لزمن واحد . . بل عمر كامل متعدد .

* * *